VOICE
of sudanese community

العدد الـ ٤٤ | صوت السودانيين بدول المهجر - أسبوعية - شاملة - مستقلة | ٢٧ صفحة

السبت ٢٦ يوليو ٢٠٢٥م | أرفع صوتك هيبة وجبرة | Saturday 26 JULY 2025

www.thesdvoice.press

VISION
Creative Media Group
تصميم - طباعة - نشر 0739952763
للإعلان: info@thesdvoiceads.press

6 قطار العودة .. نار الحرب أهون من الغلاء

3 ١٣ طالباً وطالبة يتشاركون المرتبة الأولى في امتحانات المتوسطة

2 نائبة بريطانية تدعو حكومة بلادها إلى ممارسة ضغوط على الإمارات

2 فريق طبي سعودي يجري عمليات جراحة العظام ببورتسودان

في هجوم استمر يومين .. وأدى إلى مقتل وإصابة أكثر من ٧٠ شخصاً

بريمة رشيد: المليشيا تفتح النار عشوائياً وسط السوق

○ كردفان – «وكالات»

● قالت مجموعة «محامو الطوارئ» التي تراقب الحرب في السودان، الجمعة، إن قوات الدعم السريع قتلت ٣٠ مدنيا على الأقل بينهم نساء وأطفال في هجوم استمر يومين على قرية في غرب البلاد.

وفي الأشهر الأخيرة، ومع دخول الحرب بين قوات الدعم السريع والجيش عامها الثالث، برزت كردفان كجبهة قتال رئيسية، حيث يسعى الدعم السريع لتعزيز سيطرته في الغرب بعد خسارة العاصمة الخرطوم.

وأوضحت المنظمة التي توثق فظائع الحرب إن الهجمات وقعت الأربعاء والخميس واستهدفت قرية بريما رشيد قرب مدينة النهود في ولاية غرب كردفان، ما أسفر عن مقتل ثلاثة مدنيين في اليوم الأول و٢٧ في اليوم الثاني.

وأضافت في بيانها أن من بين القتلى نساء وأطفالا.

واعتبرت أن ما «ارتكبته القوات من قتلٍ عشوائي واستهداف مباشر للمدنيين يمثل انتهاكا صارخا لقواعد القانون الدولي». ولا يمكن التحقق من أعداد الضحايا بشكل مستقل، إذ أغلقت معظم المرافق الصحية، وأصبحت مساحات واسعة من السودان غير متاحة لوصول الصحافيين.

وأشارت تقارير ميدانية إلى أن مقاتلين من الدعم السريع دخلوا وسط القرية على متن مركبات قتالية وأطلقوا النار عشوائيا على المنازل والسوق. وأفيد بأن أطفالا ونساء ومسنين كانوا من بين الضحايا.

وتابعت أن العنف ساد في مدينة النهود خلال الأيام الأخيرة، مع ورود تقارير عن مقتل عشرات المدنيين وتعرض مناطق سكنية للهجوم.

وأوضحت أن قوات الدعم السريع «اقتحمت مستشفى البشير والمستشفى التعليمي ومركز الدكتور سليمان الطبي بمدينة النهود» معتبرة أن الهجوم «انتهاك فادح لحرمة المنشآت الطبية». ولم يصدر بعد أي تعليق من قوات الدعم السريع التي أدت حربها مع الجيش السوداني منذ أبريل ٢٠٢٣ إلى مقتل عشرات الآلاف ونزوح أكثر من ١٤ مليونا.

الفاشر والدعم السريع .. سيرة مدينة تتحدى الحصار

«الفاشر ابو زكريا تواصل الصمود، حيث شنت قوات «الدعم السريع»، الخميس، هجوماً واسع النطاق على مدينة الفاشر من المحور الشمالي الشرقي، في محاولة لاختراق الطوق العسكري الذي تبسطه الفرقة السادسة مشاة التابعة للجيش السوداني. ومع أن الجيش أعلن نجاحه في صد الهجوم وتكبيد المهاجمين خسائر فادحة، فإن القصف المدفعي المتبادل امتد إلى مخيم «أبو شوك» للنازحين، مخلفاً ثمانية قتلى مدنيين وعدداً من الجرحى، في تطور يشي بتآكل الحدود بين ميدان المعركة والمناطق الإنسانية المحمية. ويعكس استهداف «أبو شوك» واقعة مأسوية، ومؤشر إلى أن معسكرات النزوح لم تعد خارج معادلات الحرب».

كتّاب فويس

الناجي صالح
«نفيسة عذر»
2

لؤي إسماعيل المجذوب
نقطة الحسم: الخرطوم في قبضة القرار العسكري
12

أحمد محمود كانم
لماذا ظلّ إنسان الفاشر يقاتل وحيداً حتى اليوم؟
12

فريعابي محمد أحمد
رجل مستف بالتواضع
13

ملكة الفاضل
(ناس محبة)
19

محمد صلاح باكا
أهلينا أرجنتينا
23

أحمد هارون من مخبئه : لن نعود إلى السلطة إلا عبر صناديق الانتخابات.. والحرب لن تكون الأخيرة

○ الخرطوم – «رويترز»

● قال رئيس حزب المؤتمر الوطني المكلف أحمد هارون إن الحزب اتخذ قرارًا استراتيجيًا بعدم العودة إلى السلطة إلا عبر صناديق الانتخابات بعد الحرب، ولن يكون في أي حكومة انتقالية غير منتخبة.

وأشار هارون في مقابلة مع وكالة رويترز إلى أن النموذج الغربي لن يكون مناسبًا للسودان، وإنما يجب الوصول إلى صيغة حول دور الجيش في السياسة في ظل الهشاشة الأمنية والأطماع الخارجية. وأضاف أحمد هارون أن حزب المؤتمر الوطني يتوقع هيكلاً هجينًا للحكم يحتفظ فيه الجيش بالسيادة حتى زوال جميع التهديدات، بينما تفضي الانتخابات إلى تولي المدنيين إدارة الحكومة. وقال إن «النموذج الغربي غير عملي في السودان، يجب أن نطور نموذجًا لدور الجيش في السياسة في ظل هشاشة الوضع الأمني وجشع القوى الأجنبية، لأن هذه لن تكون الحرب الأولى أو الأخيرة في البلاد». واقترح أحمد هارون إجراء استفتاء لاختيار ضابط الجيش الذي سيقود البلاد. وحذر سبعة من أعضاء الحركة وستة مصادر عسكرية وحكومية من عدم شعبية الزعيم السابق المخلوع عمر البشير وحلفائه من حزب المؤتمر الوطني. (نص المقابلة ص٢)

وزير الداخلية: الخرطوم أصبحت آمنة

○ الخرطوم – «فويس»

● قال وزير الداخلية السوداني بابكر سمرة، إن الخرطوم باتت آمنة وتنتشر الشرطة في أرجائها، حاثا المواطنين الذين هجروا ديارهم، على العودة.

وأكد سمرة في تصريحات لـ«الشرق الأوسط»، أن الشرطة أكملت السيطرة على مظاهر الانفلات الأمني التي ظهرت عقب استعادة الخرطوم من يد «قوات الدعم السريع» في مايو (أيار) الماضي. وأشار إلى أن «عودة المواطنين تساعد في استتباب الأمن؛ لأن بعض المجموعات المسلحة تنفذ جريمتها في الأحياء التي لا توجد بها حركة كثيفة». وأضاف: «لا يوجد مجتمع خال من الجريمة بنسبة ١٠٠ في المائة». وكشف سمرة في حوار مع «الشرق الأوسط» عن ضبط أجانب في مدينة عطبرة يحملون آثاراً كانوا ينوون تهريبها إلى خارج البلاد، والآن تجري محاكمتهم، وتعهد استعادة الآثار التي تم تهريبها إلى خارج السودان عبر الإنتربول، وقال: «لدينا تعاون كبير معه، ونتوقع أن تصل إلينا معلومات مهمة في الفترة المقبلة».

221 نائبا بريطانيًا يدعون للاعتراف بـ«فلسطين» كدولة

○ لندن – «وكالات»

● وقّع أكثر من ٢٠٠ نائب بريطاني رسالةً مشتركةً بين الأحزاب تطالب رئيس الوزراء السير كير ستارمر بالاعتراف بفلسطين كدولة.

وأعدت الرسالة سارة تشامبيون، النائبة عن حزب العمال، ورئيسة لجنة التنمية الدولية في مجلس العموم. يتعرض السير كير ستارمر لضغوط متزايدة للاعتراف بدولة فلسطينية، حيث وقع ٢٢١ نائبًا رسالةً مشتركةً بين الأحزاب تطالبه باتخاذ هذه الخطوة. وجاء في الرسالة: «سيكون للاعتراف البريطاني بفلسطين تأثيرٌ بالغٌ نظرًا لدورها كصاحبة وعد بلفور والقوة المُنتدبة سابقًا في فلسطين». واضافت: «منذ عام ١٩٨٠، دعمنا حل الدولتين. ومن شأن هذا الاعتراف أن يُضفي على هذا الموقف صفة جوهرية، بالإضافة إلى الوفاء بالمسؤولية التاريخية التي تقع على عاتقنا تجاه الشعب الذي خضع لهذا الانتداب».

في وقت سابق من هذا الشهر، دعا ما يقرب من ٦٠ نائبًا من حزب العمال، في رسالة خاصة، ديفيد لامي ووزارة الخارجية إلى الاعتراف الفوري بفلسطين كدولة، إلا أن هذه الدعوة الجديدة تُظهر مدى استياء الكثيرين من رفض الحكومة تغيير موقفها من هذه القضية.

سفير إسرائيل في الإمارات أتى بفعل «مشين» في دبي

○ القدس – «RT»

● أثار يوسي شيلي، سفير إسرائيل لدى الإمارات جدلا بعد أن شوهد داخل حانة في دبي، وهو يقوم بتصرف «غير لائق» رفقة بعض الإسرائيليين والإسرائيليات، وهو تصرف وفقا لمصادر لا يتماشى مع السلوكيات المتوقعة من ممثل دبلوماسي. ووفق ما أفاد به عدد من الأشخاص مطلعين على تفاصيل الحادثة، فقد قضى شيلي وقتا في الحانة برفقة عدد من الإسرائيليين والإسرائيليات، وأتى بحدث لم يكن من السهل تجاهله، وأكده ثلاثة مصادر مختلفة، محل انتقادات على خلفية ما وصف بأنه «مساس بالقيم الأخلاقية والسلوكية والشخصية».

ووفقا لشبكة RT الروسية تم الإبلاغ للمرة الأولى عن التوتر بين السفير شيلي والسلطات الإماراتية وفقا لتقرير بثته القناة ١١». بينما علمت القناة ١٢ الإسرائيلية أن الحراس الإماراتيين المكلفين بحماية السفير أبلغوا لاحقا رؤساءهم ووجهات الأمن الإسرائيلية بتفاصيل ما شاهدوه.

جعفر شيخ إدريس وجسر الأصالة والمعاصرة
8

حين يُدفن الأحبة مرتين!
9

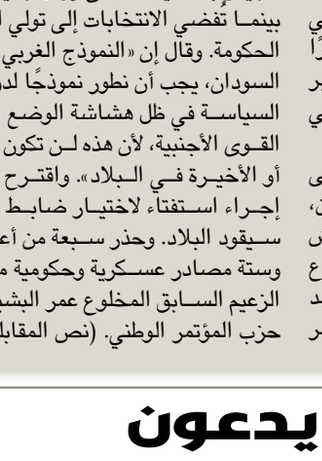

حمامات عكاشة الينابيع المنسية
16

رائدات سودانيات وأدوار عظيمة
24

VOICE of sudanese community

السبت ٢٦ يوليو ٢٠٢٥م - ١ صفر ١٤٤٧ هـ
SATURDAY 26 JULY 2025 - ISSUE No. 44

تنجية

«نفيسة عذر»

الناجي صالح *

● كانت جارتنا نفيسة امرأة لم ترَ خطيئة في الدنيا إلا ووجدت لها عذراً. إذا تأخرت عن سداد دين، قالت إن التجار هم اللصوص. وإذا أحرقت الطعام، قالت إن (الحَلّة) كانت رديئة الصنع. وإذا أهملت أولادها حتى أصبحوا كالقطط الضالة، قالت إن الزمن لم يعد كما كان. ومن كثرة أعذارها، سمَّتها نساء الحلة «نفيسة عذر». ولم تكن نفيسة وحيدة في ذلك، بل كانت ملكة غير متوَّجة على أرض خصبة من الأعذار.

في السودان، نعيش وكأنَّ الأعذار عملة وطنية قابلة للتداول. لا نكاد نفشل في أمر حتى نخرج من جيوبنا عذراً لامعاً وأنيقاً، نلمعه بأطراف الجلباب، ثم نقدمه للآخرين وكأنه حكمة مقدسة. الطالب الذي يرسب في الامتحان يلوم المنهج. الموظف الكسول يلوم الحكومة. التاجر الغشاش يلوم السوق. والأعجب من ذلك أننا نصدق بعضنا بعضاً، فننهض من مجلس العتاب ونحن نشعر بأننا ضحايا ظروف قاسية، لا كسالى أو فاشلين.

الأعذار مثل السُّكر، تُدمنها فتنسيك مرارة الفشل، لكنها لا تُطعمك خبزاً. لو أنَّ نصف الطاقة التي نضعها في تبرير أخطائنا استخدمناها في تصحيحها، لصرنا أمة أخرى. لكننا نفضل أن نعيش في ظل خرافة «الظروف» و«الحظ العاثر»، وكأنَّ النجاح ضربة حظ لا صناعة يد.

«نفيسة عذر» ماتت منذ سنوات، لكنّ أعذارها ما زالت حيّة بيننا، تتوارثها الأجيال كإرث عظيم الشأن. والأسوأ أننا لم نعد نستخدم الأعذار لتبرير أخطائنا فحسب، بل لنبرر عدم المحاولة من الأساس. لا نحاول، لا نخطئ، لا نتعلم، فقط ننتج الأعذار كالمصانع. وهكذا يظل السوداني واقفاً في مكانه، يحفر قبر أحلامه بأسنانه، ثم يلوم الأرض على قسوتها.

قد يكون بإمكاننا أن نقول إننا كنا مشغولين، أو إنّ الذاكرة خانتنا في التذكر. أو إن العمل يحتاج جهداً أكبر ومعرفة أعمق لا بدَّ من اكتسابها... لكننا لا نفعل. لأن الأعذار، مثل السجائر الرخيصة، تدمنها بسرعة، وتفسد رئتيك ببطء.

عندنا، نتعامل مع الأعذار كما لو كانت حقاً مكتسباً. ننسى، نُقصّر، نُخطئ، ثم نُخرج من جعبتنا كلمة «عذر» وكأنها سحر يُذيب المسؤولية. كلمة صغيرة تتحول إلى جدار نحتمي خلفه من مواجهة أننا ببساطة... لم نحاول

الأعذار الجيدة لا تُصلح الأخطاء السيئة. لو أنَّ كل السودانيين توقفوا عن العمل لأن «الظروف صعبة»، فمن سيبني البلد؟ نحن نختلق الأعذار لأن الخجل من الفشل يؤلمنا أكثر من الفشل نفسه. نفضل أن نكون ضحايا الظروف على أن نعترف بأننا لم نحسن التصرف.

لكن الحقيقة البسيطة هي أنه لا يوجد عذر يمحو الخطأ. الاعتراف بالحقيقة أفضل ألف مرة من تبرير واهٍ. لو أنَّ كل واحد منا توقف عن تلفيق الأعذار ليومٍ واحد فقط، لاختلف حالنا. لكننا نفضل أن نعيش كأسرى «ذريعة»، نرددها كأنها (مانترا) تُبرر لنا الركود.

في النهاية، الأعذار ليست سوى أقفاص نصنعها لأنفسنا، ثم نتعجب من ضيق العالم من حولنا. كل عذر نقوله هو حجر نضعه في جدار يفصلنا عن ذواتنا الحقيقية، وعن الآخرين، وعن الحياة ذاتها. ربما حان الوقت لكسر هذه الأقفاص، ليس بالصراخ أو العنف، بل بصمت طويل نتحمله أمام المرآة، حيث لا يعمل العذر كسيف يقطع الحبل الذي يربطنا بمسؤوليتنا. هناك، في ذلك الصمت، سنسمع صوتنا الحقيقي لأول مرة: بلا تبريرات، بلا أقنعة، فقط إنسان يعترف بأنه سقط... ثم ينهض.

ربما أننا نعرف أن الكلمات لا تُعيد الوقت الضائع. لكن السؤال الأشرف: هل سنتعلم يوماً أن نضع «الأعذار» جانباً، ونبدأ من حيث انتهى عذرنا الأخير؟

* رئيس التحرير.

أحمد هارون يتحدث من مخبئه:
السودان بحاجة إلى نموذج يشمل الجيش في السياسة

○ بورتسودان – (وكالات)

● في أول مقابلة إعلامية له منذ سنوات، قال أحمد هارون، رئيس حزب المؤتمر الوطني السابق وأحد أربعة سودانيين مطلوبين لدى المحكمة الجنائية الدولية، لرويترز إنه يتوقع أن يظل الجيش في السياسة بعد الحرب، وأن الانتخابات قد توفر طريقاً للعودة إلى السلطة لحزبه والحركة الإسلامية المرتبطة به.

تسببت أكثر من عامين من الحرب بين الجيش السوداني وقوات الدعم السريع في موجات من القتل العرقي والمجاعة والنزوح الهائل، وجذبت قوى أجنبية، مما خلق ما وصفته الأمم المتحدة بأنه أكبر أزمة إنسانية في العالم.

بينما تظل قوات الدعم السريع متمركزة في معاقلها الغربية في دارفور وأجزاء من الجنوب، ولا توجد مؤشرات على توقف القتال، حقق الجيش مكاسب كبيرة في الأشهر الأخيرة، وهي مكاسب يقول عناصر إسلاميون إنهم ساعدوا في تحقيقها.

قادة الجيش وموالون للنظام السابق قلّلوا من علاقتهم مع بعضهم البعض، خشية من عدم شعبية الرئيس المعزول عمر البشير وحلفائه من المؤتمر الوطني. لكن المكاسب الأخيرة للجيش سمحت للحركة الإسلامية بالتفكير في العودة إلى الساحة الوطنية، بحسب شهادات من سبعة أعضاء في الحركة الإسلامية وستة مصادر عسكرية وحكومية.

ينحدر المؤتمر الوطني من الحركة الإسلامية السودانية، التي كانت مهيمنة في عهد البشير في التسعينيات عندما استضافت أسامة بن لادن، لكنها تخلت منذ فترة طويلة عن الأيديولوجيا المتشددة لصالح جمع السلطة والثروة.

يمكن أن تؤدي عودة هذه الحركة إلى إجهاض الانتفاضة المؤيدة للديمقراطية في السودان التي بدأت أواخر ٢٠١٨، بينما تزيد تعقيد علاقات البلاد مع الأطراف الإقليمية المتوجسة من النفوذ الإسلامي – بما في ذلك توتير العلاقة مع الإمارات العربية المتحدة. وفي مؤشر على هذا التوجه، تم تعيين العديد من الإسلاميين وحلفائهم منذ الشهر الماضي في حكومة كامل إدريس، رئيس الوزراء التكنوقراطي الذي عينه الجيش في مايو.

ردًا على طلب من رويترز للتعليق، قال ممثل لقيادة الجيش السوداني:

«قد يرغب بعض القادة الإسلاميين في استخدام الحرب للعودة إلى السلطة، لكننا نقول بشكل قاطع إن الجيش لا يتحالف أو ينسق مع أي حزب سياسي، ولا يسمح لأي حزب بالتدخل».

الجيش في السياسة

قال هارون، في حديثه لرويترز ليلاً من مخبأ دون كهرباء في شمال السودان، إن المؤتمر الوطني يتصوّر هيكل حكم هجين يحتفظ فيه الجيش بالسيادة «حتى تتم إزالة جميع التهديدات»، بينما تجلب الانتخابات مدنيين لإدارة الحكومة.

البشير (يمين) وبجواره هارون خلال مؤتمر في ولاية جنوب كردفان عام ٢٠١١ (رويترز)

قال هارون، وهو حليف للبشير فرّ من السجن مع بداية الصراع، في المقابلة التي أجريت أواخر أبريل «لقد اتخذنا قرارًا استراتيجيًا بعدم العودة إلى السلطة إلا عبر صناديق الاقتراع بعد الحرب».

وأضاف: «النموذج الغربي غير عملي في السودان. يجب علينا تطوير نموذج لدور الجيش في السياسة نظرًا للانعدام الأمني والطمع الخارجي، لأن هذه لن تكون أول ولا آخر حرب في البلاد».

اقترح ضابط كبير في الجيش أن فترة انتقالية يديرها الجيش وحده قبل الانتخابات «لن تكون قصيرة».

هارون، المطلوب لدى المحكمة الجنائية الدولية بتهم تتعلق بجرائم حرب وإبادة جماعية في دارفور في أوائل ٢٠٠٠ – وهي تهم يرفضها ويعتبرها سياسية – اقترح إجراء استفتاء لاختيار أي ضابط في الجيش يقود البلاد.

بدأ إحياء الفصائل الإسلامية قبل اندلاع الحرب في أبريل ٢٠٢٣، خلال فترة بدأت فيها عملية الانتقال نحو الحكم المدني بالانحراف عن مسارها.

غرَسَت تلك الفصائل جذورًا عميقة في أجهزة الدولة السودانية والجيش خلال العقود الثلاثة لحكم البشير. وعندما نفذ القائد العام للجيش عبد الفتاح البرهان انقلابًا بعد عامين من الإطاحة بالبشير، استند إلى دعمهم.

شاركت قوات الدعم السريع في الانقلاب لكنها ظلت متشككة تجاه الإسلاميين، وعندما بدأت هي والجيش في حماية مصالحهم قبيل الانتقال المخطط، تفجّرت التوترات إلى حرب شاملة.

استولت قوات الدعم السريع بسرعة على معظم العاصمة الخرطوم وحققت مكاسب أخرى، قبل أن يبدأ الجيش في استعادة الأرض، موسعًا سيطرته على شرق ووسط السودان.

مقاتلون

تشير وثيقة لحزب المؤتمر الوطني، حصلت عليها رويترز من مسؤول إسلامي رفيع، إلى دور كبير لشبكات الإسلاميين منذ بداية الحرب.

في الوثيقة، يذكر عناصر الحزب أنهم ساهموا مباشرة بنحو ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ مقاتل في الحرب إلى جانب الجيش خلال السنة الأولى للنزاع.

كما يدّعون أنهم درّبوا مئات الآلاف من المدنيين الذين استجابوا لنداء التعبئة العامة من الجيش، انضم منهم أكثر من ٧٠ ألفًا للعمليات – مما عزز بشكل كبير القوات البرية المنهكة للجيش، بحسب ثلاثة مصادر عسكرية.

تُقدّر هذه المصادر عدد المقاتلين المرتبطين مباشرة بالمؤتمر الوطني بنحو ٥٠٠٠، يخدم معظمهم في وحدات «قوات خاصة» نفذت بعض أكبر المكاسب للجيش، خصوصًا في الخرطوم.

يخدم مقاتلون آخرون من الإسلاميين في وحدة نخبوية أعيد تشكيلها تتبع جهاز المخابرات العامة، وفقًا لمقاتلين إسلاميين ومصادر عسكرية.

قالت مصادر الجيش وهارون إن الفصائل الإسلامية لا تسيطر على الجيش. كما قال هارون إنه يشكك في صحة الوثيقة التي اطلعت عليها رويترز وادعاءات وجود آلاف المقاتلين المرتبطين بالمؤتمر الوطني، دون الخوض في التفاصيل.

لكنه أقر أن: «ليس سرًا أننا نؤيد الجيش استجابةً لنداء القائد العام، ومن أجل بقائنا».

أكد البرهان مرارًا أنه لن يسمح بعودة المؤتمر الوطني المحظور إلى السلطة، لكنه مكّن من عودة موظفين إسلاميين إلى مناصب حكومية رفيعة مثل وزيري الخارجية وشؤون مجلس الوزراء.

من جهته، قال محمد مختار، مستشار قيادة قوات الدعم السريع:

"الإسلاميون هم من أشعلوا هذه الحرب من أجل العودة إلى السلطة، وهم من يديرونها».

قال ضابطان مطلعان إن البرهان يحاول الموازنة بين رغبته في عدم تسليم النفوذ لسياسيين، وحاجته للدعم العسكري والبيروقراطي والمالي من الشبكة الإسلامية.

الحلفاء الأجانب

لطالما درّبت الحركة الإسلامية السودانية أعضاءها عسكريًا، بما في ذلك من خلال ما كان يُعرف في عهد البشير بـ«قوات الدفاع الشعبي».

خلال الحرب، ظهرت وحدات إسلامية شبه مستقلة، أبرزها لواء البراء بن مالك، الذي سُمي على اسم شخصية إسلامية مبكرة.

قال مهندس عمره ٣٧ عامًا يُدعى أويس غانم، وهو أحد قادة اللواء، لرويترز إنه أصيب ثلاث مرات أثناء مشاركته في معارك مهمة لفك الحصار عن قواعد الجيش في العاصمة في وقت سابق هذا العام.

وقال إن اللواء، بتوجيه من الجيش، يحصل على أسلحة خفيفة ومدفعية وطائرات مسيّرة.

قال غانم: «نحن لا نقاتل من أجل عودة الإسلاميين للسلطة، بل لصد عدوان قوات الدعم السريع»، وأضاف: «لكن بعد مشاركة الإسلاميين في الحرب، أتوقع أن يعودوا عبر الانتخابات».

وقد اتهمت منظمات حقوقية هذا اللواء بارتكاب عمليات قتل خارج القانون في مناطق من الخرطوم استعادها الجيش مؤخرًا، وهي اتهامات نفاها غانم.

قال قادة في الجيش إن هذا اللواء وغيره سيتم دمجهم في الجيش بعد الحرب، لتجنب تكرار ما حدث مع قوات الدعم السريع، التي أنشأتها القوات المسلحة لمكافحة التمرد في دارفور في عهد البشير.

تقول مصادر عسكرية إنه خلال الحرب، استخدم قادة إسلاميون بارزون علاقاتهم الطويلة مع دول مثل إيران، قطر، وتركيا لمساعدة الجيش في تأمين الأسلحة. قال هارون إنه لا يستطيع تأكيد أو نفي ذلك

وأي تقارب إضافي مع هذه الدول، وتوسع نفوذ الإسلاميين داخل السودان، قد يُعقّد العلاقات مع الولايات المتحدة، ويزيد من عداء الإمارات التي ساعدت الجيش وقوات الدعم السريع على الإطاحة بالبشير، وسعت لتقليص نفوذ الإسلام السياسي عالميًا.

قطع الجيش العلاقات الدبلوماسية مع الإمارات هذا العام، متهمًا إياها بأنها أكبر داعم لقوات الدعم السريع، وهي تهمة تنفيها الدولة الخليجية.

لم ترد وزارات خارجية إيران وتركيا والإمارات، ولا المكتب الإعلامي الدولي القطري على طلبات للتعليق.

فريق طبي سعودي يجري عمليات لجراحة العظام بمستشفى العشي ببورتسودان

○ بورتسودان– «فويس»

● بدأ الثلاثاء(٢٢ يوليو ٢٠٢٥م) المشروع الطبي التطوعي لجراحة العظام بمستشفى العشي للعظام في بورتسودان، والذي تنفذه جمعية عناية الصحية السعودية بدعم من مركز الملك سلمان بن عبدالعزيز للإغاثة والأعمال الإنسانية.

وأشاد الدكتور عصام حسن ممثل وزارة الصحة الاتحادية، مدير خدمات الدم ، بالدعم السعودي المتواصل للقطاع الصحي خلال الفترة الماضية، مشيرًا إلى وقوف المملكة العربية السعودية، شعبًا وحكومة، مع السودان في محنته، خاصة من خلال جهود مركز الملك سلمان للإغاثة.

من جانبها، قالت د. أحلام عبد الرسول، مدير عام قطاع الصحة بولاية البحر الأحمر الوزير المكلف، إن المملكة العربية السعودية تواصل دعم القطاع الصحي عبر توفير أجهزة طبية وأدوية، إضافة إلى تسيير القوافل الجراحية في مختلف التخصصات، مما ساهم في توطين العلاج داخل السودان. كما أشارت إلى أن مستشفى العشي للعظام ظل يقدم العلاج للمرضى وجرحى معركة الكرامة.

وفي السياق أكد السفير علي بن حسن جعفر سفير خادم الحرمين الشريفين لدى السودان، أن الحملات والفرق الطبية السعودية من مختلف التخصصات تهدف إلى تلبية احتياجات المواطنين السودانيين، وتعزيز التعاون بين الأطباء السودانيين والسعوديين، ومدّ جسور التواصل بين الاختصاصيين. وأشار إلى أن المملكة ستواصل دعم السودان عبر المساعدات الإنسانية والطبية التي يقدّمها مركز الملك سلمان للإغاثة، لسد احتياجات المواطنين. من جانبه، أوضح، الدكتور الزبير عبد الحميد مدير مستشفى العشي للعظام ببورتسودان، أن الفريق الطبي السعودي الزائر سيجري عددًا من العمليات الجراحية في تخصصات إصابات الحوادث وجراحة العمود الفقري..

اختتام شهادة الاساس بجدة وسط رضاء واشادات

○ جدة – «فويس»

● اختتمت أمس االمتحانات الشهادة الابتدائية بمركز القنصلية العامة لجمهورية السودان بجدة، والتي أقيمت في جامعة جدة، وذلك بتشريف سعادة السفير كمال علي عثمان طه ، القنصل العام ، الذي قام بزيارة تفقدية لمركزي البنين والبنات، ووقف على اوضاع الطلاب في المركز ونقل تمنياته لهم بالتوفيق والسداد ، وكذلك اجرى لقاءات ودية مع عدد من اولياء الامور ، وذلك بحضور بقية طاقم القنصلية العامة وملحقياتها.

شهدت الامتحانات بالمركز هذا العام جلوس ٢٧٠٠ طالب وطالبة ، واختتمت اعمالها اليوم ، الذي شهد فرحة كبيرة بين والطلاب وأولياء أمورهم ، بصورة سلسة نتيجة للتنظيم الجيد والمسبق لكافة اللجان التنسيقية المنبثقة عن اللجنة العليا للامتحانات.

واشاد الاستاذ عبدالخالق علي الطيب علي، كبير المراقبين ومندوب وزارة التربية والتعليم بولاية نهر النيل، بمستوى التنظيم والتهيئة المتميزة للمركز من كافة النواحي اللوجستية والادارية والأمنية وعلى التعاون الكبير والتسهيلات التي وفرتها اللجنة العليا للامتحانات بالقنصلية برئاسة سعادة القنصل

السفير كمال علي عثمان.

العام بجدة، لانجاح هذه العملية الهامة.

وأعرب أولياء الأمور والطلاب والطالبات عن ارتياحهم التام للترتيبات الخاصة بمركزي البنين والبنات.

.. وختام الامتحانات بتركيا

○ إسطنبول – «سونا»

● اسدل الستار يوم الخميس على أعمال امتحانات الشهادة الابتدائية ٢٠٢٥ بمدرسة الصداقة السودانية التركية إسطنبول بامتحان تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والتي بدأت في ١٩يونيو ٢٠٢٥.

وبلغ عدد الطلاب الجالسين للامتحانات ٢٥ تلميذا وتلميذة. وبحضور رسمي يتقدمه القنصل العام لسفارة جمهورية السودان باسطنبول السفير أسامة محجوب درار ومنسوبي القنصلية والاستاذ عبدالخالق محمد عبدالله كبيرالمراقبين والدكتورة عرفه عبدالله عبدالوهاب مدير المدرسة وأولياء أمور وأمهات الطلاب.

عبر القنصل العام عن سعادته بإكتمال الامتحانات والتي جرت بسلالة وهدوء وسط التزام تام بالاجراءات التنظيمية والاشرافية

واشاد بالجهود الكبيرة التي بذلت لإنجاح الامتحانات، مقدما التحية لإدارة المدرسة ومشرف الامتحانات والمعلمين والمعلمات ولجان المراقبة وأفراد البعثة الدبلوماسية والأجهزة الأمنية ولجميع الشركاء في التعليم الذين أسهموا في توفير كل سبل النجاح والاطمئنان

وفي تصريح لوكالة السودان للانباء أكد السفير اسامه ان انتهاء الامتحانات بأمان في ظل هذه الظروف الصعبة التي تمر بها البلاد يعد انجازا عظيما مشيدا بجهود كافة الجهات

السفير أسامة محجوب درار.

التي شاركت في هذا الانجاز المتمثلة في قيادة الدولة والاهتمام المباشر من مجلس السيادة ووزارة التربية والتعليم الاتحادية ووزارة التربية بولاية نهر النيل التي أشرفت علي الامتحانات وكانت كافة الاستعدادات قد اكتملت لقيامها في الوقت المحدد متمنيا النجاح والتوفيق للتلاميذ والتلميذات وهم علي أعتاب المرحلة المتوسطة.

كما اعلن السفير اسامة ان الاستعدادت جارية لأنعقاد امتحانات الشهادة المتوسطه للعام ٢٠٢٥ والمقرر انطلاقها يوم السبت الموافق الثانى من اغسطس المقبل .

مصرع طفلة سودانية داخل مصعد بالقاهرة

○ القاهرة – «فويس»

● شهدت مدينة نصر بالقاهرة فاجعة مأساوية راح ضحيتها طفلة سودانية، بعد سقوطها داخل مصعد أحد العقارات السكنية، حيث احتُجزت بين الكابينة المتحركة وجدار البئر.

الطفلة كانت تلهو في الطابق السابع، لتسقط في فجوة المصعد المغلق من دون كابينة في الطابق السفلي، الأمر الذي أدى إلى وفاتها في الحال متأثرة بجراحها، فيما وصلت قوة أمنية من قسم مدينة نصر أول، إلى موقع البلاغ، وتم إخطار النيابة العامة لمباشرة التحقيق، التي صرحت بدفن الجثمان بعد مناظرة الطب الشرعي، وأمرت باستدعاء حارس العقار والمشرف الفني على المصعد.

هذه الحادثة المؤلمة تأتي ضمن سلسلة من الحوادث المشابهة التي راح ضحيتها سودانيون مقيمون في مصر، ضحايا لسقوط المصاعد أو انهيارها في مناطق سكنية تفتقر لأدنى معايير الصيانة والسلامة.

وخلال الفترة الماضية شهدت منطقة فيصل بمحافظة الجيزة، مصرع طفل سوداني يبلغ من العمر ٩ سنوات بعد سقوطه أثناء استخدامه مصعدًا داخل عمارة سكنية. وأشارت التحريات إلى أن المصعد كان يفتقر لصيانة دورية، وأن الحادث وقع نتيجة لخلل فني تسبب في انزلاق الكابينة فجأة، وكان قد أمرت النيابة بفتح تحقيق عاجل، وتم التحفظ على فني الصيانة.

كما شهدت ذات المنطقة – فيصل – في سبتمبر ٢٠٢٤، سقوط مصعد سكني من الطابق الثامن، ما أسفر عن إصابة خمسة مواطنين سودانيين، نقلوا على إثرها إلى مستشفى الهرم لتلقي العلاج. الحادثة أثارت ضجة وقتها بسبب تجاهل بلاغات سابقة من السكان بشأن أصوات غير طبيعية تصدر من المصعد، إلا أن المالك لم يتخذ أي إجراء. في واقعة أخرى بحي الهرم، توفي طفل سوداني بعد أن علق بجسم المصعد خلال محاولته الصعود من الطابق الأرضي.

و كشفت التحقيقات أن باب المصعد كان مفتوحًا دون وجود الكابينة، ما أدى إلى سقوط الطفل داخل البئر، واستبعدت النيابة الشبهة الجنائية، لكن السكان وجّهوا انتقادات حادة للمسؤولين عن صيانة العقار.

هذه الحوادث المتكررة تسلط الضوء على واقع خطير يواجه الجالية السودانية في مصر، خاصة في الأحياء الشعبية التي تنتشر فيها العقارات القديمة، والمصاعد المهترئة، في ظل غياب الرقابة الفعالة.

نائبة بريطانية تدعو حكومة بلادها إلى ممارسة ضغوط على الإمارات لدعمها المليشيا

○ لندن – «فويس»

● دعت النائبة البريطانية كيت أوسامور، الحكومة البريطانية إلى ممارسة ضغوط دبلوماسية على الإمارات، ووُجّهت إلي الإمارات اتهامات موثوقة بتزويد مليشيا الدعم السريع بأسلحة صينية متقدمة، في انتهاك صارخ لحظر الأسلحة المفروض من الأمم المتحدة. وذكرت خلال الجلسة البرلمانية البريطانية بعنوان (الوضع الإنساني في السودان)، يوم الثلاثاء ٢٢ يوليو، بالاسم أسلحة مثل القنابل الموجهة **GP50A**، ومدافع الهاوتزر **AH4**، التي كانت تُصدَّر سابقًا فقط إلى الإمارات، وتم رصد استخدامها في الخرطوم ودارفور. وأكدت أوسامور أن هذه الانتهاكات تُعد جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية، وطالبت الحكومة البريطانية باتخاذ خطوات حاسمة تشمل دعم آليات العدالة الدولية وضمان المساءلة.

وتحدثت النائبة البريطانية كيت أوسامور في مداخلة قوية بالجلسة عن حجم الكارثة الإنسانية في السودان، مسلطة الضوء على الجرائم المرتكبة من قبل مليشيا الدعم السريع،المتمردة بما في ذلك المجازر، والتهجير القسري، والعنف الجنسي الممنهج. مشيرة بشكل صريح إلى تورط الإمارات.

VOICE of sudanese community

السبت ٢٦ يوليو ٢٠٢٥م - ١ صفر ١٤٤٧ هـ

SATURDAY 26 JULY 2025 - ISSUE No. 44

١٣ طالباً وطالبة يتشاركون المرتبة الأولى في امتحانات الشهادة المتوسطة بالخرطوم

○ الخرطوم – «فويس»

● أعلنت وزارة التربية والتعليم بولاية الخرطوم نتائج امتحانات شهادة المرحلة المتوسطة المؤجلة للعام ٢٠٢٤، حيث تساوى ١٣ طالبا وطالبة في المرتبة الأولى بإحرازهم ٢٧٩ درجة، وبلغت نسبة النجاح العامة ٩٠,٨٪

وقال مدير عام وزارة التربية والتعليم بولاية الخرطوم، قريب الله محمد أحمد، في مؤتمر صحفي الخميس، إن ١٣ طالبًا وطالبة مشتركين في المركز الاول بنسبة ٢٧٩ درجة، وجاء في المركز الثاني ٣٦ طالبًا وطالبة بمجموع ٢٧٨ درجة، بينما حصل ٥٥ طالبًا وطالبة على المركز الثالث بمجموع ٢٧٧ درجة. وأشار إلى أن عدد الطلاب الذين تقدموا للامتحانات تجاوز ٣٢ ألف طالب وطالبة، بنسبة حضور بلغت ٩٧٪.

وأكد أن هذا العدد الكبير من الطلاب المتقدمين للامتحانات يعد مؤشرًا إيجابيًا يعكس استقرار الأسر في الولاية رغم الظروف الصعبة التي تمر بها البلاد بسبب الحرب. وأوضح أن نسبة النجاح في امتحانات الشهادة المتوسطة بلغت ٩٠,٨٪، مسجلة ارتفاعًا ملحوظًا مقارنة بالنتائج السابقة. فيما كشف عن تفوق الطلاب في مادة اللغة العربية، حيث حصل ٩٥ طالبًا وطالبة على الدرجة الكاملة، مما يعد إنجازًا بارزًا على المستوى الوطني ويعكس جهود المعلمين والطلاب المتميزة في الولاية.

وقال في ترتيب المحليات حسب نسبة النجاح، حلت محلية الخرطوم بحري في المرتبة الأولى بنسبة نجاح بلغت ٩٥,٩٪، تلتها محلية كرري بنسبة ٩٣,٦٪، ثم محلية أمبدة بنسبة ٩٠,٦٪. وجاءت محلية شرق النيل في المرتبة الرابعة بنسبة ٨٧,٨٪، تلتها محلية أم درمان بنسبة ٨٦٪، ثم محلية جبل أولياء بنسبة ٨٢,٥٪. وأخيرًا، حصلت محلية الخرطوم على نسبة ٨١,٤٪.

ديوان الزكاة بمحلية الحصاحيصا : تحديث بيانات مستحقي بطاقة التامين الصحي

○ متابعة – وليد العشي

● ظل ديوان الزكاة الحصاحيصا احد اشراقات الوطن التي ظلت على الدوام تقدم الاهتمام تجاة المواطنين والمجتمع .. وبشريات كثيرة ومفيدة لخدمة المواطن كانت هي ثمار الجلسة الطيبة المباركة التي جمعتنا مع الاستاذة محاسن محمد عبد الرحيم مدير ديوان الزكاة محلية الحصاحيصا بحضور الشيخ الجليل عاطف حسن عثمان مسؤول ادارة الدعوة والاعلام بالديوان ..

وبروح عالية من الاصرار والعزيمة من جميع منسوبي الديوان بالوحدات الادارية وبالتنسيق والتعاون مع لجان الزكاة بالمناطق المختلفة .. تستمر عمليات تحديث بيانات المستهدفين والمستحقين لبطاقة التامين الصحي وذلك وفق نظام احصائي دقيق ورصد ومتابعة للمعلومات والبيانات لضمان وصول الحقوق الى اصحابها.

يأتي ذلك امتدادا لمسيرة العطاء الطويلة التي ظل يقدمها الديوان للمجتمع شملت برامج العودة الطوعية وفرحة العيد وتوزيع الذرة وغيرها من الخدمات الضرورية .. شكرا وتقديرا لجميع العاملين بديوان الزكاة الحصاحيصا بقيادة الاستاذة محاسن واللجان الفنية المساعدة ..

الأستاذة محاسن محمد عبد الرحيم والزميل العشي والشيخ عاطف مسؤول إدارة الإعلام.

مجلس امناء كلية المجد يوافق على تعيين ١٠ من خريجي الكلية في وظائف مساعدي تدريس

○ الحصاحيصا – «فويس»

● في خطوة وجدت القبول والرضا من الجميع وتاكيدا للرؤية العامة للكلية تجاة المجتمع والخريجين .. جاء قرار مجلس الامناء بتعيين ١٠ من خريجي الكلية من المتفوقين في وظيفة مساعدي تدريس بالكلية .. وذلك بعد استيفاء الشروط واجتياز المعاينات ..

وجاء التعيين في وظائف مساعدي تدريس في برامج الطب والجراحة وعلوم المختبرات الطبية وعلوم التمريض والعلوم الادارية ..

ويعتبر هذا القرار امتدادا لنهج مجلس الامناء في ايجاد مزيدا من الفرص والتاهيل العلمي والمنح والدراسات العليا لخريجي الكلية .. والذين تم تعيينهم في الطب والجراحة هم: لينة محمد عثمان، الشهلاء محمد سعيد محمد، مقدم بحر الدين مقدم يعقوب، عائشة علي أحمد محمد. وفي علوم المختبرات الطبية محمد حسان إبراهيم عباس ومحمد علي فضل الله علي. وفي العلوم الإدارية: نبراس عصام الدين عبد الرحمن باشري ونجوى أحمد حسن أبكر. وفي علوم التمريض رقية إبراهيم محمد إبراهيم.

الف مبروك للمقبولين، والتحية والتقدير لمجلس الامناء على هذه الخطوة، ويمتد التقدير الى عمادة وادارة الكلية ولجنة المعاينات على الجهود التي بذلت والمتابعة

ألف مبروك للدكتور أحمد الخواض والدكتورة فاطمة يس عبد الله السيد

محمد المهدي الأمين.

● وسط حضور كبير وأنيق من الأهل والأصدقاء، احتفل آل عبد الله السيد وآل الخواض الشيخ حسين وآل عجبنا العباس وآل أبو الكيلك بعقد قران وزفاف ابنهم الدكتور أحمد الخواض الشيخ حسين على ابنتهم الدكتورة فاطمة يس عبد الله السيد، بمدني حي الدناقلة شرق، أمس الجمعة.

تهنئة خاصة موصولة من مستشار التحرير محمد المهدي الأمين وأسرة تحرير صحيفة فويس، مع أصدق الأمنيات للعروسين بحياة زوجية سعيدة.

السفارة تشكر السلطات السعودية ومدارس جواهر الرياض

● تقدمت السفارة السودانية بالرياض بخالص الشكر والتقدير للسلطات السعودية على الدعم والتعاون اللذين كان لهما الأثر الأكبر في إقامة الامتحانات في أجواء آمنة ومهيأة. كما أعربت السفارة عن امتنانها لإدارة مدارس جواهر الرياض، التي وفرت مقار الامتحانات، وأسهمت في تهيئة البيئة المناسبة لأداء الطلاب لامتحاناتهم. الجدير بالذكر أن امتحانات شهادة المرحلة الابتدائية للعام ٢٠٢٥، اختتمت الخميس وأقيمت بمركز السفارة السودانية في العاصمة السعودية الرياض، بمشاركة (٣٦٠٥) طالبا وطالبة.

وجرت الامتحانات في أجواء منظمة وهادئة، وسط اهتمام كبير من السفارة السودانية.

جهاز المخابرات العامة بالحصاحيصا في زيارة الزميل العشي

● سجل جهاز المخابرات العامة بالحصاحيصا زيارة اجتماعية كريمة لمنزل الزميل وليد عبد اللطيف العشي الكاتب الصحفي والإعلامي النشط، وضم الوفد سعادة المقدم قسم السيد محمد قسم السيد مدير الجهاز والملازم عبد الله محمد عبد الله والأخ أيمن مجذوب الحسين وحضور أنيق للشيخ الأستاذ عاطف حسن عثمان، .تجسيداً وتأكيداً للدور المجتمعي الذي يقوم به الجهاز وامتداداً لمبادراته الفاعلة في المجالات الخدمية والاجتماعية من أجل إنسان المحلية، ورموزها الإعلامية والثقافية والاجتماعية والفنية وفي جميع المجالات الأخرى.

الزميل الأستاذ وليد العشي عبر عن سعادته وأسرته بهذه الزيارة متوجها بالشكر لأسرة جهاز المخابرات بالمحلية على هذه اللفتة الكريمة، سائلا الله أن يمتد حبل المودة والمحبة بين جميع فئات المجتمع.

VOICE of sudanese community

السبت ٢٦ يوليو ٢٠٢٥م - ١ صفر ١٤٤٧ هـ
SATURDAY 26 JULY 2025 - ISSUE No. 44

ملامح المعركة القادمة في السودان

○ الخرطوم - «الجزيرة»

● من نافذة الطائرة التي هبطت للمرة الأولى في مدرج مطار الخرطوم منذ بداية الحرب، بدت نظرات رئيس مجلس السيادة الانتقالي، الجنرال عبدالفتاح البرهان، حزينة ساهية وهو يتأمل معالم الدمار والخراب والبؤس التي خلفتها المعارك القتالية.

لم يكن البرهان سعيدًا، بالرغم من أن هبوطه هذا بمثابة مرحلة جديدة من الانتصارات، وانطلاق عمليات الإعمار، وانتقال مركز السلطة من ساحل البحر الأحمر إلى مقرن النيلين.. فالمشهد العام يفرض تساؤلات ملحة حول إمكانية استرداد الدولة السودانية من تحت ركام الحرب، وعبور منطقة الألم إلى الأمل.

حجم الدمار وتحديات الإعمار

خلال جولة قصيرة داخل مجلس الوزراء، والقصر الرئاسي، والبنك المركزي، وبعض الجامعات ومراكز البحوث، ومقر الوثائق القومية، والدار السودانية للكتب، وهيئة الإذاعة والتلفزيون، بدا أن كل شيء محطم ويحتاج إلى جهد خرافي لتنبض فيه الحياة مجددًا، كما أن مخطوطات وآثارًا نادرة تعرضت للتدمير والنهب، ما يثير تساؤلات حول كيفية استعادتها، وتوفير الأموال اللازمة لإعادة الإعمار؟

ربما يصعب القفز على حقيقة أن الحرب لم تنتهِ بعد؛ فلا تزال معظم مدن إقليم دارفور وأجزاء واسعة من كردفان تحت سيطرة مليشيا الجنجويد، وتحتاج مدينة الفاشر تحديدًا، آخر قلعة صامدة في دارفور إلى عمليات إسقاط جوي على الأقل لإنقاذها من سيناريو التجويع والحصار المتعمد، ورفض حميدتي لأي هدنة إنسانية بخصوصها لإجبارها على الاستسلام بعد نفاد مخزون المواد الغذائية والطبية، وذلك بعد فشل أكثر من مائتي محاولة لاقتحامها بالقوة العسكرية.

تحولات ميدانية ونجاحات منتظرة

في شهر مايو/ أيار ٢٠٢٥، نشر الجيش السوداني خارطة حديثة للمساحات الجغرافية التي يسيطر عليها، وتضمنت ١٠ ولايات سودانية بشكل كامل، و٤ ولايات انتشر فيها جزئيًا من بين ١٨ ولاية، بينما تسيطر مليشيا الجنجويد على ٤ ولايات في دارفور وأجزاء من كردفان ومنطقة المثلث الحدودي بين السودان وليبيا ومصر. في ذات الوقت، نجحت أنظمة الدفاع الجديدة التي امتلكها الجيش السوداني مؤخرًا في إسقاط وكبح نيران المسيّرات التي كانت تطلقها قوات الدعم السريع على بورتسودان والخرطوم وعطبرة، واستهدفت بها محطات المياه والكهرباء.

تلك التطورات تعني أن أكثر من ثلثي مساحة السودان تقريبًا اليوم تحت سيطرة الجيش السوداني، ويمكن القول إنها أصبحت آمنة وانتعشت اقتصاديًا واجتماعيًا، وغدت جاذبة للعودة.

الشاهد على ذلك هو الأرقام الأولية التي تشير إلى عودة ما لا يقل عن مليون سوداني منذ استعادة ولايات الوسط، بما فيها العاصمة الخرطوم، بينما عاد أكثر من ٢٠٠ ألف سوداني من مصر طوعًا خلال الأشهر القليلة الماضية، وآخرهم تدحرجت بهم عربات القطار السريع من محطة رمسيس إلى أسوان، وهو يحمل على متنه ألف سوداني، تم نقلهم بعد ذلك عبر الصحراء الممتدة إلى وسط السودان.

وهذا يعني بالضرورة أن السيناريو الخفي للحرب، وهو إفراغ الأرض من سكانها؛ تمهيدًا لاحتلالها، قد فشل عمليًا، ونجح الشعب بتلاحمه مع الجيش في كسر قيود النزوح الطويل واستعادة بلادهم جزئيًا على الأقل.

ماذا ستفعل حكومة الأمل؟

يضع هذا الواقع حكومة رئيس الوزراء الجديد، كامل إدريس، أمام أخطر التحديات، فاستعادة الأنشطة الحياتية والاقتصادية في هذه المرحلة، إلى جانب ردم فجوة المخاوف الأمنية، ومعالجة مخلفات الحرب، وانتشار المجموعات المسلحة داخل المدن المأهولة بالسكان، وتوفير فرص عمل كريمة، كلها مهامّ عاجلة.

الحقيقة أن آلاف السودانيين تعرضوا لعملية إفقار قاسية، وفقدوا مصادر دخلهم الأساسية، وأصبحوا بلا مأوى، وذهبت الأحلام والوظائف والمشروعات الإنتاجية الصغيرة مع الريح، فكيف يمكن تعويضهم وجبر أضرارهم، وتحقيق التوازن الاقتصادي المطلوب في ظل تدهور قيمة الجنيه السوداني؟

والأهم من ذلك أن الدولة -كما يبدو- تحاول ترميم بعض هذا الدمار، لكنها لم تتعامل بعد مع الخرطوم كقضية إستراتيجية ومعركة نوعية يتعين أن تحشد لها الأفكار والموارد. في وقت يحاول رئيس الوزراء تلمس الطريق لاستكمال ما أسماه «حكومة الأمل»، وخلق ظروف ملائمة لمشروع الاستشفاء الشامل، لا تبدو يده طليقة. فمن الصعب أن يفلت من توغل المكون العسكري على صلاحياته، بدليل قيام البرهان بتشكيل لجنة سيادية بقيادة الفريق إبراهيم جابر لدعم استعادة الخدمات وتهيئة البيئة المناسبة لعودة المواطنين، وهو بذلك يفرّغ فكرة الحكومة المدنية من معناها، أو على الأقل ربما ينظر إليه الخارج كعسكرة للعمل التنفيذي والحياة السياسية. فضلًا عن فرض أسماء محددة في تلك الحكومة بموجب اتفاق سلام جوبا، وطغيان المحاصصة الجهوية والعسكرية، وذلك من شأنه تجاوز معايير الكفاءة، وصعوبة محاسبة هؤلاء الوزراء؛ لأن معادلة السلاح والقوة هي التي فرضتهم، يستدعي ذلك للمفارقة عبارة أحد الكتاب السودانيين: «بلاد كلما حاولت أن تنهض تتكئ على بندقية!».

المعضلة الاقتصادية وتدهور العملة

المعضلة الأخرى اقتصادية؛ فقد شهد الجنيه السوداني تدهورًا غير مسبوق خلال المرحلة ما بين (٢٠١٩-٢٠٢٥)، والتي تُعد الأكثر دراماتيكية وانهيارًا، ووصل سعر الدولار خلال العام الحالي إلى نحو ٣ آلاف جنيه، في تراجع كارثي يستدعي قرع جرس الإنذار، وإعلان حالة الطوارئ الاقتصادية.

لا شك أن سعر الصرف مؤشر أساسي لحالة الاقتصاد عمومًا، ولذلك تُظهر الأرقام الأخيرة لتدهور العملة السودانية مقابل الدولار أن الجنيه فقد فعليًا معظم قوته الشرائية تقريبًا على مدار العقود الماضية، خاصة منذ ٢٠١٩.

ويعكس هذا التدهور أزمات اقتصادية وسياسية عميقة ومتفاقمة، إلى جانب الحرب، وسوء الإدارة الاقتصادية والفساد، والعجز المستمر في تحقيق إيرادات كافية من الصادرات لتغطية الواردات، والاعتماد المفرط على تصدير الذهب دون تنويع الصادرات، حتى الذهب نفسه عرضة للتهريب بكميات كبيرة، وذلك بالرغم من أن إنتاج السودان من الذهب بلغ نحو ٣٧ طنا خلال النصف الأول من العام الجاري ٢٠٢٥، ولكن أثره لا يبدو جليًا في الاقتصاد الكلي، ولا حتى في قيمة الجنيه السوداني.

ويعود ذلك على الأرجح إلى كلفة مقاومة مشروع تركيع السودان، وتوفير النقد الأجنبي لتلبية احتياجات المجهود الحربي، خصوصًا أن السودان رفض الاستدانة من الخارج، وعجز بالمطلق عن استقطاب رؤوس الأموال والاستثمارات الأجنبية الكافية لإحداث نهضة تنموية.

معلوم أنه كلما تدهورت الأوضاع، زادت رغبة الأفراد والشركات في الاحتفاظ بالدولار أو الأصول الثابتة كملجأ آمن، مما يزيد الضغط على العملة الوطنية، فالعوامل الكامنة وراء هذا الانهيار متعددة ومتشابكة، وتتطلب معالجة شاملة تتجاوز السياسات النقدية وحدها. بالمجمل، فإن تقديرات تكلفة إعادة إعمار السودان تتراوح بين ٣٠٠ مليار دولار للخرطوم و٧٠٠ مليار دولار لبقية الأقاليم، وتلك التقديرات بالضرورة تشمل الأضرار التي لحقت بالبنية التحتية والاقتصاد نتيجة للحرب التي لا تزال تدور في غرب السودان، تحديدًا إقليم دارفور وكردفان، وهي مناطق إنتاج الصمغ العربي والثروة الحيوانية، ما يعني خروج تلك الموارد من معادلات الصادر.

المشروع الوطني الشامل

عمومًا، فإن هذه التحديات تتطلب العمل أكثر على المشروع الوطني الشامل، وإصلاح الحياة السياسية وتوحيد إرادة السودانيين على هدف مقدس، وهو استعادة وطنهم وحماية مواردهم، فالحروب وإن كانت تحدث كثيرًا ودائمًا، وأحيانا لأسباب تبدو تافهة أو منطقية، إلا الجانب المضيء فيها أنها توقظ الأمة من سباتها العميق، وهو ما احتاج له الشعب السوداني، وكذلك النخبة السياسية والعسكرية التي استسهلت الحياة عمومًا، وانشغلت بصراعاتها وشجونها الصغرى عن الكبرى، حتى انتهى بها الحال إلى مواجهة أسوأ المخاطر الوجودية، واليوم جميعنا في طريق صعب وشائك وملغوم، فهل نقاتل ونعبره بشجاعة، أم نعود إلى كهفنا القديم؟

لجنة البرهان

هل تنجح في نزع السلاح وإعادة الأمان للعاصمة؟

○ متابعات - «فويس»

● في ظل الانفلات الأمني الذي تعيشه العاصمة الخرطوم منذ اندلاع الحرب بين الجيش السوداني وقوات الدعم السريع، تسعى السلطات السودانية إلى إعادة الحياة إلى شوارع الخرطوم، حيث شكل رئيس مجلس السيادة الفريق أول عبد الفتاح البرهان لجنة رفيعة المستوى تتولى مهمة إفراغ العاصمة من الوجود المسلح.

قرار البرهان قوبل بترحيب واسع من المواطنين والقطاعات التجارية، لكنه في الوقت ذاته أثار تساؤلات حيال إمكانية التنفيذ وسط تعقيدات أمنية وسياسية شائكة.

وكلفت اللجنة التي تضم في عضويتها وزراء ومسؤولين عسكريين ومدنيين، بمهام متعددة تشمل استعادة الخدمات الأساسية، وإنهاء المظاهر العسكرية، وضبط الوضع الأمني، وإعادة إعمار البنية التحتية، غير أن تنفيذ هذه الخطط يتطلب تنسيقا دقيقا بين مختلف الأجهزة الأمنية والعسكرية.

وتعرض الجزيرة نت في التقرير التالي، أبرز الأسئلة والإجابات المتعلقة بهذا القرار وبالمهام الموكلة لهذه اللجنة، مع استطلاع آراء المواطنين بالحاجة لعملها في العاصمة.

ممن شُكلت اللجنة المكلفة بإفراغ العاصمة من الوجود المسلح؟

اللجنة التي شكلها رئيس مجلس السيادة الفريق أول عبد الفتاح البرهان، جاءت برئاسة عضو مجلس السيادة الفريق إبراهيم جابر، وتضم في عضويتها كلا من رئيس الوزراء، ووزراء الدفاع، والخارجية، والطاقة والتعدين، والصحة، والتربية والتعليم، بالإضافة إلى وزير الداخلية، ووالي الخرطوم، واللواء أزهري عباس قسم السيد الذي كلف بمقررية اللجنة.

ما المهام المنوطة باللجنة؟

تسعى اللجنة إلى تطبيع الحياة المدنية في العاصمة وتهيئة الأجواء لعودة المواطنين إلى منازلهم، وتتمثل مهامها الرئيسية في تفريغ الخرطوم من جميع القوات المقاتلة والكيانات المسلحة خلال أسبوعين، بالتنسيق مع هيئة أركان القوات المسلحة

وتشمل أيضا اتخاذ التدابير اللازمة لفرض هيبة الدولة، وإزالة كافة المظاهر السالبة، وضبط الوجود الأجنبي عبر ترحيل المخالفين، بالإضافة إلى إزالة مناطق السكن العشوائي دون استثناء، واستعادة الخدمات الأساسية مثل الكهرباء، والمياه، والصحة، والتعليم، والمواصلات، والأسواق. كما أوكلت للجنة مهمة تأهيل البنية التحتية، واقتراح مواقع بديلة لنقل الوزارات.

ما أبرز التحديات التي تواجه اللجنة؟

يرى الخبير الأمني والإستراتيجي اللواء الدكتور أمين مجذوب، في حديثه للجزيرة نت، أن المهمة الأكثر تعقيدا تتمثل في إخلاء العاصمة من الوجود المسلح، إذ تحتاج إلى خطة تفصيلية وعمل ميداني منظم، يبدأ باجتماع تنسيقي بين قادة القوات المسلحة، والشرطة، والأمن، والقوة المشتركة من حركات دارفور المسلحة والمستنفرين.

وتتولى هذه المجموعة تحديد مواقع هذه القوات، وعددها، وتسليحها، وآلية خروجها، والوجهات التي سترحل إليها، والبحث إن كانت ستنشأ معسكرات جديدة أم لا؟ ويحذر مجذوب من أن أكبر تحد سيكون في غياب التنسيق، مشددا على أن عدم تنفيذ قرار إنهاء الوجود المسلح قد يؤدي إلى نتائج كارثية.

ما موقف القوة المشتركة من قرارات اللجنة؟

رغم وجود عبد الله يحيى، عضو مجلس السيادة وأحد قادة حركات دارفور المسلحة، ضمن عضوية اللجنة، فإن حاكم إقليم دارفور ومشرف القوة المشتركة، مني أركو مناوي، صرح للصحافة بأن مجلس السيادة لم يبلغهم رسميا بأي قرار يخص إفراغ العاصمة من القوات المقاتلة. وأضاف أنه اطلع على القرار عبر وسائل الإعلام، ولم يتم أي تواصل رسمي أو غير رسمي معهم بهذا الشأن.

كيف يمكن جعل الخرطوم مدينة قابلة للحياة من جديد؟

يؤكد الخبير الأمني والإستراتيجي اللواء طارق عبد الكريم، للجزيرة نت، أن إنهاء الوجود المسلح لا يمثل سوى جزء من مهمة شاملة أسندت للجنة، هدفها الأساسي جعل الخرطوم صالحة للعيش مجددا، عبر استعادة الخدمات من تعليم وصحة وكهرباء ومياه، وإعادة إعمار البنية التحتية التي دمرتها الحرب.

ويرى عبد الكريم أن بعض مظاهر التفلّت الأمني يمكن احتواؤها من خلال انتشار الشرطة، لكنه يشدد على ضرورة مواجهة التحديات الكبرى مثل السكن العشوائي والوجود الأجنبي. ويعتبر أن عامل الزمن سيكون حاسما في إنجاز مهام اللجنة، التي ينبغي أن تتحرك ميدانيا بمشاركة كل الجهات ذات الصلة لإنجاح مهمتها.

إلى أين ستر‌حّل التشكيلات العسكرية؟

يشير اللواء أمين مجذوب إلى وجود تساؤلات جوهرية لا تزال دون إجابة، من بينها: هل ستبقى القوات المسلحة في معسكراتها القديمة؟ أم سيتم نقلها إلى مواقع بديلة؟

ويؤكد أهمية الشفافية في عرض تفاصيل الخطة على الرأي العام، مشيرا إلى ضرورة أخذ التهديدات الأمنية في الاعتبار، خاصة مع تصاعد نشاط العصابات الإجرامية التي تمارس الاختطاف والقتل والترويع في مناطق مختلفة من الخرطوم.

ترحيب واسع من المواطنين والقطاعات التجارية بقرار تشكيل اللجنة (الفرنسية)

ما حجم التفلّتات الأمنية في العاصمة؟

رغم تداول مواقع التواصل الاجتماعي لحوادث نهب مسلح، كان أبرزها حادثة نهب تاجر ذهب في أم درمان، فإن المتحدث باسم الشرطة، العميد فتح الرحمن محمد التوم، قال في تصريح سابق للجزيرة نت إن هذه الحوادث في تراجع واضح.

مشيرا إلى أن الخلية الأمنية تولي مسألة تفكيك شبكات النهب، وخصوصا من يرتدون زي القوات النظامية، اهتماما كبيرا، وقد تم توقيف العشرات من المتورطين.

ما رأي المواطنين بعمل اللجنة؟

يرى مواطنون تحدثوا للجزيرة نت أن كثافة التشكيلات العسكرية في العاصمة أسهمت في استغلال المجرمين لهذا الوضع عبر ارتداء زي عسكري وانتحال صفة نظاميين لتنفيذ عمليات نهب تحت تهديد السلاح. وفي هذا السياق، دخل تجار الذهب في أم درمان في إضراب مفتوح احتجاجا على حادثة نهب طالت أحد التجار في شارع الوادي

ويقول خالد الخنجر تبيدي، رئيس غرفة تجار الذهب وشيخ الصاغة بولاية الخرطوم، للجزيرة نت إنهم يدعمون بشدة قرار إفراغ العاصمة من الوجود المسلح «اليوم قبل الغد»، معتبرا أن الحرب قد انتهت، وأن بقاء المسلحين بين المدنيين يمثل تهديدا أمنيا بالغ الخطورة، خصوصا في ظل وجود آلاف المجرمين الذين فروا من السجون مع بداية الحرب.

في نفس الاتجاه، يعبر أبو بكر أحمد، وهو تاجر في سوق صابرين، أكبر الأسواق الشعبية بشمال أم درمان، عن دعمه القوي لقرار إفراغ العاصمة من السلاح، مؤكدا أن انتشار المسلحين من مختلف التشكيلات تحول من «نعمة إلى نقمة». ويوضح أن التجار يغلقون محالهم في الخامسة مساء خوفا من التفلتات.

كما يشير إلى أن كثافة الوجود الأمني تعطي انطباعا مضللا بأن الحرب ما زالت مستمرة، في حين أن العاصمة باتت خالية فعليا من مليشيا الدعم السريع. لذلك، يدعو أحمد إلى أن تتولى الشرطة مسؤولية حفظ الأمن بالكامل، وأن يتم إخراج كافة القوات المقاتلة لإثبات عودة الحياة إلى طبيعتها.

يقول المواطن محمد عبد المتعال، في حديثه للجزيرة نت، إنه لا يغادر منزله مع أسرته في ساعات المساء إلا في حالات الضرورة القصوى، بسبب ما يراه يوميا من حوادث نهب وإطلاق نار عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

ويؤيد عبد المتعال بشدة قرار إنهاء الوجود العسكري في الخرطوم، معتبرا أن هذه الخطوة ضرورية لإعادة الطمأنينة إلى السكان، وتشجيع النازحين واللاجئين على العودة إلى منازلهم في العاصمة.

VOICE of sudanese community
السبت ٢٦ يوليو ٢٠٢٥م - ١ صفر ١٤٤٧ هـ
SATURDAY 26 JULY 2025 - ISSUE No. 44

خطوات مشتاقة لأرضِ الوطن

السودان يواصل إعادة العالَقين في الخارج

○ بورتسودان - «فويس»

● بأنغام نوبيةٍ قديمة، وخطوات مشتاقة لأرض الوطن، تقدمت سيدةٌ سودانية تحمِلُ في يدها علم السودان تلوِّح بهَ أمام المنتظرين عند سلم الطائرة، تبشر بمقدم مئات السودانيين العائدين من سلطنة عُمان ضمن برنامج العودة الطوعية الذي تتبناه الحكومة السودانية

وحملت الرحلة القادمة من مطار مسقط إلى بورتسودان ١٢٠ من السودانيين العالقين هناك منذ أكثر من عام، بعد أن تقطعت بهم السُبل واستحالت ظروف إقامتهم هناك.

شعور العودة

ينظر مهند أحمد بغرابة إلى كل الوجوه المحتشدة بمطار بورتسودان، وكأن أقدامه تطأ أرض السودان للمرة الأولى، يشعر أن عامين من اغترابه في عُمان كأنها ٢٠ سنة.

يغلبه الحديث تارة فيصمت محاولاً تهدئة مشاعره الهائجة، ثم يواصل مهند حديثه بغبطة «إن شعور العودة للسودان إحساس غامر بالمحبة، يسبقه الشوق للأهل والأصدقاء، وجلسات القهوة».

ويردف مهند بعيون مغرورقة «أروع شعور هو العودة للوطن». ثم يلملم حقائبه على عجل، وكأنما يحث خطاه للوصول إلى المنزل سريعا، ويستدرك: «أخبروني أن المغادرة خلال ١٢ ساعة فقط، لم يكن الوقت كافياً ولكني عُدت». سيدة سودانية أخرى تسبقها ابتسامتها وهي بمطار بورتسودان، تلملم حقائبها، وتُعرِّف نفسها بأنها الطبيبة السودانية لمياء، وتقول: «في النهاية هي بلدنا، ونحن مَن نعمرها، كأطباء وأنتم كصحفيين، والعودة للسودان لم تكن قرارا سهلاً ولكن مع الاستخارة ارتحنا للعودة، ونحن اليوم هنا».

وتضيف لمياء، بينما تحاول ضم إبنيها الاثنين إليها «شعور السعادة يغمرنا بالعودة للسودان، وقد استجيبت دعواتنا»، مشيرة إلى أنها كانت تخاف من تعقيدات العودة الطوعية كونها عالقة في سلطنة عمان منذ عام ونصف عام برفقة أطفالها، إلا أن الأمر مضى بيسر.

تعاون رسمي وشعبي

وكانت الحكومة السودانية -حسب الإعلام السوداني الرسمي- أعلنت عن توجيه مجلس السيادة وإشراف منظومة الصناعات الدفاعية لإعادة نحو «٣٠٠٠ مواطن سوداني عالق في سلطنة عمان ضمن جهود طوعية لإعادتهم إلى أرض الوطن».

وقال مدير الخطوط الجوية السودانية، كابتن مازن العوض، في تصريح خاص للجزيرة نت، إن «مبادرة من وزارة المالية ووزارة النقل مع سودانيين كانت خيرا لكل مواطن سوداني عالق أراد العودة لبلاده».

وأشار إلى أن مبادرة العودة الطوعية تستهدف نحو «٤٥ ألف» شخص عالق سوداني في العالم، وأن البداية كانت من إيران خلال الفترة الماضية، ثم مسقط تليها ليبيا ومع كل الدول حتى «إعادة آخر مواطن سوداني، وأن ذلك يُمثل الهدف الذي نعمل من أجله حاليا» لبناء سودان أفضل.

من جهته، قال وكيل وزارة النقل أبو بكر أبو القاسم، إن «مشروع العودة الطوعية للعالقين في عُمان يأتي بمبادرة من رئيس مجلس السيادة السوداني عبد الفتاح البرهان، ورئيس وزراء السودان كامل إدريس، وبدعم من وزير المالية السوداني جبريل إبراهيم».

وأضاف في تصريح للجزيرة نت، «الرحلات ستتوالى من سلطنة عُمان إلى السودان خلال الأيام المقبلة لنقل كل السودانيين العالقين هناك»، ولفت إلى أن السودان استقبل، من قبل، السودانيين العائدين من دولة جنوب السودان بأكثر من ١٨ رحلة في إطار العودة الطوعية

وأكد أبو القاسم أن «الحكومة السودانية مهتمة جداً بالسودانيين الموجودين بالخارج، وأن الجهود ستبذل لإعادة كافة العالقين من كل الدول»، وذلك بتعاون الجميع من مجلس السيادة ووزارة المالية ووزارة النقل مع الشعب السوداني.

إعادة الكل

من ناحيته، أكد وزير الموارد البشرية والتنمية الاجتماعية، معتصم أحمد صالح، أن رحلات العائدين إلى السودان تأتي في إطار التزام الدولة بدعم العودة الطوعية للبلاد، وأن مؤسسات الدولة تواصل جهودها بإعادة السودانيين إلى مسقط رؤوسهم في الولايات المختلفة.

ويقول للجزيرة نت، إن «وزارة الموارد البشرية والتنمية الاجتماعية ملتزمة بدعم العودة الطوعية؛ لأنها تعلم معاناة المواطنين السودانيين»، وأعلن أنه سيوجه كل الإدارات المختصة لدعم الأسر الفقيرة، وتعهد بالإسهام في عودة المواطنين إلى كل ولايات السودان».

أما سكرتير مجلس إدارة الخطوط الجوية السودانية، عبد اللطيف حسن آدم، فقال: إن الحكومة السودانية حرصت على الوقوف إلى جانب الشعب السوداني وعبر ناقلها الوطني استقبلوا الرحلة الثانية من سلطنة عُمان، وضمت ١٢٠عائدا، أغلبهم من العائلات، مشيرا إلى أنه تبقى ٣ رحلات أخرى.

وأضاف للجزيرة نت، أن «وزير المالية السوداني رئيس مجلس إدارة الخطوط الجوية السودانية، وافق على إجلاء كل السودانيين العالقين في سلطنة عمان وكل الدول العربية ودول الجوار».

وكانت منظمة الهجرة الدولية قد أعلنت -في وقت سابق- أن السودان قد شهد خلال ٦ أشهر فقط، عودة أكثر من مليون سوداني، أغلبهم إلى ولايتي الجزيرة والخرطوم، وعاد من مصر وحدها ما يقارب «٢٧ ألف» سوداني خلال يونيو/حزيران الماضي.

«ألواح النور».. أنظمة الطاقة الشمسية تنقذ بيوت السودانيين من الظلام

○ متابعات - «فويس»

● وسط الأزمات المتفاقمة في السودان، يسعى المواطنون جاهدين لاستعادة نمط حياتهم الطبيعي بأبسط الوسائل المتاحة، وعلى رأسها الاعتماد المتزايد على الطاقة الشمسية لمواجهة الانقطاع المتكرر للكهرباء. هذا الاتجاه الإجباري نحو الطاقة النظيفة أدى إلى انتعاش سوق الأجهزة المرتبطة بها، من ثلاجات ومكيفات تعمل بالطاقة الشمسية إلى الألواح والبطاريات وخدمات الصيانة، مما أوجد فرص عمل جديدة وأدخل كثيرين في عالم لم يكونوا جزءًا منه من قبل. ورغم التكلفة المرتفعة نسبيًا، إلا أن الكثيرين يرون فيها خيارا أكثر استقرارا وأمانا في ظل الأحداث المتقلبة والخدمات المتعثرة، ما يطرح تساؤلات حول مستقبل هذا التحول في حال عادت الأوضاع للاستقرار.

الكهرباء تدفع السودانيين نحو الطاقة الشمسية

تقول إلهام علي، المقيمة في مدينة شندي بولاية نهر النيل، إنها لم تكن تتوقع أن تعود لاستخدام أدوات أجدادها، لكنها اضطرت لذلك بسبب الانقطاع المستمر للكهرباء منذ بداية الحرب. وتوضح في حديثها لـ«الجزيرة نت» أنها تستخدم «الهبابة» - مروحة يدوية مصنوعة من السعف - لإشعال النار، و«الموعلاق» أو «المشعليب» - وهو بديل تقليدي للثلاجة يُصنع من سعف النخيل ويُعلق في سقف المطبخ، بالإضافة إلى استخدام الزير لحفظ الماء، والفانوس للإضاءة، ومكواة الفحم القديمة. رغم أن هذه الأدوات سدّت احتياجاتها اليومية، إلا أن المعاناة لا تزال مستمرة، وتفكر بجدية في ادخار المال لتركيب نظام طاقة شمسية. لكنها تتردد، إذ في حين يرى البعض في هذه الخطوة حلاً جذريًا لأزمة الكهرباء، يحذر آخرون من ضعف كفاءة الأجهزة المتوفرة وسوء جودتها، ما يجعل الاستثمار فيها مخاطرة

إمكانات كبرى وتحديات قاسية

تتمتع السودان بظروف مثالية لتوليد الطاقة الشمسية، بفضل مساحاتها الصحراوية والزراعية الواسعة. وقد عززت الحكومة هذا التوجه من خلال أطر تنظيمية وسياسات وطنية تدعم الطاقة المتجددة، أبرزها «قانون الطاقة المتجددة وكهربة الريف» الصادر عام ٢٠١٣، والذي يشكل الأساس القانوني لمشاريع الطاقة الشمسية خارج الشبكة. كما تقدم الدولة حوافز ضريبية ومالية وإعفاءات جمركية لتشجيع الاستثمار في هذا القطاع.

واقع يؤمن عليه عبده حسين، تاجر في مجال أدوات الطاقة الشمسية في السودان، يقول للجزيرة نت: «قبل الحرب كان لدي شركة تراكتورات وآليات، ومولدات كهرباء بالعاصمة ولكن بسبب الحرب في ذلك الوقت خرجنا إلى ولاية نهر النيل وكنت أبحث عن مشروع بديل بعد أن فقدت تجارتي وكل ما أملك، لذا فكرت في العمل بمجال تجهيزات الطاقة الشمسية، قرابة الثلاث سنوات من العمل على هذا المشروع جعلتني أؤمن أنه مشروع واعد، فالطلب كبير جدا لدرجة أننا كتجار نقوم بحجز البضاعة قبل أن تصل إلى ميناء بورت سودان بالحاويات».

ويتابع: «في البداية عملت على تأسيس منظومات الطاقة الشمسية الزراعية لتوفير المياه للمزارعين عقب ارتفاع سعر الجازولين بسبب الحرب، لكن تزايد الطلب حتى من غير المزارعين مع الانقطاعات المتزايدة للتيار الكهربائي، حيث صارت الخدمة شبه معدومة في بعض الأماكن بسبب سرقات المحولات الكهربائية الحكومية والماكينات من قبل مليشيات الدعم السريع، ما دفع الكثير من المواطنين إلى التفكير في منظومة الطاقة الشمسية كبديل لتوفير الكهرباء وسط الأوضاع السيئة».

رغم فقدان كثير من السودانيين لمصادر دخلهم، لا تزال الطاقة الشمسية تُعد خيارا اقتصاديا بالمقارنة مع الكهرباء العامة، وفقا لعبده حسين، الذي أوضح أن «الحكومة رفعت سعر الكيلوواط، بينما تقتصر تكلفة الطاقة الشمسية على مرحلة التأسيس فقط، وبعدها يبدأ التوفير». وأضاف أن تأسيس نظام شمسي لمنزل يشغّل ثلاجة، مروحتين، مكيفا من نوع سبليت، إنارة، مضخة مياه، وتلفاز، يكلف نحو ألفي دولار.

طاقة نظيفة ومجال عمل مربح

يعمل أمجد مأمون أحمد (٢٨ عامًا) في صيانة مولدات الكهرباء وتركيب أنظمة الطاقة الشمسية للأغراض السكنية والزراعية. ويؤكد في حديثه لـ«الجزيرة نت» أن «الطاقة الشمسية غير مكلفة على المدى الطويل، إذ تدفع تكلفتها مرة واحدة فقط، وبعدها لا يحتاج صاحبها لأي مصاريف صيانة أو فواتير لمدة لا تقل عن ٧ سنوات، إذا تم الحفاظ عليها جيدًا». ويضيف أن العمل في هذا المجال مجز وممتع، خاصة وأنه يعتمد على طاقة نظيفة تستخدمها الدول المتقدمة للحد منَ التلوث والانبعاثات. ويرى أن السودان قد يستفيد من التوسع في استخدامها، لا سيما بعد تضرر عدد من خزانات ومحطات الطاقة الكهرومائية مثل سد مروي وخزان جبل الأولياء.

مجال واعد.. هل يستمر؟

صحيح أن الأوضاع أجبرت عبده على العمل في مجال الطاقة الشمسية إلا أن مستقبلها يبدو مشرقا برأيه، يقول: «الآن هناك بادرة طيبه من بنك الخرطوم حيث قام بتفعيل نظام التمويل للمنازل في حدود ١٠ مليون جنيه سوداني تسدد على شكل أقساط لمده ٢٤ شهرا فقط لتمويل الطاقة الشمسية».

تعمق عبده في دراسة مكونات الطاقة الشمسية، واكتسب خبرة كبيرة من احتكاكه بالمهندسين العاملين في المجال كصاحب عمل، يقول: «تعلمت أبجديات حسابات الأحمال الكهربائية وكيفية تكوين منظومة متكاملة بحسابات دقيقة، تعلمت أكثر عن جميع الأجهزة المتعلقة بالطاقة الشمسية، ما فتح لي قنوات مع أصحاب مصانع في الصين والهند على مستوى الاستيراد، وأرى أن الطلب سيكون كبير جدا خلال الفترة القادمة».

المصدر - «الجزيرة»

تراجع دور المفوضية وارتفاع مستوى المعيشة وغياب فرص عمل مجزية أبرز الأسباب

قطار العودة .. نار الحرب أهون من الغلاء

○ متابعات - «فويس»

● في حين تعدد شريحة واسعة من السودانيين الأسباب التي تدفعها إلى مغادرة مصر والانجذاب إلى مشروع العودة الطوعية، يقول مدير مكتب «حق» للدعم القانوني والنفسي للاجئين ياسر فراج إن أعداداً كبيرة من السودانيين لا مفر أمامها سوى العودة إلى بلادها، بسبب عدم امتلاكهم مصادر دخل وعدم تأهيلهم للانخراط في سوق العمل المصري.

بعد قرابة عامين من الإقامة في مصر، على خلفية الحرب المستعرة في السودان منذ أبريل (نيسان) ٢٠٢٣، لم يجد أكرم الحاج سوداني في الخمسينيات من عمره، مقيم بمنطقة فيصل بالجيزة، سبيلاً أمامه سوى الاستعداد للعودة إلى الخرطوم برفقة أسرته، منتظراً دوره للالتحاق برحلات العودة الطوعية التي تنظمها جهات سودانية تابعة للجيش.

وتتواصل رحلات العودة الطوعية بصفة أسبوعية من القاهرة على مدى الأشهر الثلاثة الماضية، التي تقل سودانيين راغبين في العودة إلى الخرطوم، وصولاً بانطلاق المرحلة الثانية من المشروع الإثنين الماضي، التي استبدلت فيها وسيلة النقل من الأتوبيسات إلى القطارات بالتنسيق مع الجهات المصرية.

وثقت «اندبندنت عربية» شهادات سودانيين يرفضون العودة وسط استمرار القتال بين الجيش السوداني وقوات «الدعم السريع»، إلى جانب توثيق حالات فرار أشخاص من السودان إلى الحدود المصرية عبر طرق غير شرعية هرباً من مناطق النزاع، تزامناً مع انتظام الرحلات الطوعية التي تنطلق من القاهرة.

نار الحرب أهون من لهيب الغلاء

بينما يقول أكرم في حديثه إلى «اندبندنت عربية»، «أفضل العودة إلى السودان لأسباب اقتصادية، إذ باتت ظروف المعيشة في مصر صعبة بسبب الغلاء، وصعوبة إيجاد عمل بدخل مجزٍ، إضافة إلى انقطاع الدعم من مفوضية الأمم المتحدة».

ويعزو أكرم قراره بالعودة إلى عوامل عدة، قائلاً «لا أجد عملاً منتظماً، وأجد صعوبة في دفع إيجار السكن الذي لا يقل عن ٥ آلاف جنيه شهرياً (١٠٢ دولار أميركي)، في حين يمكننا في السودان السكن في منزل نملكه دون كلفة إضافية. الوضع الأمني تحسن في الخرطوم العاصمة، لكننا نفضل العودة في الشتاء خشية انقطاع الكهرباء في الصيف».

وتواصلت «اندبندنت عربية» مع رئيس لجنة العودة الطوعية للسودانيين أميمة عبدالله لمعرفة تفاصيل الرحلات من القاهرة إلى الخرطوم، وأفادت بأن عدد السودانيين الذين غادروا مصر منذ انطلاق المرحلة الأولى خلال أبريل (نيسان) الماضي بلغ ١١١٠٠ سوداني، إذ جرى تنظيم ١٨٧ رحلة باستخدام الأوتوبيسات، قبل أن تبدأ اللجنة الإثنين الماضي المرحلة الثانية التي تعتمد على القطارات بالتنسيق مع الحكومة المصرية.

وأوضحت رئيس اللجنة أن التحول إلى استخدام القطارات جاء بعدما لاحظت اللجنة الضغط من السودانيين في مصر على هذه الرحلات، ولتقليص عدد الرحلات الأسبوعية من يومين إلى يوم واحد، إذ تتيح القطارات نقل أعداد أكبر من الأتوبيسات. وأكدت أن اللجنة ستواصل تنفيذ هذه المرحلة حتى الوصول إلى العدد المستهدف من السودانيين الراغبين في العودة إلى ديارهم

وبينما تحتضن مصر أكثر من ١,٥ مليون سوداني دخلوا أراضيها منذ اندلاع النزاع في السودان خلال أبريل (نيسان) ٢٠٢٣، أعلنت المنظمة الدولية للهجرة اليوم الخميس أن نحو ٢٦٩٦٥ سودانياً عادوا من مصر إلى بلادهم خلال يونيو (حزيران) الماضي، وبلغ إجمال السودانيين العائدين من مصر منذ مطلع يناير (كانون الثاني) ٢٠٢٥ حتى نهاية يونيو نحو ١٩١٠٧٥ شخصاً، أي ما يقارب خمسة أضعاف عدد العائدين خلال عام ٢٠٢٤، الذي لم يتجاوز ٤٢٤١٨ فرداً. وبحسب المنظمة، يتحدر غالبية العائدين من ولايتي الخرطوم (٦٥ في المئة) والجزيرة (٢٣ في المئة)، وهما من أكثر المناطق تضرراً بالنزاع.

وفي حين تؤكد المسؤولة السودانية تزايد أعداد المقبلين على هذه الرحلات، لا تزال الأربعينية تهاني عبدالمنعم تتمسك بالبقاء في مصر، انطلاقاً من أسباب تراها منطقية لعدم العودة، مشيرة إلى عودة نحو ٢٠ فرداً من أصل نحو ٥٠ فرداً من عائلتها

تقول تهاني «الوقت غير مناسب للعودة، نظراً إلى أن الغلاء في السودان مضاعف، إذ ترتفع أسعار السلع الغذائية ويبلغ متوسط المصاريف اليومية للأسرة متوسطة الدخل من دون لحوم نحو ٢٠٠٠ جنيه مصري (٤١ دولاراً أميركياً)، ولا تتوافر جميع السلع مع نقص حاد في الأدوية وعدم استعادة الأمن بصورة كاملة، إلى جانب انتشار عصابات متخصصة في السرقة وظهور الأوبئة لوجود جثث في بعض الشوارع».

وقبل أيام، حذرت الأمم المتحدة من استمرار تدهور الأوضاع الإنسانية داخل السودان، مشيرة إلى أن تفشي الكوليرا وموجات النزوح الناتجة من الفيضانات إلى جانب نقص المساعدات، باتت تهدد حياة السكان في مختلف أنحاء البلاد. وأكدت أن الشركاء المحليين والدوليين أنشأوا مراكز لمعالجة المصابين بالكوليرا، غير أن الإمكانات الحالية لا ترقى إلى مستوى الاستجابة المطلوبة في ظل تزايد الحالات المسجلة. وبحسب تهاني، فإن عدداً من الشباب السوداني غادر مصر لعجزه عن تحمل كلف المعيشة من دون دخل كاف، في ظل ارتفاع نفقات السكن والحاجات اليومية، بينما عادت بعض العائلات مجدداً إلى مصر بعد مغادرتها إلى السودان. مشددة على أن الأمان غير متوافر في السودان، خلافاً لما تروج له حملات تحث على العودة الطوعية.

هل هي عودة طوعية أم قسرية؟

وحول تجربتها التي انتهت بها بالاستقرار في القاهرة، أوضحت أنها وصلت إلى مصر خلال نوفمبر ٢٠٢٤ عبر طرق التهريب، إذ لجأت العائلة إلى هذا المسار على فترات متقاربة. لكنها تجد صعوبة في إقناع شقيقها بعدم العودة، لإصراره على مغادرة مصر بسبب انخفاض دخله، وما تركه ذلك من أثر نفسي عليه.

وتضيف أن شقيقها انتقل إلى أكثر من مكان للعمل ويوميته لا تزيد على ١٠٠ جنيه، وتنقل بين مطاعم ومخابز وكان يجبره أصحاب العمل على دوام طويل يصل إلى ١٢ ساعة، بينما أقصى دوام في السودان ثماني ساعات، ويضطر لمواصلة العمل طوال الأسبوع حتى يتمكن من تلبية المتطلبات الأساس.

وفي ظل استمرار الدعوات التي تحث السودانيين المقيمين في مصر على العودة، تستشهد تهاني بقولها «اصطدمت بأن جميع أفراد الأسرة باتوا يبحثون عن العودة على رغم الأسباب المنطقية التي تجعلها صعبة، تحت ضغوط الإيجارات المرتفعة، إذ لا يحتمل أصحاب السكن أي تأخير في الدفع، وعدد من أفراد العائلة عادوا إلى الخرطوم أخيراً بكلفة تصل إلى ٥٠٠٠ جنيه، ولا صحة لوجود عودة طوعية مجانية كما يروج».

حول ما يتردد في شأن دفع بعض السودانيين مبالغ مالية لوسطاء مقابل الانضمام إلى رحلات العودة الطوعية، شددت رئيس لجنة العودة الطوعية على أن المشروع مجاني بالكامل، ويتحمل نفقات القطارات ورسوم المعابر، إذ تسدد اللجنة ٢٥٠ جنيهاً عن كل شخص. وأكدت أن أي مبالغ تطلب من وسطاء تمثل حالات احتيال لا علاقة للجنة بها.

وتتخذ العودة الطوعية مساراً محدداً حتى الوصول إلى المناطق الآمنة في الخرطوم، إذ أوضحت أميمة عبدالله التي ترأس اللجنة المكلفة من منظومة الصناعات الدفاعية، وهي مؤسسة حكومية تابعة للجيش السوداني أن الرحلات مجانية بالكامل، إذ تنطلق القطارات إلى السد العالي ومن هناك تقلهم أتوبيسات إلى العبارة وفي السودان يكون في انتظارهم ٢٠ أتوبيساً لنقلهم إلى وجهتهم النهائية في الخرطوم.

وبينما يرى خبراء أن المبادرة تحمل طابعاً دعائياً، مستندين إلى الأعداد الضئيلة للعائدين مقارنة بالمقيمين في مصر خصوصاً أن الرحلة لا تتجاوز ١٠٠٠ شخص، ترد أميمة قائلة «لدينا ٣٠٠٠ سوداني على قوائم الانتظار، ونستهدف عودة مليون سوداني عبر هذه الرحلات الأسبوعية».

وبحسب المتخصص القانوني المتخصص في قضايا اللاجئين الإفارقة، أشرف ميلاد فإن مشروع العودة الطوعية يحمل طابعاً رمزياً، إذ لا تمثل أعداد السودانيين الذين يستخدمون هذه الوسائل للعودة سوى نسبة محدودة من أصل أكثر من مليون سوداني دخلوا مصر منذ اندلاع الحرب الأخيرة منتصف أبريل (نيسان) ٢٠٢٣، معتبراً أن المنتمين إلى دارفور المناطق التي يشتد فيها الاقتتال لن يفكروا في العودة في هذا التوقيت.

فيما أشار إلى أن عدد السودانيين ارتفع بصورة كبيرة في مصر خلال العامين الماضيين، مما أدى إلى فجوة تمويلية لدى مفوضية اللاجئين، انعكست على تقليل الدعم الشهري الذي كانت تقدمه لبعض الأسر، إلى جانب تعرض عدد منهم للتوقيف بسبب عدم امتلاكهم أوراق إقامة قانونية.

تعود رئيسة اللجنة المشرفة على العودة الطوعية للسودانيين وتقول «أعداد من السودانيين عادوا على نفقتهم الخاصة، إذ استقبل المعبر نحو ٥٠ ألف سوداني خلال الأشهر الماضية. ونحن نعتمد على نافذة تسجيل واحدة عبر رقم واتساب، وتتطلب تقديم وثائق تثبت الجنسية السودانية، مثل جواز السفر أو البطاقة القومية لجميع أفراد الأسرة، ولا يجري التعامل مع أية حالة لا تستوفي هذه الشروط».

وبخصوص التعامل مع السودانيين الراغبين في العودة ممن ينتمون إلى مناطق لا تزال تشهد نزاعات، أوضحت أن هذه الحالات تتجه عادة إلى مناطق آمنة يوجد فيها أقارب لهم. وأشارت إلى أن محطات الوصول المعتمدة هي ولاية نهر النيل، ومدينة عطبرة والميناء البري في الخرطوم، مضيفة أن معظم المنتمين إلى ولاية الجزيرة انضموا إلى الرحلات في حين لم تسجل حالات انضمام من مناطق دارفور، وغالبية المسجلين من سكان الخرطوم، التي باتت شبه خالية من سكانها.

في حين تعدد شريحة واسعة من السودانيين الأسباب التي تدفعها إلى مغادرة مصر والانجذاب إلى مشروع العودة الطوعية، يقول مدير مكتب «حق» للدعم القانوني والنفسي للاجئين ياسر فراج إن أعداداً كبيرة من السودانيين لا مفر أمامها سوى العودة إلى بلادها، بسبب عدم امتلاكهم مصادر دخل وعدم تأهيلهم للانخراط في سوق العمل المصري، مضيفاً أن غالبيتهم دخلوا مصر عبر طرق التهريب، مما يجعلهم يواجهون صعوبات في التنقل والحصول على إقامة قانونية.

وأضاف أن عدداً منهم نفدت مصادر دخلهم ويعتمدون بصورة كاملة على تحويلات أبنائهم العاملين في الخارج لتحمل أعباء المعيشة المرتفعة، مشيراً إلى أن الصدمة الثقافية التي تعرض لها كثر دفعت شريحة واسعة للتفكير في العودة، مهما كان الوضع في السودان، لكن توجد أيضاً حالات «عودة عكسية» من السودان إلى مصر بكثافة ملحوظة، وتظل حركة التنقل نشطة في الاتجاهين.

مصيران أحلاهما مر

يقول محمد الشيخ سوداني وصل إلى مصر مع أسرته خلال الأسابيع الأولى من الحرب الأخيرة إن الخيارات المتاحة أمامهم محدودة، موضحاً «العملة السودانية باتت ضعيفة جداً أمام الجنيه المصري، بالتالي فإن ما يصلنا من دعم لا يكفي لتغطية الإيجارات أو نفقات المعيشة المرتفعة في مصر. لكن العودة إلى السودان أيضاً صعبة في ظل الانقطاعات المتكررة للتيار الكهربائي، وانتشار وباء الكوليرا في عدد من المناطق، مع نقص حاد في المرافق الصحية».

ويتابع «نقيم في مصر في ظل تراجع دور مفوضية اللاجئين والاكتظاظ الكبير على خدماتها، إلى جانب غياب فاعلية المنظمات الشريكة في دعم اللاجئين، بالتالي فإن خيار العودة يبدو أحياناً الطريق الوحيد لكنه في الواقع غير مأمون العواقب، وعلى رغم كل شيء لا تزال أعداد من السودانيين تفر إلى مصر، بحثاً عن الرعاية الطبية أو هرباً من انعدام الأمان».

ويضيف «من ضاقت بهم السبل، وتآكلت طاقتهم أمام الغلاء وتضخم العملة وكلف المعيشة، وبخاصة في دول الجوار مثل مصر بدؤوا يفكرون في العودة. لا لأن الوطن لاستقبالهم، بل لأن البقاء بات مستحيلاً، أصبح أهون من الجحيم اليومي». بينما من استطاعوا تثبيت أقدامهم ولو نسبياً، خارجي أو روابط أسرية في المهجر، فهم جاهدين بناء أوطان صغيرة في منافيهم، التحديات اليومية من التعليم الشحيح الصحية المحدودة، وفرص العمل المسدودة الثقافي والقانوني».

ويختم محمد الشيخ حديثه «المفارقة والعودة، كلتاهما مرة. لا الأولى تضمن الثانية تضمن النجاة. ومهما تنوعت النتيجة واحدة وهي أن اللاجئ لا يختار تدفعه الظروف دفعاً إلى خيارات لا تشبه أن نتوقف عن تصوير العودة الطوعية إرادة حرة، فهي في غالب الأحيان عودة ضمانات ولا رؤية واضحة، سوى التعلق بشيء من الحنين».

VOICE of sudanese community
السبت ٢٦ يوليو ٢٠٢٥م - ١ صفر ١٤٤٧ هـ
SATURDAY 26 JULY 2025 - ISSUE No. 44

عاصفة الخرطوم لا تزال تنتظر من يوقظها!

متنوعة الحياة .. هدوء بالأسواق وفراغ إداري ..

○ الخرطوم – محمد نوار «الجزيرة»

● تبدو الصورة في قلب ووسط العاصمة السودانية، وتحديدًا في مركزها التجاري حيث تتوزع الدواوين الحكومية والمؤسسات، مضطربةً وتعكس حالة من الجمود، على النقيض من الأحياء الشعبية البعيدة التي بدأت تستعيد شيئًا من نبض الحياة تدريجيا.

ويقتصر المشهد في الوسط على انتشار ظاهر لقوات الشرطة، في مقابل تراجع حضور الجيش بعد إعلان دحر قوات الدعم السريع، من دون أن يصاحب ذلك أي مؤشرات واضحة على استئناف الخدمات أو عودة النشاط الإداري.

وتُظهر الجدران وواجهات المباني آثارًا واضحة للمعارك، حيث تتناثر الندوب والتصدعات، وقد تحولت بعض البنايات إلى أنقاض، في مظهر يرجّح أن إعادة إعمارها ستتطلب وقتًا طويلًا وجهودًا ضخمة.

ويسجّل حضور إداري محدود في رئاسة ولاية الخرطوم المطلة على النيل الأزرق، مع عودة بعض الموظفين وعلى رأسهم الوالي أحمد عثمان حمزة، إلا أن هذا الحضور لا يرقى إلى استئناف فعلي لدولاب العمل.

فقد باشرت بعض الجهات الرسمية، مثل وزارة الداخلية الاتحادية، وعدد من مقار الشرطة، ووزارتي الصحة والمالية في ولاية الخرطوم، أعمالها في مقارها السابقة للحرب، في خطوة أولية نحو استعادة الحد الأدنى من الأداء المؤسسي.

ولكن تلك التحركات المحدودة لم تعن الكثير للحياة الإدارية والخدمية التي لا تزال غائبة إلى حد كبير، وهو أمر يُعزى إلى حجم الدمار الذي أصاب البنية التحتية، مما يستدعي تدخلات هندسية لإعادة تأهيل المباني، وشبكات المياه والكهرباء، فضلًا عن خدمات الاتصالات التي لا تزال ضعيفة في أجزاء واسعة من مركز المدينة.

هدوء في الأسواق وشلل في قلب الخرطوم

وفي جولة الجزيرة نت الميدانية يبدو لافتا خلوّ المركز التجاري للخرطوم ومناطق السوق العربي وشارع الجمهورية وشارع القصر من الحركة إلا من ظهور متقطع وعابر لبعض المركبات العامة والخاصة.

ويمكن ملاحظة بعض ممن يحاولون تفقد مكاتبهم ومؤسساتهم التجارية مع وجود قليل لبعض العمال يتفقدون الأضرار في البنايات أو يراجعون بعض التدابير الخاصة بإغلاق أبواب أو تنظيف وجمع أنقاض

وتبدو الصور في الناحية الجنوبية الغربية من وسط الخرطوم حيث مركز المواصلات العامة في ما يسمى موقف جاكسون أقرب إلى درجة الأفضلية مقارنة بحالة السكون العام في أرجاء الأمكنة.

هنا يتجمع عدد قليل من الحافلات ومركبات النقل العام موزعة حسب اتجاهات خطوط السير إلى وجهات مدن العاصمة؛ من أم درمان غربا والكلاكلات جنوبا وشرق النيل والحاج يوسف شرقا وبحري شمالا.

ويمكن ملاحظة غياب الخطوط المباشرة إلى مناطق الصحافات المنطقة الأقرب نسبيا لوسط العاصمة، وهو ما يعلله منظمو حركة المركبات بالموقف بقلة ركاب تلك المناطق.

ويقول الرشيد أبو أيمن المسؤول عن تنظيم الموقف -للجزيرة نت- إن قلة عدد الركاب اضطرهم إلى خفض تعريفة النقل من ٧ آلاف جنيه إلى ألفي جنيه أحيانا.

ويقول أبو أيمن للجزيرة نت إنهم يجتهدون في تنظيم حركة المواصلات العامة والمركبات التي يتوقع أن تزيد في مقبل الأيام. ويرى أبو أيمن أن من أسباب ضعف حركة المواصلات عدم استئناف المصالح الحكومية لأعمالها، فلا توجد حاليا سوى الشرطة، ويضيف أن «غالب القادمين إلى وسط الخرطوم يأتون عادة لتفقد متاجرهم ثم يعودون».

تاكسي جاد الله ومؤشرات خجولة للانتعاش التجاري

تغيب سيارات الأجرة عن شوارع وسط الخرطوم بشكل شبه تام، باستثناء تاكسي عم جاد الله حسب الرسول، الذي يُعد السائق الوحيد الذي يواصل العمل في هذه المنطقة حتى الآن.

يقول جاد الله للجزيرة نت إنه كان أول من استأنف الخدمة فور دخول الجيش إلى قلب المدينة، مضيفًا أنه يصل إلى موقعه بين كوبري الحرية وموقف جاكسون في وقت مبكر من الصباح، ويظل في انتظاره القليل من الزبائن حتى مغيب الشمس.

ورغم التحديات والصعوبات المحيطة، يبدي عم جاد الله قدرًا من التفاؤل بشأن تحسن الأوضاع في المدى القريب

وسط العاصمة السودانية ...حراك فاتر و تفاؤل حذر آثار الدمار وسط الخرطوم جراء الحرب

آثار المعارك لا تزال بادية على جدران المباني وواجهات المؤسسات في وسط الخرطوم (الجزيرة)

وعلى مقربة من موقعه، يمتد شارع الحرية شمالًا من كوبري الحرية، ويُعد أحد أكبر المراكز التجارية المتخصصة في بيع الأدوات الكهربائية والإلكترونية.

وقد تعرّض هذا السوق خلال الحرب لعمليات نهب وسلب واسعة، حولته إلى منطقة شبه خالية من النشاط، وألحقت أضرارًا جسيمة بتجاره الذين تكبدوا خسائر فادحة.

لكن عودة الأمن وسيطرة الجيش على المنطقة دفعت عددًا من التجار إلى استئناف أنشطتهم ومحاولة إعادة الحياة إلى السوق بعد نحو عامين من التوقف.

فقد عاد نحو ٨٠ تاجرًا إلى العمل، وجلبوا كميات محدودة من البضائع، في حين بدأ آخرون في ترميم متاجرهم وصيانتها، تمهيدًا لاستئناف النشاط التجاري، خاصة بعد زيارة والي الخرطوم وتقديمه دعمًا وتشجيعًا مباشرًا لهم.

ورغم استمرار ضعف حركة الزبائن، بدأت بعض البضائع تصل إلى السوق، في إشارة أولية إلى نية استعادة الدورة التجارية.

ويقول حافظ موسى الفنجري، أحد تجار السوق ومنسق مبادرة «إحياء النشاط التجاري»، في حديثه للجزيرة نت، إن عودة هذا العدد من التجار رغم حجم الدمار وهواجس الأمن تمثل خطوة مهمة على طريق التعافي.

ويضيف «إذا حُلت مشاكل الكهرباء والمياه، ووفرت الجهات الرسمية تأمينًا جيدًا للمكان، فستكون وتيرة عودة النشاط التجاري أسرع وأكثر استقرارًا.»

عاصمة تنتظر من يوقظها

ورغم الإشارات الفردية والجهود المتفرقة لعودة الحياة، لا يزال وسط الخرطوم يعاني من فراغ إداري واقتصادي وخدمي يثقل على سكانه وتظهره شوارع المدينة وأسواقها جليًا.

وبين التفاؤل الحذر والشلل شبه التام، تبقى العاصمة في حالة انتظار لعودة حقيقية تُخرجها من صدمة الحرب وتعيد إليها نبضها المنهك.

جاد الله حسب الرسول.

حافظ موسى الفنجري.

الرشيد أبو أيمن.

جمع أكثر من ١٠٠ ألف دانة غير منفجرة تم تدمير ٥٠٪ منها

● أعلن المركز القومي لمكافحة الألغام في السودان إزالة الآلاف من مخلفات الحرب والقذائف غير المُتفجرة واكتشاف ما بين ٥-٦ حقول من الألغام المضادة للأفراد المحظورة دوليا.

واتهم المركز قوات الدعم السريع بزرع حقول الألغام بمناطق في وسط العاصمة الخرطوم، وصالحة جنوبي أم درمان ويجري التعامل معها، وفي منطقة الجيلي شمالي الخرطوم، تم نزعها بواسطة سلاح المهندسين.

وقال مدير المركز اللواء خالد حمدان إنه تم خلال عام تدمير أكثر من ٣٧ ألف دانة غير منفجرة، ٢٤ ألف ذخيرة من الأسلحة الصغيرة في ولاية الخرطوم، و٨ آلاف دانة في ولاية الجزيرة، و٧ آلاف في سنار، وأكثر من ١٢٠٠ في شمال كردفان.

وأضاف حمدان «الآن جمعنا أكثر من ٥٠ ألف دانة بولاية الخرطوم، أكثر من ٤٠ ألفا من الأسلحة الصغيرة، وبقايا ذخائر جمعت في ولاية الخرطوم سيتم تدميرها قريبا». وأوضح مدير المركز أن الذخائر غير المُنفجرة تشمل راجمات وهاونات وقذائف بأعيرتها المختلفة أطلقت ولم تنفجر.

وقال إن قوات الدعم السريع زرعت الألغام المضادة للدبابات بكثافة شمالي بحري في المناطق المتاخمة لمصفاة الجيلي ومنطقة الجيلي ومناطق قرّي باتجاه منطقة حجر العسل شمالي بحري.

وسجل المركز القومي لمكافحة الألغام مقتل وإصابة ٥٩ شخصا جراء انفجار مخلفات الحرب في ٢٨ حادثا عام ٢٠٢٤ بعدد من ولايات السودان (الخرطوم، الجزيرة، سنار، شمال كردفان منطقة أم روابة، إقليم النيل الأزرق)، ١٤ وفاة، و٤٥ إصابة. وأشار مدير المركز إلى أن ٧ فرق تعمل على إزالة في الخرطوم -اثنان بتمويل حكومي، و٥ تمولها الأمم المتحدة- بجانب فرق في ولايات الجزيرة، النيل الأبيض، سنار، شمال وجنوب كردفان، وفرق توعية بتمويل من اليونيسيف.

اللواء خالد حمدان.

فرق إزالة الألغام

وقال حمدان إن ضعف التمويل الحكومي والأممي أبرز التحديات التي تواجه المركز الذي يحتاج مزيدا من الفرق للتعامل مع مخلفات الحرب، خاصة في الخرطوم الأكثر تأثرا، حيث قدمت دولة كندا فقط دعما للسودان، في ظل وعود فقط من الاتحاد الأوروبي. وأضاف أن فقدان المركز والمنظمات لكل الأصول والمعدات الخاصة بأعمال مكافحة الألغام يشكل تحديًا آخر في ظل الانتشار الكبير للمخلفات الحربية في كل المناطق.

وقبل اندلاع الحرب منتصف أبريل/نيسان ٢٠٢٣ قال المركز القومي لمكافحة الألغام إن السودان كان على وشك إعلان السودان خاليا من مخلفات الحرب، أما الآن انتشرت مخلفات الحرب والتلوث في مناطق جديدة خاصة المناطق الحضرية في المدن مما شكل عبئا إضافيا مع وُجود المواطنين. وتنتشر في أكثر من ٨٠٪ من ولاية الخرطوم مخلفات الحرب، والجزيرة بنسبة ٥٠٪.

من فرق إزالة الألغام

VOICE of sudanese community
السبت ٢٦ يوليو ٢٠٢٥م - ١ صفر ١٤٤٧ هـ
SATURDAY 26 JULY 2025 - ISSUE No. 44

رحيل المفكر السوداني

جعفر شيخ إدريس

الذي بنى جسرًا بين الأصالة والمعاصرة

توفي في العاصمة السعودية الرياض، صباح الجمعة الماضي، المفكر الإسلامي السوداني البروفيسور جعفر شيخ إدريس، الذي وافته المنية عن عمر ناهز ٩٤ عامًا، بعد مسيرة علمية وفكرية حافلة امتدت لعقود، أثرى خلالها الساحة الفكرية بجهوده الرائدة في التوفيق بين الأصالة والمعاصرة

وقد نعت العديد من المؤسسات الإسلامية حول العالم الفقيد، واصفة إياه بالعالِم والداعية الذي جمع بين عمق العلوم الشرعية ودقة الفهم للفلسفة الغربية، وبقي ثابتا على منهجه المعتدل حتى آخر أيامه.

النشأة والتكوين الفكري

وُلد جعفر شيخ إدريس عام ١٩٣١ في مدينة بورتسودان شرقي السودان، لأسرة متدينة تعود جذورها إلى منطقة نوري شمالي البلاد. ونشأ في بيئة علمية، حيث أتمّ حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، وتلقى تعليمه النظامي الذي توّج بتخرجه في جامعة الخرطوم، وهناك برز نبوغه العلمي وشخصيته القيادية بتوليه رئاسة اتحاد الطلبة.

في خطوة كانت نادرة في ذلك الوقت، انطلق في رحلته الأكاديمية العليا ليحصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة عام ١٩٧٠ من جامعة الخرطوم، بعد دراسة بحثية في جامعة لندن، وكانت أطروحته حول «مفهوم السببية في الإسلام». بهذا الإنجاز، أصبح من أوائل الأكاديميين السودانيين الذين يجمعون بين علوم الشريعة الإسلامية والفلسفة الغربية الحديثة بمنهجية علمية رصينة.

وخلال دراسته الثانوية في مطلع خمسينيات القرن العشرين، انضم إلى حركة التحرير الإسلامي، وكان عضوًا نشطًا في صفوفها، يلقي الدروس والمحاضرات في مواجهة المد الفكري الشيوعي آنذاك، مما يجعله ن الجيل المؤسس للحركة الإسلامية السودانية. هذا المزج المبكر بين النشاط الدعوي والعمق الفلسفي شكل ملامح مشروعه الفكري فيما بعد.

مسيرة أكاديمية عابرة للقارات

بدأ البروفيسور جعفر شيخ إدريس مسيرته في التدريس الجامعي أواخر الستينيات، متنقلا بين مؤسسات علمية مرموقة. عمل مدرسًا للفلسفة في جامعة الخرطوم بين عامي ١٩٦٧ و١٩٧٣، ثم انتقل إلى المملكة العربية السعودية حيث عمل أستاذا بقسم الثقافة الإسلامية في جامعة الرياض (جامعة الملك سعود حاليًا)، قبل أن ينضم إلى هيئة التدريس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

في جامعة الإمام، تقلّد عدة مناصب علمية، ودرّس مواد العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة، وأسهم في تأسيس مركز البحوث بالجامعة. تدرج في مسيرته حتى أصبح من أبرز أساتذتها، وأشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه. وقد تقاعد من العمل الأكاديمي الرسمي في جامعة الإمام عام ١٩٩٧، بعد مسيرة حافلة امتدت ٣٠ عامًا.

ولم يقتصر عطاؤه على العالم العربي، بل امتد إلى الغرب، حيث تولى إدارة معهد العلوم الإسلامية والعربية في ولاية فرجينيا بالولايات المتحدة، التابع لجامعة الإمام، وشغل منصب مدير قسم البحث العلمي ثم مستشارًا للمعهد في التسعينيات.

وفي خطوة رائدة، أسس مع نخبة من العلماء الجامعة الأميركية المفتوحة في واشنطن عام ١٩٩٥، وأصبح رئيس مجلسها التأسيسي، بهدف نشر المعرفة الإسلامية بأساليب التعليم عن بُعد. كما عمل مستشارًا للعديد من المراكز الإسلامية حول العالم، مما يعكس مكانته الدولية كمرجع فكري وتربوي.

حوار العقل والإيمان

امتاز البروفيسور جعفر شيخ إدريس ببصمة فكرية فريدة، تمثلت في قدرته الفائقة على الربط بين الفلسفة الغربية ومفاهيم العقيدة الإسلامية بلغة عقلانية سلسة. وقد ساعده على ذلك إتقانه التام للغتين العربية والإنجليزية، مما جعله قادرًا على مخاطبة العقول الغربية بمنطقها ولغتها دون التنازل عن ثوابت العقيدة.

ركّز في طرحه الفكري على مركزية التوحيد وتنقية العقيدة من الشوائب، وعُرف بنقده الموضوعي والهادئ للتيارات الإلحادية والعقلانية المتطرفة، مؤمنا بضرورة مواجهة موجات التغريب بالفكر العميق والحوار الرصين بدلا من الشعارات. وأسهمت مقالاته وأبحاثه في ترشيد الخطاب الإسلامي، داعيا إلى تقديم الإسلام بصورة تتناسب مع العصر الحديث، مما أكسبه لقب «صوت العقل الإسلامي» لدى محبيه وتلاميذه.

ترك البروفيسور جعفر شيخ إدريس إرثًا علميًّا كبيرًا من الكتب والبحوث التي أثرت في أجيال من المفكرين. وتميزت مؤلفاته بالإيجاز والتركيز على الأطر الفكرية العامة.

من أبرز كتبه باللغة العربية: «الفيزياء ووجود الخالق»، «نظرات في منهج العمل الإسلامي»، و«الإسلام لعصرنا». وباللغة الإنجليزية، ألف كتبًا مهمة منها: (The Pillars of Faith) «أعمدة الإيمان»، و«Islamization: Its Philosophy & Methodology) «أسلمة المعرفة: فلسفتها ومنهجيتها».

ويُعدّ من أوائل من كتبوا في موضوع «أسلمة العلوم» خلال السبعينيات، حيث قدم أوراقا تأسيسية أصبحت مرجعًا لمن جاء بعده. وقد تتلمذ على يديه عدد كبير من الطلاب والباحثين لذين يحملون فكره اليوم في أنحاء العالم.

VOICE of sudanese community
السبت ٢٦ يوليو ٢٠٢٥م - ١ صفر ١٤٤٧ هـ
SATURDAY 26 JULY 2025 - ISSUE No. 44

فريق الهلال الأحمر يقوم بنبش الجثامين في مقبرة جماعية مؤقتة بالخرطوم (الشرق الأوسط)

حين يُدفن الأحبة مرتين!

○ الخرطوم - وجدان طلحة، «الشرق الأوسط»

● في صباح شديد الحرارة بميدان حي البركة بضاحية الحاج يوسف بمحلية شرق النيل بالخرطوم بحري، كانت السيدة سعاد عبد الله تحمل طفلها وتحدّق بصمت نحو الحفرة التي كانت قبل دقائق قبراً مؤقتاً لزوجها.

فقبل نحو ٧ أشهر، لم تجد سعاد مكاناً آمناً لدفن زوجها سوى هذا الميدان، والآن تقف لتستلم رفاته في كيس أبيض، كي تمنحه وداعاً متأخراً، لكنه أكثر كرامة، حيث يتم دفنه في مقابر الضاحية.

سعاد واحدة من عشرات الأسر التي عاشت لحظة وداع الأحبة مرتين، في المدينة التي تعج بالمقابر العشوائية، ويعاني أهلها فقداناً للذاكرة الرسمية لضحايا حرب لم تنتهِ فظائعها بعد.

واندلعت الحرب في السودان، في ١٥ أبريل (نيسان) ٢٠٢٣، في العاصمة الخرطوم، بين «قوات الدعم السريع»، والجيش السوداني، للسيطرة على العاصمة، وامتد القتال من الخرطوم إلى ضواحيها، وخاصة أم درمان. وبعد أيام قليلة من الحرب، قتل أكثر من ٥٠٠ قتيل مدني.

وقدّر عدد القتلى في الخرطوم منذ اندلاع الحرب بالآلاف، رغم عدم وجود إحصائيات رسمية. وبعد استعادة الجيش السيطرة على العاصمة في ٢٠ مايو (أيار) ٢٠٢٥، كانت المهمة الأصعب هي كيفية إعادة دفن آلاف الجثث المنتشرة في المقابر الجماعية والطرقات والميادين العامة، وهي مهمة مستمرة حتى الآن.

جثة غرفة الضيوف

● بعد انتهاء العمل في ميدان حي البركة، توجه الفريق إلى منطقة الفيحاء القريبة من ضاحية الحاج يوسف، استجابة لبلاغ بوجود جثة داخل منزل مهجور، قال صاحبه العائد قريباً من رحلة النزوح: «فوجئت بجثة يابسة في صالون بيتي... قال الجيران إنها لأحد أفراد الدعم السريع، قُتل على يد زملائه». وفي منطقة الحاج يوسف أبلغ عن وجود جثة في قناة المياه (ترعة)، تم انتشالها ودفنها في المقابر العامة.

الدكتور هشام زين العابدين، مدير الطب العدلي في الخرطوم، وهو يشرف على عمليات النبش وإعادة الدفن قال لـ«الشرق الأوسط»: «نقل الجثامين مجاناً دون تكلفة، وهي مسؤوليتنا الكاملة». ويبدو هذا التصريح كردّ على ما تناولته منصات التواصل الاجتماعي، بأن السلطات تطالب بمبالغ كبيرة لإعادة دفن الموتى داخل البيوت والأحياء والميادين.

توقع دكتور زين العابدين نقل نحو ٧ آلاف جثة خلال ٤٠ يوماً من ميادين الخرطوم والمنازل إلى المقابر العامة، وأشار إلى وجود أكثر من ٤٠ مقبرة جماعية في أنحاء مختلفة من المدينة تم اكتشافها حتى الآن. وقال إن ٣,٥ ألف جثة تم جمعها وإعادة دفنها منذ بداية العملية، حتى الآن، معظمها جثث قتلى «قوات الدعم السريع»، وتابع: «هناك ٥٠٠ جثة أخرى تم جمعها على الطريق البري الرابط بين أم درمان وبارا، الذي يعرف بطريق الصادرات»، وتابع: «ما زال الطب العدلي يستقبل بلاغات حول وجود مقابر.

وبعد عودة الناس للخرطوم، يتم يومياً اكتشاف جثامين في الأحياء السكنية، أو مقابر جماعية في الميادين. وكشف مدير الطب العدلي عن العثور على مقبرة جماعية في جامعة أفريقيا العالمية جنوب الخرطوم، تضم ٧ آلاف جثة، وتنتشر في مساحة تبلغ كيلومترٍ مربع، تضم قتلى «قوات الدعم السريع». ووصف مناطق شرق النيل وجبل أولياء والصالحة بأنها أكثر المناطق اكتظاظاً بالمقابر الجماعية.

نحن بشر

● أحد أعضاء فريق الطب العدلي أجاب سؤال أحد الحضور، أثناء أخذهم استراحة لشرب الشاي وتبادل القفشات أثناء المهمة الصعبة التي يقومون بها: «ألا تخافون من المهمة... كيف تستطيعون النوم بعد هذا». ورغم قسوة المشهد، ردّ عضو الفريق مبتسماً: «نحن بشر، نمارس حياتنا العادية، ونحاول أن نصنع من المأساة حلولاً، ولو بيدنا لما تركنا الناس يودعون موتاهم بالحسرة».

تعيش الخرطوم اليوم مرحلة دفن مزدوج: «دفن للجثامين، ودفن للذكريات، حتى العدالة المؤجلة، لكن ما يحرك الناس ليس الغضب فقط، بل الرغبة في منح من فقدوهم قدراً من الكرامة، وسط حرب سلبت كل شيء منهم، ولم تترك لهم إلا المرارة».

هكذا قالت سعاد، وهي تغادر الميدان، وطفلها نائم على كتفها: «دفت زوجي مرتين، لكننا لم ننسه يوما واحدا، وربما نكون قد دفناه بكرامة هذه المرة، فليرقد بسلام»

أحد المواطنين يشير إلى مقبرة أحد أقربائه في ضاحية الحاج يوسف.

السيدة سعاد عبد الله تحمل طفلها وتودع زوجها للمرة الثانية.

مشهد لعمليات نقل الرفات إلى المقابر بواسطة فريق من الطب العدلي.

السيدة خديجة زكريا تقوم بمعاينة مقبرة أُعيد دفن شقيقتها فيها.

أرض الموت

عند الساعة الحادية عشرة صباحاً، وصلت فرق الطب العدلي والهلال الأحمر السوداني إلى ميدان حي البركة، لنقل ١١٨ جثة دُفنت على عجل سابقاً، خوفاً من القنص أو الحظر أو الانفجار. فرق الطب العدلي مقسّمة ومنظمة، ترتدي الزي الطبي، وتعمل بتناوب في مجموعتين بسبب حرارة الشمس القاسية، ينبشون الجثامين واحداً تلو آخر، ويضعونها داخل أكياس بيضاء مرقمة، ثم تُرص في سيارات نقل متوسطة يطلق عليها محلياً «دفار»، تقف على بعد أمتار من المقبرة المؤقتة.

يشير الأهالي بأصابعهم إلى القبور، وهم يقفون على مسافة: «هنا أخي، وهناك أمي»، يهمسون بأسماء تُدفن دون شاهد، ومن بينهم سعاد عبد الله، أم لـ٣ أطفال، فقدت زوجها ودفن مؤقتاً في الميدان. تقول لـ«الشرق الأوسط»: «توفي زوجي برصاصة طائشة اخترقت نافذة غرفتنا، لم نتمكن من دفنه في المقابر الرسمية، فدفناه هنا في الميدان، واليوم جئت لأودّعه من جديد». تحاول سعاد أن تبقي متماسكة، وهي تحتضن ابنها الأصغر، فيما يهمس أحد أقاربها: «دفناه ليلاً، من دون شهود ولم نقم عليه العزاء، ما كنا نستطيع المشي بالجثمان إلى المقابر». وعلى الطرف الآخر، كانت خديجة زكريا تبكي بصوتٍ مرتفع، وهي تراقب نبش قبر شقيقتها، وتقول لـ«الشرق الأوسط»: «شقيقتي ماتت موتاً طبيعياً، لكنهم منعونا من دفنها في المقابر، فدفناها في الميدان». وتضيف، والدموع تبلل عينيها: «حتى بنت أختي ووالدها ماتا، ودفنوهما في ميادين أخرى، قالوا لنا سيتم نقلهما لاحقاً إلى المقابر».

VOICE of sudanese community

السبت ٢٦ يوليو ٢٠٢٥م - ١ صفر ١٤٤٧ هـ
SATURDAY 26 JULY 2025 - ISSUE No. 44

سكان السودان القدماء ولغاتهم (2)

د. أحمد الياس حسين*
ahmed.elyas@gmail com

● تعرفنا في الموضوع السابق «سكان السودان القدماء ولغاتهم 1» بإيجاز على بعض تصنيفات شعوب العالم إلى سلالات وعلى الأصول الافريقية لجميع سكان العالم الحاليين. وسنتعرف بإيجاز في هذا الموضوع على السلالاتٍ التي كونت شعب القارة الافريقية وفقا لنتائج أبحاث علم الأنساب الجيني Genetic Genealogy

السلالات الافريقية وفقا لعلم الأنساب الجيني

علم الأنساب الجيني أو علم السلالات الجينية Genetic Genealogy يدرس أصول الشعوب وتصنيف سلالاتها وتتبع هجراتها عبر العصور، ويستخدم اختبار الحمض النووي الإنساني جنبًا إلى جنب مع الأدلة الوثائقية لاستنتاج العلاقة بين الأفراد، ويتم ذلك عن طريق تحليل الكروموسومات.

الكروموسومات

تحتوي جميع خلايا الكائنات الحية على عدد معين من الكروموسومات. وبالنسبة للإنسان فالبويضة المخصبةٍ في رحم المرأة تحتوي على 23 زوجا من الكروموسومات. ويتكون معظم الكروموسومات من حمض نووي ريبوزي منقوص الاكسجين Deoxyribonucleic acid يعرف اختصاراً باسم DNA. ويحمل الكروموسوم عشرات الآلاف من الجينات كل جين يتألف من سلسلة من النيوكليوتيدات Nucleotides يطلق عليها اسم الأليل. وتشكل هذه النيوكليوتيدات خريطة وراثية تختلف من كل كلئن حي لكل كائن حي آخر وتعرف هذه الخريطة بالجينوم Genome. وتشبه هذه الخريطة (الجينوم) ببصمة الإصبع، فكما لكل إنسان بصمة خاصة به كذلك لكل إنسان جينوم خاص به (بصمة وراثية) يختلف عن جينوم كل انسان آخر.

الطفرات Mutations

وأثناء انقسام الخلية تحدث تغيرات عشوائية تصيب النيوكليوتيدات تعرف بالطفرات، وقد بدأت طفرات الخلايا منذ بداية تكاثر الكائنات الحية، وتراكمت عبر العصور فأدت إلى الاختلافات الكبيرة بين الكائنات الحية. والباحثون الآن يستفيدون من دراسة تلك الطفرات في تحديد الأبوة وأصول البشر وهجراتهم. فهم يبحثون في مناطق من الجينوم تعرف اختصاراً باسم STRs وأخرى تعرف اختصاراً باسم SNP.

وقد تمكن الباحثون من تحديد مجموعات من الطفرات على الكروموسوم الميتوكوندريال (mtDNA Mitochondrial) يشترك فيها جميع الاناث الموجودات في العالم حاليا مما يعني أنها موروثة من امرأة واحدة هي أم لجميع البشر، أطلق البعض عليها mtEve (حواء). كما تمكن الباحثون في الكروموسوم Y من تحديد مجموعة من الطفرات يشترك فيها جميع الذكور الموجودين في العالم حاليا مما يعني هذه الطفرات موروثة من أب مشترك لجميع البشر أطلق البعض عليه Y-Chromosome Adam باعتباره الأب الأقدم للبشر الحاليين.

ويدرس الباحثون الطفرات أو التغيرات الموروثة من الآباء من نوع SNP التي تحدث في Y-Chromosome، وتدل المتشابه منها على الأصل المشترك وتصنف إلى مجموعات توضح السلالات الجينية Haplogroups بين حامليها. وعن طريق هذه السلالات الجينية يمكن التعرف على الخطوط الجينية للمجموعات أو القبائل ومعرفة ما إذا كانت مجموعة معينة أو قبيلة يجمعها جد واحد وتنتسب إلى أصل مشترك أم لا. وقد أدى فحص Y-Chromosome إلى التعرف على عددٍ من المجموعات أو السلالات تحمل تحوراً معيناً تكونت منها شجرة السلالات الجينية Genetic Genealogy الموجودة عالمياً وموقعها http:/www.issog.org

السلالات التي ينتمي إليها الشعب الافريقي

السلالات Haplogroups التي ينتسب إليها الانسان الافريقي هي السلالات الأنثوية Mitochondrial : L0 وL1 و L2 وL3 وL5 والسلالات الذكورية Y-Chromosome : A وB وE و R و J و F و K و I و T. وسنتعرف فيما يلي بإيجاز على هذه السلالات ومنتسبيها.

تعريف بهذه السلالات:

السلالة L

نشأت السلالة L التي تعيش الآن عند جذور شجرة السلالة البشرية في افريقيا. وتؤكد نتائج أبحاث الأنثوية mtDNA أنها أقدم سلالة لسلف الانسان. ويقدر ظهور الانسان العاقل Homo Sapiens بين 100 و200 ألف سنة مضت. وأول السلالات البشر التي انتشرت هي السلالات L1 و L2 وL3. ولا تزال هي السلالات السائدة في مناطقة افريقيا جنوب الصحراء. أما السلالة L3 فقد انتشرت بين كل سكان افريقيا وهاجرت فروعها M وN إلى خارج القارة. هاجرت M عبر البحر الأحمر إلى جنوب شبه الجزيرة العربية ثم الهند وشرق آسيا والباسفيك ودخل بعضها العالم الجديد عير شمال شرق آسيا. وهاجرت السلالة N عبر شمال شرق افريقيا وانتشرت في آسيا وأوربا. وانتشرت السلالة R التي تفرعت من السلالة N فيأوروبا وجنوب وشرق آسيا والباسفيك والعالم الجديد. (Underhill; Witas and Przemystaw, p 100)

السلالة E

السلالة E من أقوى السلالات وأوسعها انتشارا في افريقيا وأغلب التنوع السلالي الحالي في قارة افريقية يتمثل في هذه السلالة الكبرى التي يعتقد أنها نشأت نحو 32 – 22 ألف سنة في المنطقة الواقعة بين البحر الأحمر وبحيرة تشاد. وإذا جاز التعبير فيمكن القول بأن السلالة E وفروعها هي قبيلة افريقيا الكبرى. وتنتشر هذه السلالة بفروعها في افريقيا وبخاصة في شرقها وشمال شرقها، وهاجر قسم منها خارج افريقيا. وقد اتضحت مساهمة سكان شرق افريقيا المبكرة عبر فروع السلالة E المبكرة في التنوع البشري السابق لظهور بعض السمات الثقافية التي نشأت عنها في وقت لاحق جماعات كبيرة مختلفة يضمون متكلمي اللغات الافريقية والآسيوية والرعاة الحاليين. (Gebremeskel and Muntaser E. Ibrahim, p 1387).

السلالة E3a يعتبر هذا الفرع من السلالات من أقوى السلالات انتشارا في افريقيا ويتركزون في مناطق جنوبٍ الصحراء الكبرى، لكنهم موجودون أيضا بين البانتو في شرق افريقيا. وتمثل نحو 60% من من جينات الأفارقة الأمريكان ويمثلون بين 58 – 62 % من القوقازيون Caucasians في أمريكا. (Cruciani, et al, 2004, p1014)

السلالة E3b أصلها في افريقيا جنوب الصحراء وينحدر منها قدماء المصريين ونسبة كبيرة من سكان اثيوبيا وأغلب الصوماليين كما تنتشر بين سكان الصحراء الكبرى وشمال افريقيا. وقد تمت دراسة السلالة E3b بتحليل DNA لعدد 3401 ذكور من خمس قارات فاتضح أن منتسبوها عبارة عن مجموعة متنوعة من الأنساب تنتمي إلى حقب تاريخية مختلفة وانتشروا في غرب أوروبا وشمال افريقيا والشرق الأدنى وانتقلت سلالاتهم إلى جنوبأوروبا في فترة انتشار المزارعين في العصر الحجري الحديث (Cruciani, 2004, p1014 – 1015)

وقد دخلت السلالة E3b أوروبا خلال عدد من مراحل تاريخية متعاقبة: المرحلة الأولى مرحلة انتشار الزراعة شمالاً من منطقة الهلال الخصيب والمحل الثانية مرحلة الحضارة الفينيقية حيث اختلطت هذه السلالة مع سلالة الفينيقيين J2 واندمجت وارتحلت معهم. المرحلة الثالثة مرحلة الحضارتين اليونانية والرومانية حيث انتقل كثير من البشر إلى أوروبا. المرحلة الرابعة مرحلة الحضارة الاسلامية وانتشار المسلمين في أوروبا

وتنحدر من السلالة E3b السلالة E3b1 التي يتفرع منها عدد من السلالات المنتشرة انتشارا واسعا مثل السلالتان E3b1a و E3b1c و E3b1b. والسلالة E3b1a (E–M78) تنتشر بكثرة وبصورة واسعة على منطقتي شمال وشرق افريقيا وأوروبا وغرب آسيا. والسلالة E3b1b والتي تحمل التحور M81 معروفة بالسلالة البربرية. والسلالتان E3b1a و E3b1c هما السلالتان اللتان وجدتا منذ زمن بعيد مع السلالة السامية في شبه الجزيرة العربية، كما انتشرت هاتين السلالتين وبخاصة E3b1a وشكلتا نسب كبيرة من سكانأوروبا الشرقية واليونان. والمنتمون للفصيلة E3b يتسمون بسمات البلدان المتواجدون فيها لكن أصولهم القديمة ترجع إلى افريقيا. السلالة E3b1 المنحدرة من السلالة E3b يتفرع منها عدد من السلالات المنتشرة انتشارا واسعا مثل السلالتان E3b1a و E3b1c و E3b1b. (Gebremeskel and Muntaser; Cruciani, 2004; Cruciani et al. 2007, p 1300

وتعتبر السلالة E–M78 أكثر فروع E3b انتشارا، دخلت أوروبا في بداية العصر الحجري الحديث وتنتشر في شمال وشرق افريقيا. والسلالة E–3b1 المنحدرة من السلالة E–3b يتفرع منها عددٍ من السلالات المنتشرة انتشارا واسعا مثل السلالات E–3b1a وE–3b1c وE–3b1b. (Cruciani, 2004, p1015)) فروع E3b الرئيسة هي: E–M78 وE–M81 وE–M34 وE–M35 (Hay, 2018)

السلالة E–V13 المتفرعة من السلالة E–M78 تلقي الضوء على الانتشار في جنوب شرق أوروبا في عصر البرونز. (Cruciani, 2007, p 1300)) السلالة E1b1b انتشرت في شمال افريقية والشرق الأدنى في العصر الحجري القديم المتأخر والعصر الحجري الوسيط. وقد ارتبطت E1b1b بصلة وثيقة بانتشار اللغة الافريقية الآسيوية. وتمثل هذه السلالة آخر هجرة مباشرة من افريقيا إلى أوروبا. (Winters, 2018) أدخل اليونانيون القدماء هذه السلالة إلى مناطق هولندا وبلجيكا. (europedia.com; Hay, 2018)

فالسلالة E بفروعها المتعددة منتشرة بصورة واسعة في افريقيا وخارجها. وكما ساهمت هذه السلالة في تكوين الشعب الافريقي ساهمت كذلك في تكوين بعض شعوب العالم مثل الشرق الأوسط وأوروبا.

السلالة R

يعتقد أن هذه السلالة نشأت في قارة آسيا نحو 27 ألف سنة، أو نشأت في فترة Last Glacial Maximum الجليدية الأخيرة نحو 18000 سنة مضت في جنوب شرق آسيا وإنتشرت في كل افريقيا. وتبدو أكثر انتشارا في افريقيا جنوب الصحراء. كما انتشرت بصورة واسعة في وسط وغرب قارة آسيا. وتتكون هذه السلالة من الأقسام R و R1 و R2 ثم تنقسم بعد ذلك إلى سلالات أصغر. (https://www.isogg; Winters, 2011, p743)

السلالة R1 أصلها في وسط وشرق وجنوب شرق افريقيا، ويرى بعض الباحثين أن وجود فرعها R1b1 في قارة أربا مرحلة الصيد والجمع يوحي بأصلها الافريقي. (researchgate.net; Winters 2011; http://www.isogg)) ويظن أن السلالة M173– R1 نشأت في فترة الذروة الجليدية الأخيرة Last Glacial Maximum نحو 18000 سنة مضت في جنوب شرق آسيا. وهي منتشرة بصورة واسعة في افريقيا تصل نسبتها بين 7 – 95%. (http://www.isogg; Winters 2010, 294; Winters 2011; researchgate,net) وأكبر فروع السلالة R1a هما: R1a وR1b

السلالةR1a تكونت في شمال البحر الأسود ثم اتجهت إلى شرقأوروبا. وهي من أكثر السلالات انتشارا فيأوروبا واتجهت جنوباً إلى الهند، وصلت مناطق هولندا وفرنسا في العصر الحجري الحديث المتأخر. وقد ارتبطت هذه السلالة R1a–M417 بانتشار الفرع الشمالي من مجموعة اللغة الهندوأوربية Proto–Indo–European. ولاحظ الباحثون أن مجتمعات الصيد والجمع القوقازية Caucasus والمزارعون الأوربيون القدماء حملوا الجينات R1a وR1b وزرعوا الشعير الذي لم يزرع في آسيا الوسطى والشرق الأوسط إلا بعد آلاف السنين من زراعته في منطقة نبتة بلايا شمال واحة سليمة في شمال السودان. (Hay, 2016: Winters, 2018)

السلالةR1b تكونت قبل نهاية العصر الجليدي، ويرى Myres أن التحليلات الجينية تؤيد أن غرب آسيا هو أصل هذه السلالة. وتنتشر السلالة R1b بصورة واسعة في غربأوروبا حيث تسود في نصف سكانأوروبا، وأطلق عليها سلالة المحيط الأطلسي Atlantic Haplogroup. أغلب الأفارقة الأمريكان والقوقازيون Caucasians في أمريكا ينتمون إلى السلالة R1b بنسبة 47 – 58%. كما انتشرت هذه السلالة كثيراً في قارة آسيا وسط آسيا وغرب الصين. ولاحظ الباحثون أن مجتمع الصيد والجمع القوقازي يحملون Y-Chromosome R1b and R1a . وينتمي 14% من الافارقة الامريكان و46 من الأوربيون الأمريكان إلى السلالة R1b3. وقد ارتبطت السلالة R1b–L23بانتشار الفرع الشمالي من مجموعة اللغة الهندوأوربية. وتوجود السلالة R1b–M343 وأحد فروعها الرئيسة R1b–V88 على طول افريقيا، كما ساهمت السلالة R–V88 في تكوين الشعبين الافريقي والاوربي القدماء. (Myres, p 95; Winters, 2011, p743; Hay, 2018)

السلالة J

تسمى هذه السلالة بالمجموعة السامية وذلك بسبب انحدار الشعوب السامية منها. وقد نشأت بالشرق الأوسط قبل نحو 30 ألف سنة. وفرعيها J1 وJ2. الفرع J2 يعتقد أنه نشأ في شرق تركيا وانتشر في أواسط آسيا وإيران وانتشرت في أوروبا في نفس الوقت الذي انتشرت فيه السلالة Eb3.

والسلالة J1 نشأت ف شمال الهلال الخصيب، وهي السلالة التي ينتمي إليها العرب. وخرجت منها هجرتان: الأولى قبل نحو 10 ألف سنة اتجهت نحو أوروبا واليمن والحبشة وأصبحت اليمن بعد ذلك بآلاف السنين مصدر للسلالة J1. وتنتشر السلالة J1 بكثافة تصل إلى 81% في جنوب بلاد ما بين النهرين بينما تمثل 42% من سكان شبه الجزيرة العربية. ونسبة السلالة العدنانية (J1 chm) والقحطانية (J1 ced) تبلغ 2.34% بين اليمنيين و8.22% بين العمانيين و21.9 بين بدو النقب غب جنوب فلسطين و21.9 في العراق. وينتسب اليهود المنحدرون من نسل هارون وأن يهودية إلى السلالة J1.

والسلالة (J1 M267) تتفرع إلى فرعين: الفرع الأول J1b الذي انتشر في مناطق الأناضول والقوقاز وأوروبا نحو 18 ألف سنة مضت، وتفرعت سلالتهم في المنطقة كما في أرمينيا وتركيا. والفرع الثاني J1a انتشرت سلالته نحو 16 ألف سنة في أوروبا وغرب آسيا، كما انتشرت فروعه المتعددة في شبه الجزيرة العربية والشرق الأوسط والبخر الأحمر وشمال افريقيا وأوروبا. ومن سلالته العرب واليهود. (http://www.euppedia.com/ europe?haplogroup–J1–Y–DNA.shmtl)

وفي الواقع فإن أغلب السلالات العربية تنحدر من الشعوب القديمة التي عاشت في المنطقة مثل السومريين والعيلاميين والبابليين في الفترة بين 3600 ف م – 500 م، ثم اختلطوا بالأتراك وغيرهم من الذين أسسوا دلهم في المنطقة العربية منذ القن التاسع الميلادي مثل الطولونيين والاخشيديين والزنكيين والفاطميين والأيوبيين والسلاجقة والمماليك ثم العثمانيين. (Tofanelli, et. al.) وقد أوضح علم السلالات الجينية أن العرب يندرجون تحت سلالات جينية متعددة. وأشهر السلالات الجينية التي ظهرت فيها سلالات عربية أصيلة هي: T, E, J (http://www. euppedia.com/europe?haplogroup–J1–Y–DNA.shmtl

ويؤيد هذا الرأي ما ورد في الجدول رقم 4 حيث اتضح أن سكان المملكة العربية السعودية يتكونون من 10 سلالات، وبلغت نسبة السلالة العربية بينهم 58% ونسبتي السلالتين E و23.57% R وبلغت نسبة السلالات الأخرى 18.43%. وبلغت نسبة السلالة J1 في اليمن 82% وفي مصر 31%. وبلغت نسبة السلالتين E وR في اليمن 16ز1% وفي مصر 47%.

والجدول رقم 5 يوضح نسب العروبة في شمال افريقيا حيث جاءت أعلى نسبة في ليبيا بلغت 39.5% وفي الجزائر 22.5% وفي الصحراء الغربية 22.2% وفي تونس 15.45%وفي مراكش 14.55% . فنتائج الجدولين 4 و5 توضح أنه ليس هنالك سلالة صافي في البلاد العربية. فسكان البلاد العربية خليط من السلالات، والسلالة العربية حتى في المملكة العربية السعودية لا تصل إلى 60% من مجموع السكان بينما السلالة E أعلى نسبة بين الثمانية سلالات الأخرى التي تدخل في تكوين الشعب السعودي كما في الجدول رقم 4.

ظهرت هذه السلالة أولاً في شمال افريقيا نحو 45 ألف سنة مضت، ويعتقد أنها تمثل هجرة ثانية إلى خارج افريقيا out of Africa ، أو نشأت مباشرة فيما بعد. ويرى البعض أن أصلها ربما يعود إلى جنوب شرق آسيا أو أو شبه الجزيرة العربية أو شرق افريقيا. وعلى كل حال يبدو أن انتشار هذه السلالة حدث أولاً في الهند أو في منطقة قريبة منها. وقد هاجرت عدد من فروع هذه الأسرة إلى افريقيا في عصور ما قبل التاريخ. فالسلالة F تشارك في فرضية هجرة العودة لافريقيا والتي تضم أيضاً السلالات J وK وR. وهذه السلالة تعتبر من السلالات الكبرى التي تتواجد بكثرة في جنوب آسيا وبدرجة أقل في شرقها. (Whit; https://www. familypedia)

السلالة I

السلالة I من أقدم السلالات الكبرى فيأوروبا ومنتشرة بصورة واسعة في كل أنحائها وقليلة خارجها. ويُظن أنها نشأت في فترة الذروة الجليدية الأخيرة Last Glacial Maximum نحو 18000 سنة مضت. وتوحي بالانسياب الجيني في مناطق محددة في أوروبا. وتمثل السلالة I–M170 نسبة 18% من السلالات الذكورية في أوروبا. وأغلب الأوربيون الأمريكيون ينتمون للسلالتين I وR وينتسب إليها أكثر من 30% من الاسكندنافيين وشمال البلقان. وسنلاحظ أنها وُجدت في افريقيا بين العينات التي تم تحليلها من سكان السودان. (Hay, 2016; Rootsi)

السلالة K

السلالة K سلالة قديمة ظهرت في جنوب آسيا أو في جنوب شرقها نحو 50 – 40 ألف سنة مضت. وتتكون السلالة K من عدد كبير من الفروع تحمل الرقم المسلسل من K1 إلى K5. وينتسب إلى هذه السلالة أغلب سكان الجزء الشمالي من الكرة الأرضية. وقد تم أخيراً تحول الفرع K5 إلى سلالة منفصلة تحت اسم السلالة S. وانقسم الفرع K2 إلى سلالتين: L وتنتشر في وسط وجنوب وغرب آسيا، والسلالة T تنتشر بنسب قليلة في أوروبا والشرق الأوسط وشمال افريقيا وشرقها. وينتسب إليها الرئيس الأمريكي الثالث واضع الدستور الأمريكي توماس جيفرسون الذي حكم 1801 – 1809. (https://www. familypedia.org)

خاتمة

بلغ عدد سلالات سكان العالم حسب التصنيف الجيني من 16 إلى 20 سلالة سميت بالحروف الهجائية من الحرف A وحتى الحرف T. (Naidoo, p9) وتخضع هذه السلالات إلى دراسة ومراجعة مستمرة من مؤسسات ومراكز بحوثٍ واختصاصيين حول العالم. ويحدث أحيانا تعديل أو إعادة تسمية أو ظهور سلالات بأسماء جديدة يتفق عليها الباحثون. والشعب الافريقي يتكون من 10 سلالات جينية، والشعب الأوربي يتكون من 8 سلالات جينية والآسيوي يتكون من 14 سلالة جينية. وهنالك بعض السلالات الرئيسة التي تتواجد في التكوين الجيني بين كل سكان العالم مثل السلالات E وR و G وJ وT. وليس هنالك سلالة أو عرق أو مجموعة سكانية صافية لا تشارك غيرها من المجموعات الأخرى في جيناتها.

والشعب الافريقي متنوع السلالات الجينية، فهو يشترك في السلالات الجينية العالمية الكبرى E وR وG وJ وT والذي ذكرنا أنها تتواجد في التركيب الجيني لسكان العالم. كما يشترك الشعب الافريقي مع الشعب الأوروبي في 6 من 10 سلالات جينية تكون الشعب الأوربي هي: R وI و E وG وJ وT، أي أن صلة القرابة الجينية تبلغ 60% بين الأفارقة والأوربيين. ويلاحظ أن هنالك ثلاث سلالات رئيسة تدخل في المكون الجيني للشعب الافريقي إلى جانب المكون الأساس A وB وهي السلالات: E وR وJ وتأتي السلالات الخمس الأخرى وهي: G وI وF وK وT كمكون فرعي للشعب الافريقي. فليس هنالك قبيلة أو مجموعة سكانية في افريقيا لا تنتمي بصلة القرابة الجينية إلى بعض المجموعات السكانية الأخرى. فصلة القرابة بين سكان افريقيا قوية وبخاصة السكان الذين يعيشون في منطقة الساحل بين البحر الأحمر والمحيط الاطلسي.

---

* أكاديمي متقاعد وباحث مستقل.

جدول رقم 1 بعض منتسبي السلالة A

الشعب	شلك	نوبة كردفان	برقو سودان	فور	مساليت	هوسا سودان	أمهرا اثيوبيا	الفلاني كمرون	جعليين	عرب سودان	بجه
العدد	15	18	26	13	32	32	48	37	50	102	42
النسبة %	8	13	9	10	6	4	7	5.4	3	2.9	2
اللغة	ن ص	ن ص	ن ص	ن ص	ن ص	افراس	افراس	ن ك	افراس	افرس	افرس

المصدر: جمعت مادة الجدول من Hisham, et.al. https://en.wikipedia.org/wiki/Y-DNA_haplogroups_in_populations_of_sub-Saharan_africa

جدول رقم 2 ببعض منتسبي السلالة B

الشعب	شلك	نوبة كردفان	فور	مساليت	هوسا سودان	أمهرا	الأقباط سودان	نوبة شمال	توتسي رواندا	يوروبا نيجريا
العدد	15	4	32	32	81	48	33	39	94	13
نسبة %	4	14	1	1	5	1	5	3	15	9
اللغة	ن ص	ن ص	ن ص	ن ص	افراس	افراس	افراس	ن ص	ن ك	ن ك

المصدر: جمعت مادة الجدول من Hisham, et.al. https://en.wikipedia.org/wiki/Y-DNA_haplogroups_in_populations_of_sub-Saharan_africa;

جدول رقم 3 يوضح نسب السلالات المكونة للسكان، عدد العينات عير مذكور

الاسم	% J 1	% E, R	السلالات الفرعية	
السعودية	58	23.57	%18.43	I,K,Q.G,C.H.O
اليمن	82	16.1	% 1.9	G
مصر	31	47	% 22	I,K,Q.G

جمعت مادة الجدول من موقع: http://www.arabiandna.com

جدول رقم 4 يوضح نسب السلالات العربية في شمال افريقيا (المجتمعات الحضرية)

القطر	الجزائر	ليبيا	مراكش		تونس		جزر الكناري	الصحراء الغربية
			الرباط	بربر	بربر	سوسة		
العدد	102	238	267	103	40	220	652	89
النسبة %	22.5	39.5	21.3	7.8	5	25.9	3.5	22.2

Hay 2016

قلم تصحيح

في حضرة الأستاذ عبدالعزيز.. زيارة وفاء ومحبة

محمد المهدي الأمين *

● مـا أجمل أن نذكر إخوة لنا جمعتنا بهم الأيام ونحن طلاب في مقاعد الدراسـة، أو الزمالة في مجال العمل، ومن المعلوم أن المدرسـين أكثر النـاس ارتباطاً وتواصلاً مـع مجتمعاتهم، ومن باب أولى مع بعضهم بعضاً.

يـوم الجمعة قبل الماضي كان يوماً بطعم الوفاء لقامة سـامقة وهرم من إهرامات التربية والتعليم في بلادي، حيث يسّر الله لنا زيارة الأستاذ عبد العزيز عبد الخير، المعلم الذي حظيتُ بالعمل معه سنوات في مدرسة الثورة الحارة ١٩.

الأستاذ عبد العزيز بين المعلمين مثله مثل خليل إسماعيل بين أهـل الفن، فمثلمـا يطلق على خليل (فنـان الفنانين)، فكذلك عبد العزيز عبد الخير وسـط المعلمين، فهو بحق (أسـتاذ الأساتيذ).

لقـد كان عبد العزيز مدرسـاً لطلابه، وقائـداً ومعلماً لزملائه، بل كان موجهاً ومدرباً يأخذ بيد كل معلم مرشـداً وممكناً لهم، ينزع مـن دواخلهـم الرهبة ويـزرع فيهم الثقـة وحب المهنـة، والتطلع للابتكار والنجاح.

إن الأسـتاذ عبد العزيز كنزٌ من كنوز التعليم وعلم من أعلامه، لكن لم تكن هناك العين الفاحصة التي تلتقط الدرر، وتعرف كيف تفيـد مـن تلك الخبـرات المتراكمـة، فقد كان هـذا الرجل يعادل معهداً من معاهد إعداد المعلمين.

فهو خير من يجيد تأسـيس طلاب الحلقة الأولى، وهو صاحب طريقـة مبتكـرة تجمع بيـن الطريقـة الجزئية التي كانت سـائدة والطريقـة الكلية المعمـول بها حالياً، وقد حققـت طريقته نجاحاً منقطـع النظير، بل إن كثيراً من المعلمين قد أخذوها عنه وعملوا بها فهو شيخ هذه الطريقة، التي جنبت التلاميذ مصاعب ومعوقات كثيرة، وجعلت تلقيهم سهلاً، ويكفيه فخراً أن المتفوقين ممن درسـوا علـى يده بـالآلاف، ولا يخلـو مؤتمـر صحفي لإعلان نتيجـة من إذاعة أسـماء تلاميذه المتفوقين على مسـتوى مرحلة الأسـاس، ومـن طلابـه من حقـق المركـز الأول فـي امتحانات الشهادة السودانية.

حدثنـا البـروف يوسـف بن سـليمان ونحن طلاب في السـنة النهائيـة بكليـة التربية أن المعلم (مادة + طريقة، فإذا كان المعلم متمكنـاً من مادته لكنه لا يجيد طريقـة التدريس، فهو واعظ. وإذا كان يجيد الطريقة لكنه غير متمكن من المادة فهو ممثل).

وقد كان عبد العزيز خير من مارس التدريس متمكناً من مادته، منوعاً في طرقه، محبباً طلابه في العلم.

وبعـد أن تقاعد الأسـتاذ عبـد العزيز، ليته يعكـف على توثيق تجربتـه كتابـة، وليـت وسـائل الإعلام مـن صحـف وإذاعـات وفضائيات تسـتضيفه من باب الوفاء لمـن قدّم لهذه البلاد عطاءً لا حـدود لـه، كما أنه لديـه ما يقوله مما يفيـد المعلمين والطلاب وأسرهم.

دمـتَ بخيـر يا صاحـب الأيـادي البيضاء والسـيرة الناصعة والابتسامة الدائمة.

نسـأل اللـه أن يلبسـك ثـوب الصحـة والعافيـة، وأن يجزيك أجـر الصابرين وأنت تتقبل ما أصابـك من مرض بكامل الرضا والتسليم. ضارباً المثل في قوة الإيمان والاحتساب.

ورغـم أن هذه الخطـوة تأخرت كثيراً لكنها تمـت بحمد الله.. فالتحيـة لمـن صحبنا في هذه الزيـارة المباركة الأسـاتذة أمين أحمد وعلي كوكو وبدوي جمعة، والابن محمد تاج السر. والشكر للأستاذ عبد العزيز وأسرته على الحفاوة التي وجدناها. ووعدنا ألا تنقطع الزيارات.

* مستشار التحرير وكاتب صحفي.

مداد أخضر

الأشواق لا تموت...!!

م. معتصم تاج السر *

● في الواقع السـوداني كثيراً ما يولد الحُبّ فـي صمت ويكبر في الـحلال ويختنق بين ضلوع العـادات أو يُحاصـر بأصـوات الأهـل أو يُفجـع بمرارة الظروف.

ورغـم صـدق المشـاعر ورغبـة الحبيبيـن في الحلال الطيب تأتي إرادة الله بما لا يتوقّعه القلب.

لا زواج ولا اكتمال بل نهاية يكتبها القدر.

الحُـبّ في مجتمعنا ليس مجرد حكاية تُروى بل جرحٌ لا يُشفى وذكرى لا تموت.

كثيـرون أحبـوا بصـدق ثـم افترقـوا مجبرين وتركوا خلفهم قلوباً تنبض بأسـماء لا تُقال وحنيناً يُشبه الموت البطيء.

وهذا ما صاغه إبن «التراجمة» الشـاعر الشاب «عمر يوسـف ود الحوري» فـي قصيدته هذة وهي من شـاكلة قصائد كثير وجدت رواجاً واسـعاً في الفترة الأخيرة من الشـباب، لمـا حملته من صدقٍ وشجنٍ وتجسيدٍ بليغ لمآسي الفراق.

يجسّـد لنا الشـاعر ان شـاباً ذات يوم عاد من الغربة البعيدة الى قريته.

وفـي مسـاء حزيـن كان يجلـس مـع أهلـه في «الحـوش» حيـن سـمع الزغاريـد تخترق سـكون الفريق «الحي».

لم يكن بحاجة لمن يخبره فقد فهمها وحده...!!

كانت زغاريد رحيلها إلى رجلٍ غيره...!

فعلى لسانه قال ود الحوري :

«سامع زغاريد في الفريق
قالوا شنطتها والعقد
حسيت بنفسي ابت تحس
حتى الفراش ما بترقد»

لم يكن ضعيفاً لكنه كان هشّاً أمامها.

أحبها كما لم يُحبِ رجل من قبل.

رأى فيهـا النقاء كلـه وبنى حلمه على ضحكتها وخياله على حضورها. لكنها لم تكن له..!

وإن القـدر قـرر أن يفرق بينهمـا قبل أن تكتمل الحكاية.

لـم يُحمّلها اللوم ولم يغضب من قلبها بل سـلّم أمره لله وقالها في سره وفي صوته المرتجف حين بلغه الخبر :

«يا السمحة ما لُمتك انا
فرقنا حظنا والقدر»

أدمـن البكاء بعد رحيلها ولم تُفلح محاولاته في إخفاء حزنه.

دموعـه كانت تتكلم حين يسـكت وكانت العيون من حوله تبكي لبكائه :

«عودتي عيوني على البكاء
ولكن عيون الناس بكن»

ظل يراها كما عهدها طاهرة، نضرة، تمشي في ثوب من العفاف الذي أحبّه فيها.

وكلما خطر طيفها، زادت أوجاعه، وكأن فراقها صار مرضاً عضالاً لا يُرجى شفاؤه :

«يا السمحة فرقنا القدر
يا حلوة كاسيكي العفاف»

وحين علم أنها سـتتزوج تزلزل داخله شـيء لا يُوصـف. لـم يكـن الأمر مجرّد خبر بـل كان موتاً صامتاً يُنهكه بلا صوت.

لـم تُجْدِ زيارة الأطباء والأدوية ولا النصائح لأن روحه كانت تختنق :

«ودوني لي مليون طبيب
يوم طيفك الجواي خاف»

ويوم مشـت إلى دار العريس اختنق الكلام في حلقه وغرقت الدنيا في عينيه.

كان يتمنى لو أن تلك الزفة حلم وأنه حين تلبس الزفاف تمنى ان يكون لبسـه يومها كفن لعل وجعه يُدفن معه :

«يوم تمشي ل دار العريس
يوم تلبسي الطوق والزفاف
ان شاء الله لبسي يكون كفن»

ومع كل ذلك لم يجزع من أمر الله وما قسم.

كان مؤمناً أن ماشاء الله له هو خير وأن القلوب الصافية ترضى وإن احترقت :

«يا السمحة ما لمتك انا
فرقنا حظنا والزمن
يا سمحة فرقنا القدر
واللى راضو ربنا كلو خير»

ولم ينسها...!

ولن ينساها...!

فهي تسـكن فيه حتى بعـد الرحيل وحتى حين يُسـأل فـي قبـره كما قال سـيكون طيفهـا أول ما يخطر بباله :

«والله ما بنساك يوم
لامن يجيني سؤال نكير»

ويعود الحنين ليقوده إلى هناك...

إلى ظل الشـجرة، وضحكتهـا إلى الونس قبيل المغيب والحياة التي لم تكتمل...!

كانت أياماً لا تُشترى ولا تُنسى ولا تُعاد:

«حليل أيامنا الزمان
والونسة في ضل العصير
أياااام زمان ما بتلقن..؟»
هو لم ينسها...

فقط تعلّم أن يعيش بذكرى لا تذبل...!

وتلك من أقسى دروس القدر في الحُبّ.

ويبقى السؤال..؟

هـل يعاني السـودانيون فـعلاً من كثرة فشـل العلاقات العاطفية..!؟

يبدو أن «الشـواكيش» كما يسـميها الشـباب، ليسـت مجرد مزحـة دارجة، بل انعـكاس حقيقي لأزمة اجتماعية متكررة.

أسـبابها كثيرة من ضيق الحال، تدخل الأسر، الخوف من المستقبل، أو حتى ضغط المجتمع.

لكنهـا في النهاية تترك خلفهـا جيلاً حائراً بين الحُبّ والمصير...!

وبين ما يُراد له وما يشتهيه القلب...

وهكذا...

يبقى الحُبّ في السـودان قصة لا تكتمل ورحلة غالباً ما تتوقف على أعتاب القدر.

لا يفتقد السـودانيون مشـاعرهم بـل يُصابون بشظايا الواقع كلما همّوا بالاقتراب من أحلامهم.

ومهما اختلفت الأسماء وتعددت القصص، تظل النهايـة واحـدة فراقٌ مؤلـم، وحنينٌ دائـم، وقلوب تواسي بعضها «بالرضا بالقسمة والنصيب».

لكن وسـط هذا الحزن يبقى الإيمان بإرادة الله هـو العزاء الأكبـر والركن الأحنّ الـذي تتكئ عليه الأرواح المُنكسرة.

فليـس كل حُبّ يُكتب له أن يُتوّج بالزواج، ولكن كل حُب صادق يُخلد في القلب... !

ويبقَى حياً ولو لم يُثمر لقاءً...!

وكما أقولها وأؤمن بها:

«دائماً للحُبّ حسابات أخرى»

أشواقي والسلام

* كاتب صحفي.

من الآخِر

رسالةٌ في بَريدي.. الأمنُ أولاً

د. ناجي الجندي *

● مهـر عدد كبيـر من أبناء مدينة الحصاحيصا مذكـرة عالية الصوت غليظة الحركة والتحرك وصلت إلي بريدي، تناشد السلطات الولائية والمحلية الاضطلاع بمسؤولياتها الأمنية خاصة.

الجديـر بالذكـر أن الحصاحيصـا باتـت مدينـة أشـباح لا تهدأ فيهـا رائحة الجريمـة مـن التغلغل في مجتمع لم يعرف مثل هذا الانفلات الأمني من قبل، رغم وجود جيوش وحشـود من العسـاكر بمختلف مسـمياتهم، حتـى أن مذكرة أبناء المنطقة وصفت المدينة بالمعسـكر، وذلك لكثرة المظاهر العسـكرية، وهذا نفسه دليل فشل لا دليل أمن، ولا أدل على ذلك من الجرائم التي أصبحت حالة معتادة، بل إن البعض أكد أن الشاذ هو أن نصبح الصبح ولا نسمع بخبر قتل أو نهب أو إرهاب.. إلى مضابط المذكرة والذي أتحفظ على اسمه بناءً على طلبه:

السيد/ والي ولاية الجزيرة
السيد/ قائد المنطقة العسكرية ولاية الجزيرة
السيد/ مدير جهاز الأمن والمخابرات ولاية الجزيرة
السيد/ مدير شرطة ولاية الجزيرة
السيد/ المدير التنفيذي لمحلية الحصاحيصا
الموضوع: الوجود المسلح والتفلتات الأمنية بمدينة الحصاحيصا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، تحية طيبة وبعد..

نحن سـكان مدينة الحصاحيصا وكياناتها المدنية، تمكنا بفضل الله وتعاون الأبناء والمغتربين من علاج وحل مشاكل الكهرباء والمياه والخدمات بالمجهودات الذاتية والتكاتف، ولكن المهدد الأمني يحتاج منكم التدخل العاجل، حيث نتعرض ونواجـه خطر الموت والإصابة والسـلب والتعدي على البيوت والسـطو المسـلح يوميًا من جانب عصابات مسلحة ومتفلتين، ومنذ أيام قليلة تم ضرب ونهب مواطن مـن أبنـاء حي الجملونات بالحصاحيصا وتوفي الـى رحمة الله جراء الإصابات البليغة، وهي ليست الحادثة الأولى، مدينة الحصاحيصا تعرضت لأبشع الجرائم مـن قتـل وتعذيب وخطـف للمدنييـن، وحرق للمقـار الحكومية والأسـواق، ونهب العربات والبيوت والعيادات والصيدليات أثناء احتلال مليشيا الجنجويد الإرهابية للمدينـة بقيـادة المجرم قجة، وما زال عدد من أبناء المدينة مختطفاً ولا نعلم حتى اليوم ما حدث لهم، المدينة تعرضت لانتهاكات عظيمة، وزاد منها وجود عدد كبير من أبناء المدينة بالأجهزة الأمنية والعسكرية المختلفة، مما جعلها مدينة عسكريةً بالدرجـة الأولـى، ولكن رغم ذلك يتكاثـر الانفلات الأمني، وهي مـن أوائل المدن التـي دعـت للاسـتنفار والمقاومة الشـعبية بعد الحرب، مع كل هـذه التضحيات للأسـف غيـاب وتجاهل تام للجنـة الأمنية، أو الخلية الأمنيـة بالحصاحيصا، مع وجـود تقصيـر في ضعف عدد أفراد قوات الشـرطة ونقـص العربات والمعدات، حالة السيولة الأمنية وتفشي الجريمة في وضح النهار ستؤدي لقيام أبناء المدينة مضطرين إلى حمل السلاح والدفاع عن عرضهم وأرواحهم وممتلكاتهم، وسيقوم المغتربـون والمقتدرون من أبناء المدينة بالنفير وجمع التبرعات لشـراء السلاح، وفي خطوة لاحقة دعوة أبناء المدينة من الضباط والعسـاكر والمستنفرين للعودة من ميادين وسـاحات المعارك للحضور للمدينة للدفاع عن أهلهم وعوائلهم. عليه نرجو من سيادتكم إصدار قرارات تقضي بالتالي:

١ــ حل اللجنة الأمنية وتكوين لجنة أمنيـة قادرة على القيام بواجباتها وحماية أرواح وممتلكات المواطنين.

٢ــ تكويـن حملـة أمنيـة عسـكرية ومداهمـة أوكار ومعاقل الجريمـة وترحيل الأجانب.

٣ــ إزالة العشـوائيات والقضاء عليها مع وجود قرار صادر منذ ثلاثة أشـهر لم ينفذ.

٤ــ تكويـن لجنـة من أبنـاء ورمـوز مجتمـع الحصاحيصا للنصح والإرشـاد وتوضيح مشاكل وقضايا المدينة وهم أعلم بها.

٥ــ مراجعـة وتوضيـح وجود قوات عسـكرية لا تنتمي للجيش أو الشـرطة أو الأمن.

٦ـ زيادة القوة الشـرطية من ناحية العدة والعتـاد، وتوجيهها للاطلاع بدورها المفقود في حماية المواطنين والأسواق بدلاً من انتشار القوات الأخرى.

نحن لا نقبل أي تراخ في الأمر، لا نطلب سوى الأمن والأمان، وللعلم عدد كبير من العائلات النازحة ترغب بالعودة ولكن لأسباب عدم الأمن والأستقرار، وتفشي الجريمة، يتخوفون من العودة لبيوتهم المنهوبة وإعادة صيانتها والاسـتقرار بها، ونحمّل الجهات المنوط بها عمل اللازم كامل المسؤولية عن أي حوادث أو أضرار تقع نتيجة الانفلات الأمني جراء دفاع المواطن عن نفسه وحقه لاحقًا، فالطبيعة لا تحتمل الفراغ. نسأل الله لكم التوفيق والسداد وأن يحفظ السودان.

مواطنو مدينة الحصاحيصا

* كاتب صحفي.

طق حنك

الراديو... مدرسة الجميع

يوسف عبدالرضي *

● «هنا أم درمان... هنا القاهرة...»
بهاتيـن العبارتيـن، بدأ وعـيُ جيلٍ كامل في السودانِ والعالم العربي.
جيلٌ تربّى على أصوات لا يرى أصحابها، لكنه كان يشـعر بوجودهم القريب كأنهم أهل الـدار، وكأن المذياع نافذة تطـل على الوعي والمعرفة، من داخل غرفة طينية بسـيطة في الريف، أو ركن متواضع من المدينة.

نحن أبناء السـتينات والسبعينات، جيلٌ تشكّلت ثقافته الأولى من صوت الراديو، قبل أن يرى التلفزيون طريقه إلى القرى، وقبل أن تفيض علينا وسائل التواصل الحديثة.

الراديـو كان الوسـيط الوحيد الذي جمع بين التثقيف والترفيه والإخبار، وكان بمثابة المدرسـة المتنقلـة التـي لا تعـرف حواجـز الجغرافيا ولا شرط الدخول.

فـي كل بيـت سـوداني، كان هنـاك مكانٌ مخصـص للراديـو، وغالبًا مـا يُغلّف بقطعة قمـاشٍ بيضـاء، أو يُوضـع علـى رف عـالٍ احترامًا لمكانته.

وفـي قريتنـا، كمـا فـي آلافٍ القـرى، كنا نحمل الراديو إلى الحقول، أو نُجلسـه بيننا وقت العصر، ونُصغي إليه باهتمام.

كنـا نحفظ الخريطـة البرامجية عن ظهر قلب، ننتظر برنامج «قول على قول» للأسـتاذ حسن الكرمي، أو نتابع «العلم للجميع» الذي كان يقدمـه الدكتـور مصطفـى محمـود مـن إذاعة صوت العرب، ونحب «حديث الأربعاء» من القاهرة.

أمـا إذاعـة أم درمـان، فكانـت لنـا نحـن السودانيين الروح والصوت والهوية.

مـن خلالهـا اسـتمعنا لـ «مـا يطلبـه المسـتمعون»، و«ركـن الأطفـال»، و«أوراق الصبـاح» التـي كان يقرؤهـا الراحـل متولي عيد، ذلك الصوت الذي لا يُنسى.

وقـد كانـت هنـا أم درمـان محطـة لـكل الشـعراء والفنانين، صوتها يـروي الحنين، ويشعل الانتماء.

وإذا أردت أن تختبـر ثقافة أحدهم، يكفي أن تدخـل معه في نقاش، فـإن غلبك بالحُجة، سيعلّق الآخرون ضاحكين:

«دا بسمع لندن!»

في إشـارة إلـى إذاعة الـ BBC العربية، التـي كانـت تُبـث مـن لنـدن وتُعتبـر حينها منبـر النخبـة، ومصدرًا موثوقًـا في الأخبار والمواقف.

الراديـو لـم يكن مجرد وسـيلة إعلام، بل كان معلمًا حقيقيًا.

نحن أبناء الريف، لم تكن تصلنا الصحف، ولـم يكن التلفاز موجـودًا بعد، وكانت الكتب نادرة، والمسارح معدومة.

فجـاء الراديو ليملأ هذا الفراغ، ويشـكل وعينا السياسي والثقافي والديني.

ومن المظاهر الإجتماعية اللافتة في ذلك الزمـن، أن الراديو يُغلق فور إعلان وفاة أحدٍ في القرية،

باسـتثناء نشـرة السـاعة الثامنة مساءً، والتي كنا نسميها ساخرين «نشرة الميتين»، حيث يُعـاد فتح الراديو خصيصًا لسـماعها مهما كان الحـزن، لأهمية الأخبار وارتباطها بحياتنا.

وفـي أيامنـا تلك، لم يكـن هنالك اختلاف كبيـر بيـن الطبقة المتعلمـة وأولئك الذين لا يقـرأون ولا يكتبون، فقـد كان الراديو يُعادل التعليم، بل ويشكّل لغة وعي موحدة للجميع واليـوم، ونحـن نطـرحُ فكـرة «مشـروع ثقافـي وطنـي»، علينـا أن نُعيـد النظـر فـي الوسائل التي سـاهمت يومًا في بناء إنسان واعٍ وفاعل.

الإذاعـة، رغـم مـا يبدو من بسـاطتها، ما زالت تحتفظ بقدرتها على الوصول والتأثير، خاصة في المناطق المهمشـة، وفي أوسـاط الناس البسطاء الذين لا يزالون يصغون إلى المذيـاع فـي الأسـواق، والمـزارع، ومواقف المواصلات.

علينا دعم هذا الوسـيط الأصيل، وتعزيز محتواه، وتوظيفه من جديد في خدمة الثقافة الوطنية.

فالراديـو ليـس مجـرد تاريـخ، بـل هـو مدرسـة للجميع، علينا أن نُعيد لها مكانتها، ونفتح لها الأبواب مجـددًا لتربي أجيالًا كما ربّت من قبل.

خاتمة شخصية

كنـت فـي صبـاي أُصغـي للراديـو كمـن يُصغِي لصوت الحقيقة.

أتابـع برامج «الإذاعة المدرسـية» و«ركن الأطفـال»، وأحاول أن أكرر أصوات المذيعين المشهورين، وأحلم أن أكون مثلهم ذات يوم.

كان الراديـو رفيقـي في الليـل، ونافذتي إلى العالم...

واليوم، أدين له بالكثير.

ومن حقه علينا أن نردّ له الجميل.

* شاعر وكاتب صحفي.

رؤى وتحليلات

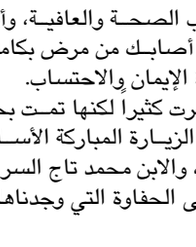

التنوع الثقافي في السودان: خارطة طريق نحو التنمية والسلام

أ. د. فيصل محمد فضل المولى *

المقدمة

يشـير مفهـوم التنـوع الثقافـي إلـى وجـود مجموعة من الاختلافـات البشـرية ضمـن مجتمع واحـد، أو عبر مجموعة من المجتمعات، تشـمل هـذه الاختلافات العرق واللغة والدين والقيـم والتقاليـد والممارسـات الاجتماعيـة. يحمـل التنـوع قيمـةً كبيـرةً، حيـث يُثري التفاعـل بين الأفـراد بوجهات نظر متعددة، ويُسـهم في تعزيز الفهم والاحترام المتبادل والتعايش السلمي. في السودان، ارتبط التنوع بالتاريخ والجغرافيا، فقد مزجت طـرق التجارة القديمة بين العـرب والأفارقة والنوبيين والمسـاليت وغيرهـم، فظهـرت خليطـاً حضاريـاً انعكس في الفنون الشـعبية والملبس والطعام والأساطير الشعبية. يُمكن اعتبار التنوع الثقافي في السـودان أداة اسـتراتيجية لتعزيز السلام والاستقرار، وزيادة فرص النمو الاقتصادي من خلال الصناعات الإبداعية والسياحة الثقافية. ومع مرور الزمن، فإن تحويـل هذا الإرث المشـترك إلى قـوة دافعـة للتنمية، يتطلب إطـاراً شـاملاً، يرتكـز علـى سياسـات واضحة، ومشـاركة مجتمعية حقيقية، واستثمار ذكي للموارد المحلية.

أهمية التنوع الثقافي في السودان

١. الاستقرار الاجتماعي والسلام:

التنـوع المدعـوم بالاحتـرام المتبادل يسـهم في إنشـاء شـبكات أمان مجتمعية قوية، تقلل من فرص اندلاع النزاعات، وتدعم عمليات المصالحة وجلسات الحوار المستمر.

٢. التنمية الاقتصادية:

تؤكـد دراسـات متعـددة أن الاقتصـادات المفتوحة على التنـوع تحقـق معـدلات نمو أسـرع بنحـو ٢٥-٣٠٪، بفضل القطاعات الإبداعية والسـياحة الثقافيـة والحرف اليدوية. في السـودان، يمكن استثمار الفنون الشعبية والأسواق التقليدية لخلق فرص عمل للشباب.

٣. الاستدامة البيئية:

تعتمـد بعض الممارسـات التقليدية الزراعيـة والرعوية، مثـل الزراعة المختلطة وأنظمـة المراعي الدائمة، على معارف محليـة أثبتـت فعاليتها فـي الحفاظ علـى المـوارد الطبيعية، والتكيف مع التغير المناخي.

٤. تعزيز الابتكار الاجتماعي:

التفاعـل بيـن الثقافـات المختلفـة يولّـد حلـولاً إبداعية للتحديـات الصحيـة والتعليمية والبنى التحتيـة، ويخلق بيئات حاضنة لريادة الأعمال الاجتماعية.

التحديات الراهنة

تواجه عملية تفعيل التنوع في السودان عدة عقبات تحتاج لتدخل استراتيجي:

• النزاعـات القبليـة والعرقيـة: لا تـزال بعـض المناطق تشـهد نزاعات مسـلحة أو توترات قبلية، مما يؤدي إلى نزوح داخلي يؤثر على الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي.

• هجـرة العقول والكفاءات: تفاقم ظاهرة هجرة الشـباب ذوي المـؤهلات في البحث عن فـرص خارج البلاد، مما يفقد المجتمع الموارد البشرية المؤهلة.

• نقـص البنيـة التحتيـة الثقافية: تحتـاج معظم الولايات إلى إنشـاء مراكز ثقافية متكاملة ومسـارح ومتاحف، تعرض التراث وتحفز الإبداع.

• غيـاب البيانـات الدقيقـة: يعـوق نقـص الدراسـات والإحصاءات المحدثة وضع خطط قائمة على الأدلة.

• ضعف التنسـيق المؤسسـي: يتطلب الأمر إعداد آليات للتعـاون الفعال بيـن الجهـات الحكومية ومنظمـات المجتمع المدني والقطاع الخاص.

خارطة الطريق التفصيلية (٢٠٢٥-٢٠٣٢)

خارطـة الطريق تتألف من سـت مراحـل مترابطة، تغطي الإصلاحـات القانونيـة، والتعليـم، والبنية الثقافيـة، والتنمية الاقتصادية، والمصالحة، والتقييم المستمر. تهدف كل مرحلة إلى ترسيخ التنوع الثقافي واللغوي في السودان، ضمن إطار مؤسسي وتنموي شامل.

المرحلة الأولى (٢٠٢٥-٢٠٢٦): الإطار القانوني والمؤسسي

الأهـداف: تشـريع قانون التنوع وتأسـيس هيئـة وطنية، وتطوير قاعدة بيانات ديموغرافية وثقافية.

* تشـريع قانون التنوع والمساواة: إعداد مسودة قانون شـامل، يثبت حـق الأقليات الثقافيـة واللغوية في المشـاركة السياسية والاقتصادية.

• تأسيس الهيئة الوطنية للتنوع: مجلس إشرافي مستقل يضم ممثلين عن كل ولاية ومنظمات المجتمع المدني والقطاع الخاص.

* إنشـاء وحـدة مركزيـة للبيانـات: تجميـع المعلومات الديموغرافيـة واللغويـة ومعطيـات الاسـتطلاعات الميدانيـة وتصنيفها رقمياً.

• ورش عمل استشـارية: تنظيم ٢٥ ورشـة في ١٨ ولاية، لجمع مداخلات المواطنين واقتراحاتهم.

المرحلة الثانية (٢٠٢٦-٢٠٢٨): التعليم والتوعية الإعلامية

الأهـداف: تعزيـز الوعـي المبكـر بالتنـوع، وغـرس قيم التعايش من خلال المناهج والوسائط الإعلامية.

* إدمـاج محتـوى التنوع في المناهـج: تصميم وحدات دراسـية تفاعليـة عن تاريـخ القبائـل والعـادات المحلية بلغة مبسطة تواكب معايير التعلم الحديثة.

* برنامج تدريب المعلمين: إعداد ٤,٠٠٠ مدرس ومدرسة على أساليب تدريس شاملة ثقافياً.

• منصـة تعليمية إلكترونيـة: إطلاق بوابة تضم فيديوهات تفاعلية وموارد مجانية بلغات ولهجات محلية.

• حملة إعلامية وطنية: إنتاج ١٥٠ حلقة وثائقية قصيرة، تعرض قصص التعاون بين المجتمعات في السودان.

المرحلة الثالثة (٢٠٢٧-٢٠٣٠): بناء البنية التحتية الثقافية

الأهـداف: تأسـيس مراكـز ثقافيـة إقليميـة ومسـاحات للإبداع، تجمع الفنون الشعبية والتراث.

• إنشـاء ٣٠ مركـزاً ثقافيـا: تجهيزهـا بمكتبـات وورش حرفية ومسارح مفتوحة ومعارض مبدئية.

* اسـتضافة مهرجان السودان للتنوع: مهرجان سنوي يجمع أكثر من ٣٠٠ فرقة فنية ويستقبل ٦٠,٠٠٠ زائر.

• اتفاقيـات شـراكة إقليميـة: توقيـع ١٠ شـراكات مـع مؤسسات ثقافية في إثيوبيا ومصر وتشاد.

• منح بحثية للدراسـات الثقافيـة: دعم ٧٥ بحثاً أكاديمياً في اللغات والتراث اللامادي.

المرحلة الرابعة (٢٠٢٨-٢٠٣١): التنمية الاقتصادية المستدامة

الأهـداف: تمويل المشـاريع المحلية، ودعم قطاع الحرف اليدوية والسياحة.

* إطلاق صندوق تنمية التنوع: ٢٠٠ مليون دولار لتقديم قروض ميسرة ومنح تمويلية إلى ١٠,٠٠٠ مشروع صغير.

* التدريـب المهني وريادة الأعمال الثقافية: تنفيذ برامج تأهيل ٨,٠٠٠ شاب في المهارات الرقمية وتسويق المنتجات.

* تطويـر مسـارات سـياحية ثقافيـة: تأهيـل ٢٥ موقعاً تاريخياً وربطها ببرنامج سياحي وطني.

* حوافز استثمارية للشركات: تخفيضات ضريبية وتسهيل إجراءات تأسيس المشاريع.

المرحلة الخامسة (٢٠٢٩-٢٠٣٢): الحوار والمصالحة

الأهداف: تفعيل آليـات الحوار المجتمعي وحل النزاعات وبناء الثقة.

• مؤتمر وطني للحوار: اجتماع سنوي بحضور ٥٠٠ من ممثلي القبائل والحكومة والمراقبين الدوليين.

* برنامـج الوسـاطة المجتمعيـة: تدريب ٣,٠٠٠ وسـيط محلي على مهارات التفاوض وتقنيات العدالة الانتقالية.

• مبـادرة «جسـور الثقـة»: مشـاريع زراعيـة وصناعيـة مشتركة بين أطراف منقسمة لإنشاء فرص عمل.

* وثائـق المصالحة الرسـمية: إصدار بيانات مشـتركة تعترف بالانتهاكات، وتحدد آليات للتعويض.

المرحلة السادسة (مستمرة): القياس والتقييم والنشر

الأهداف: متابعة التقدم وإجراء التعديلات الاستراتيجية.

* تطوير مؤشـر التنوع الوطني (NDI): يشمل مؤشرات تمثيل الأقليات، المشاركة الاقتصادية، مستوى الرضا.

• التقارير الدورية والمنصة الرقمية: نشـر تقارير نصف سنوية وربع سنوية مع لوحات تحكم تفاعلية.

• الاسـتجابة الفوريـة للتحديـات: تنبيهـات بالـذكاء الاصطناعي للتأخيرات أو الصعوبات.

• آليـة ملاحظـات المواطنيـن: منصـة تتيـح اقتراحـات وشكاوى متصلة بتنفيذ المشروع.

دراسات حالة مستقبلية

• الخرطـوم: سـتُطلق لجنة التنـوّع المحلية اسـتبيانات إلكترونيـة وورش عمـل، لجمـع آراء ٥,٠٠٠ مواطـن، ممـا سيساعد في صياغة مواد قانونية شاملة.

• سـنار: ستقوم مدرسة ثانوية بتطبيق وحدات التنوع في المنهج، وسيسـجّل مؤشر التعايش ارتفاعا بنسبة ٦٠٪ خلال عام.

* النيـل الأزرق: سينشـأ مركـز ثقافـي فـي الدمازيـن، يستقبل أكثر من ١٢,٠٠٠ زائر سنويًا من مختلف القبائل.

• كسلا: سيعتمد مشروع «سوق التنوع» على دعم ٤٠٠ حرفي محلي، مما سيزيد دخل الأسر بنسبة ٥٠٪.

• دارفـور: سـتدير قبيلتـان مشـروعا زراعياً مشـتركاً، ويُتوقع حل أكثر من ٢٠ نزاعاً أرضياً.

دور الذكاء الاصطناعي في التسريع

* التحليل الاستباقي: ستستخدم خوارزميات التعلم الآلي لتحليل البيانات الضخمة، واكتشاف التوترات الثقافية مبكرًا

• التعليم الذكي: سيُطوَّر نظام تعليم تكيّفي يقدم، محتوى تفاعليًا بحسب مستوى الطلبة.

* المكتبـات الافتراضية: سـتُدمج تقنيـات الواقع المعزز لعرض التسجيلات الصوتية والمرئية للتراث.

* التنبؤ الاقتصادي: سـترصد خوارزميات AI اتجاهات السوق للحرفيين وتوجه الإنتاج وفق الطلب.

* الحوار الرقمي: ستتيح منصات الترجمة الفورية الآلية، تبادل الآراء بين الناطقين بلهجات مختلفة.

• المراقبة الذكية: سـتُدار لوحات تحكم ذكية بمؤشـرات الأداء، وتحذيرات مبكرة لاتخاذ إجراءات تصحيحية.

التوصيات

١. تمكيـن الشـراكات الدوليـة: التعـاون مـع منظمـات اليونيسكو واليونسيف لبناء قدرات محلية.

٢. تعزيـز التمويل المسـتدام: توظيف المانحين الدوليين وصناديق الاستثمار التنموي.

٣. تدريب القيادات المحلية: برامج قيادة مخصصة لقادة المجتمع، للحفاظ على الزخم المحلي.

٤. التوسـع في التقنيات الرقميـة: توفير بنية تحتية رقمية وخدمات إنترنت في المناطق الريفية.

إن إدراك أهميـة التنـوع الثقافـي ليـس مجـرد تقديـر لثـراء الإرث الشـعبي والعـادات الاجتماعيـة، بل هـو واجبٌ اسـتراتيجي لبناء مسـتقبل مزدهر ومسـتدام في السـودان. عبـر تعزيز مفهوم التنوع كأسـاس لتوحيـد المجتمع، وتفعيل خارطة الطريق التفصيلية التي تشمل التشريعات والسياسات التعليميـة والاقتصادية والثقافية، يمكن للسـودان أن يسـابق الزمـن ليصبـح نموذجاً يُحتذى بـه دوليـاً. إن توظيف الذكاء الاصطناعـي والابتـكار الاجتماعـي فـي هـذا السـياق ليس رفاهية، بل ضرورة لتحقيق مرونة واستجابة سريعة للتحديات المسـتقبلية. بالإلزامية الشراكة الفعّالة بين الحكومة والمجتمع المدنـي والقطـاع الخـاص، وباسـتثمار مسـتدام وتخطيـط استراتيجي، سينجح السودان في تحويل تنوعه إلى قوة دافعةً للتنميـة والسلام، محافظـة بذلك على تراثه ومشـاركة أجياله القادمة في بناء وطن أكثر إشراقاً وعدلاً.

يُمثل التنوع الثقافي في السـودان فرصة اسـتثنائية لبناء مسـتقبل مسـتدام قائم على احترام الاختلاف والابتكار. عبر تنفيذ هذه الخارطة التفصيلية بالتعاون بين الحكومة والمجتمع المدني والقطاع الخاص، مدعوماً بتقنيات الذكاء الاصطناعي، سيحقق السودان قفزة نوعية نحو السلام والتنمية والازدهار، ويصبح نموذجاً يحتذى به إقليمياً وعالمياً.

* أكاديمي وباحث مستقل.

إضاءات

أهمية التعليم العالي في تحقيق النهضة بدولة السودان

أ. د. فكري كباشي الأمين العربي *

● يُمثِّل التعليم العالي في أي بلد حجر الزاوية الأساسية للعملية التنموية، وأحد المؤشرات الرئيسية لتقدم الشعوب وبناء الإنسان، وقد تزايدت الحاجة للتعليم العالي، وزاد الاهتمام بتطويره، لما له من أهمية في تحقيق متطلبات التنمية وخدمة أهدافها، حيث أصبحت مؤسسات التعليم العالي ومراكز الدراسات المتخصصة والبحث العلمي موطنًا لصناعة القرار الثقافي والعلمي، ومصدرًا لرسم التوجهات الاستراتيجية، وحاضنة لإنتاج العقول المؤهلة للنهوض بالبناء الحضاري والاقتصاد الوطني للبلاد. وتلعب الجامعات دورًا مهمًا في قيادة التعليم والتعلم والبحث والتقنية. تقدم الجامعات المسارات التعليمية والتدريب المهني للوظائف الرفيعة المستوى، فضلاً عن التعليم اللازم لتنمية الشخصية. ودور الجامعات مهم جدًا لجميع القطاعات من الناحيتين الاجتماعية والقانونية في هذا العصر، فخريجو جميع التخصصات بحاجة إلى معرفة المزيد حول الاستدامة أيضًا. يمكن للجامعات أن تساعد في تزويدهم بالمعارف والمهارات الجديدة اللازمة لمواجهة تحديات التنمية المستدامة في المجتمع، وفي زيادة الوعي العام، وتوفير الإجراءات المسبقة لاتخاذ القرارات المستنيرة والسلوك المسؤول وإختيارات المستهلك.

واعترافًا بأهمية التعليم العالي، وإقرارًا لدوره المهم في دول العالم، أعلنت الأمم المتحدة في عام ٢٠٠٢، أن الفترة ٢٠٠٥-٢٠١٤ هي عقد التعليم من أجل التنمية المستدامة. وكان هدف التحرك هو دمج مبادئ وممارسات التنمية المستدامة في جميع جوانب التعليم والتعلم، واليوم تواصل مؤسسات التعليم العالي، وعلى رأسها الجامعات، لعب دور مهم في تعزيز التنمية المستدامة، كما أن للجامعات عدة أدوار داخل المجتمع، يمكنها أن تساهم من خلالها في إحداث التنمية المستدامة. ويتم إجراء البحوث الرائدة المهمة في كثير من الأحيان داخل مؤسسات التعليم العالي، مما يساعد على توليد الابتكار والمعرفة. وبالمثل، فإن الجامعات مسؤولة عن تثقيف صناع القرار الذين يشكلون المستقبل. هذا وتلعب الجامعات الدور الرئيس في تزويد المجتمع بالمواطن المسؤول، من خلال تقديم التدريس ذي المعايير العالية، والبحث، والتعلم. وقد ذكرت اليونسكو UNESCO أن الجامعات لديها ثلاثة أهداف مهمة، وهي (التدريس والبحث وخدمة المجتمع)، ولذلك

تعتبر الجامعات بمثابة مؤسسات رئيسية في عمليات التغيير الاجتماعي والتنمية.

إن الدور الأكثر أهمية الذي تم تكليفهم به هو إنتاج القوى العاملة الماهرة، وتعميم مخرجات الأبحاث لتحقيق الأهداف المأمولة. ويتمثل الدور الآخر الذي قد تلعبه الجامعات في بناء مؤسسات جديدة للمجتمع المدني، وفي تطوير قيم ثقافية جديدة، وتدريب الناس وإقامة علاقات اجتماعية معهم، تأخذ بعين الاعتبار دعم الرفاه الاجتماعي. ويتطلب التحسين السريع في رفاهية السكان، تبسيط جميع الموارد المتاحة للأمة. وتعد الجامعات من بين أهم هذه الموارد، حيث إن التنمية الوطنية ما هي إلا نتيجة عمليتين متزامنتين (النمو والتغيير)، ويمكن أن يتأثر كلاهما بشكل حاسم بالعلوم والتقنية بجميع أشكالها. وذلك يتطلب جامعة تأخذ الدور الريادي في جهود التنمية، ووضع احتياجات عملية التطوير في صلب أنشطتها التعليمية.

وعندما يتحدث الناس عن التعليم الجيد، فإنهم يشيرون غالبًا إلى نوع التعليم الذي يمنح الطلاب المعرفة والمهارات التي يحتاجون إليها في سوق العمل. ولكنْ هناك رأي مفاده أن التعليم الجيد له فوائد أوسع، فهو يطور الأفراد بطرق تساعد على تطوير المجتمع على نطاق أوسع. ويحتاج التعليم الجامعي إلى القيام بأكثر من إنتاج خريج يمكنه الحصول على وظيفة. يجب أن يوفر التعليم العالي أيضًا للطلاب فرصًا وخيارات وصوتًا عندما يتعلق الأمر بسلامة العمل والرضا الوظيفي والأمن والتطور والكرامة. يجب أن يعدهم للمشاركة في الاقتصاد والمجتمع الأوسع.

وخير مثال يمكن الاستدلال به في أهمية التعليم العالي في نهضة الأمم وذلك من خلال استعراض تجربة تلك الدول التي أطلق عليها دول «النمور الآسيوية» وهي دول شرق آسيا (تايوان، سنغافورة، هونغ كونغ وكوريا الجنوبية)، التي استطاعت أن تحقق معدلات نمو اقتصادية كبيرة وسريعة خلال الفترة ما بين الستينيات والتسعينيات، نتيجة التطور في مجال التربية وفي مجال التعليم العالي. ولذلك يعتبر التدريس مهنة محترمة جدا فالمعلم له كل الحق في الانخراط في الدورات التدريبية التي يحتاجها لتنمية قدراته، وزيادة معدل عطائه، وهذا عبء إضافي يلقى على عاتقه، ويمكن أيضًا الاستدلال بتجربة دولة سنغافورة، التي كانت من الدول المتخلفة في نظامها التعليمي إبان الحرب العالمية الثانية وحتى منتصف السبعينيات، إلا أن قيادة البلد قررت أن تقوم بإصلاح العملية التعليمية من خلال برنامج متكامل، يشمل كافة النواحي التعليمية من مناهج- تطوير لكفاءات المعلمين- إعادة تأهيل الأبنية- توعية الأهل، وتسمى هذه الاستراتيجية بالدفع الجمعي. وكل هذه الشواهد تؤكد أن الأستاذ الجامعي يمثل رأس الرمح في العملية التعليمية، ولذلك أعتقد أن اتجاه الدولة للإيفاء بمطالب الأساتذة في السودان، والتي تمثلت في تنفيذ جزء من مقترح الهيكل الراتبي لأعضاء هيئة التدريس، الذي أجيز خلال فترة سابقة، يمثل خطوة إيجابية، وأتمنى أن تمتد المساعي في معالجة رواتب الكوادر المساعدة والفنيين، الذين يمثلون أحد أهم الأركان، وكذلك أتمنى المضي قدمًا في تعديل قانون المعاش للأستاذ الجامعي لحين العجز التام، وكذلك المعالجة الجذرية لأوضاع الأساتذة المبتعثين، ثم تخصيص ميزانية معتبرة من أجل الارتقاء بالبحث العلمي في الجامعات، ويمكن إشراك أعضاء هيئة التدريس في المساهمة في كيفية تنفيذه، من خلال إعداد الدراسات العلمية الرصينة، وجلسات العصف الذهني، وورش العمل، خاصة في ظل ظروف البلد الحالية، من خلال استنباط مصادر لتمويل هذه الزيادة في الهيكل، حتى لا تؤدي إلى التأثير في زيادة معدلات التضخم النقدي. وأخيرًا ينبغي ويجب على إدارات الجامعات وأعضاء هيئات التدريس العكوف والاجتهاد في إعداد البرامج الكفيلة بمعالجة الأعداد المتراكمة من الطلاب لأكثر من ثلاث دفع في المستوى الواحد، على ألا تؤثر تلك المعالجات المقترحة في الانتقاص من معدلات جودة المخرجات التعليمية.

* خبير اقتصادي.

نحو غد مشرق

إدمان وسائل التواصل الاجتماعي ... سحرٌ يجذبنا وخطرٌ يهددنا

د. حاتم محمود عبدالرزاق *

● في عصر باتت فيه الشاشات رفيقة الصباح والمسَاء، تحولت وسائل التواصل الاجتماعي من وسيلة للتسلية والتواصل إلى ساحة ضخمة تلتهم أوقاتنا، تسرق منا لحظاتنا الثمينة، وتنسج حولنا خيوطا من الإدمان الناعم الذي لا نشعر به إلا بعد فوات الأوان.

ما هو هذا الإدمان؟

هو ذلك الانغماس اللاواعي في تصفح الصور، ومتابعة القصص، وتصيّد الإعجابات والتعليقات، حتى يصبح الهاتف امتدادًا لأيدينا، ونشعر بالقلق إذا ابتعد عنا للحظة.

تتنوع أشكال هذا الإدمان، فمنا من يدمن التواصل والتفاعل المستمر، ومنا من يفتش في مقاطع الفيديو دون توقف، وآخرون يلاحقون الأخبار وكأن الحياة لن تسير بدون جديد عاجل. بعضهم يجد في الألعاب الإلكترونية المتصلة بالعالم الافتراضي ملاذا آخر، فيختلط الواقع بالخيال، وتضيع الساعات بلا إحساس.

ورغم هذا كله، لا نستطيع أن ننكر أن وسائل التواصل الاجتماعي خلقت لنا أبوابًا مشرعة على العالم: جمعت البعيد، خففت قسوة الغربة، منحتنا مساحات للتعبير والعمل والتعلم، وفتحت لنا آفاقا لم نكن نتخيلها.

لكن... أين يكمن الخطر؟

الخطر حين يتحول كل ذلك إلى عزلة صامتة، حين يصبح الهاتف بديلا عن النظرة الحقيقية والضحكة الصادقة، حين نصحو وننام على وهج الشاشة، فنسقط في دوامة القلق، ونفقد القدرة على التركيز، ونحرم أجسادنا من النوم العميق والهدوء النفسي.

إن التحدي الأكبر اليوم هو كيف نوازن بين الانغماس في هذا العالم الرقمي وبين الإمساك بحقيقتنا الإنسانية. كيف نتحرر من قبضة الخوارزميات التي تتلاعب بأوقاتنا، وتدفعنا للبقاء متصلين حتى آخر رمق من طاقتنا.

ما الحل؟

الحل يبدأ من داخلنا... بأن نعيد رسم حدودنا مع هذه المنصّات، نخصص أوقاتًا محددة، نغلق الإشعارات المزعجة، ونعود إلى لحظاتنا الحقيقية: كتاب نقرأه، فنجان قهوة مع صديق، نزهة في الطبيعة، حوار صادق مع العائلة.

ولا بدّ من دور كبير للأسرة، والمدرسة، والمجتمع في توعية الأجيال، وغرس ثقافة الاستخدام الواعي، حتى لا نخسر مستقبلنا في زحمة الصور والقصص الوهمية.

في النهاية، وسائل التواصل الاجتماعي كالنار، قد تنير لنا الدروب، أو تحرقنا إن لم نحسن استخدامها. لنجعلها أداة نتحكم فيها، لا سجنًا نحبس فيه أنفسنا.

* لواء شرطة متقاعد – محام ومستشار قانوني.

ضل المدينة

ثمرة فكرة

العجب عبدالكريم العجب *

● الضل ننطقها نحن في السودان هكذا الضُل بضم الضاد وسكون اللام. وحرف الضاد ينطقه الخليجة ظاء، كذلك أهل النحو في العراق، لذا تكون حروف بنت عدنان عندهم سبعة وعشرين حرفا فهل متساوون معهم في العروبه أم في اختزالها في اللون والشعر الأملس الناعم عندهم.. أما أشقاؤنا المصاورة كما يجمعهم أهل الخليج فينطقون الضاد دال في عاميتهم، وفي فصحاهم يتشاركون معنا النطق أو ليس الصديق وقت الضيق كما المثل.

كل ما تقدم مدخل لعنوان عمودنا الذي اخترناه، لما للضل عندي من هوى ومكانة تفوق تلك التي جاءت في رواية ظل الحمار الشهيرة. الضل عندي هو ذاك الذي أستجير به من لفح الهجير، قد يكون شجرة، أو (زول) أو (أزوال)، كما يمكن أن يكون جداراً وجريدة. وأضيق بضل مغلق عليَّ، وهو عندي براح ممتد ألتقي فيه بذاتي وكثير من اهتماماتي، وتكتمل فيه روعة التجلي بلقاء لصديق بعد طول غياب، كما في ضل مدينتنا اليوم.

يقولون إن الصدفة خير من ألف وعد، وكنت أظن أن بعض القول افتراء، إلا أنه فعلاً بألف ألف وعد. كنت سائراً مطلقاً ساقي بغير هدى وهدف أصله، لأن الهدف الذي شغل تفكيري تملك بوصلة المسير عندي، وأنا على حالة المجذوب هذه، شدني ضل شجرة وارفة، تراصت عندها بعض الكراسي وكبايات القهوه التي أهوى لمحتها رائحة وغادية، حينها تجاسرت على بوصلة المسير، وأدرت مقودها نحو ذلك الضل الذي أكد وعد المصادفة، عندما رفع صديقي عينيه عن هاتفه ليرتشف من كوب قهوته، التي كانت أمامه على التربيزة التي تفصل بينه وبين المقعد الذي اخترته مرغماً، بعد أن صرعت قدماي وبوصلة مسيرهما جالساً من غير تركيز فيما حولي. رفع صديقي كوبه ومعه صوته عاليا بما لا يتفق مع طبعه والضل ومن حوله (اصلووووو ما ممكن ولا متوقع) هكذا خرجت ممطوطة تحاكي طول فراقنا، عندها استعدت الوعي بالمكان وتعانقنا بحرارة أسكتت لهنيهة نسيم الضل العليل، الذي ألهبته حرارة التلاقي. جلسنا ودارت كؤوس القهوة وكثير من الحكايا والمواقف، ملغية الإحساس بالزمن والمكان، الذي أعادنا إليه سؤال عرضي مني ماذا أتى بك إلى هذا المكان؟ وجدته جائلاً مثلي، وأعجبه ذات الضل الذي أجبرت ساقيَّ إليه، غير أنه اختار أن يكون ملهماً له لمقال للصحيفة التي يعمل بها. فكان ذلك مدخلاً لحوار تمنى صديقي أن تجمعنا لحظة حتى يدور بيننا، والتي وفرها لنا هذا الضل. وبدأ صديقي في الإطراء على بعض كتاباتي وكثير من مداخلاتي على الوسائط، والتي في الغالب الأعم لموضوعات عامة، بدا معجباً باللغة وتناول المفردات ووو.. أوقفته لأنني لا أرى ما يراه، وأن كتاباتي اعتيادية، لكن بخبرته وحصافته لا يرى ما أرى.. ثم انتبه كلانا ببائعة القهوة بدأت في لملمة حاجياتها إيذاناً بالإغلاق، في تلك اللحظة عرفنا كم أمضينا من زمن حاولنا نقلص فيه سنوات الفراق، وافترقنا على أمل ألا يطول الفراق، إلا أنه طال.

والآن حان اللقاء لكن عبر الأسافير، والفكرة التي بذرها داخل عقلي في ذلك الضل بدأت تورق وتثمر، وسوف نجني ثمارها تباعاً لنحكي عن ضل مدينتنا الإنسان وإنسان مدينتنا الفنان.. نحكي بتنوع يشبه ثقافته ورياضته ورياداته وساسته وسياسته وكل المجتمع وحراكه، مستلهمين ذلك من أفواه وتجارب ومواقف أصحاب الضل الوارف في أم المدائن ودمدني التي نعشق.

نلتقي في ضل أرحب
مع كل مودتي

* كاتب صحفي.

على فكرة

لماذا ظلّ إنسان الفاشر يقاتل وحيداً حتى اليوم؟

أحمد محمود كانم *

● بادئ ذي بدء، لستُ من دعاة الحرب، ولم يحدث أن تقيأ قلمي بالتشجيع على استمرار العنف إطلاقا، ولن يفعل.

لكن وددت فقط أن ألفت الإنتباه إلى أزمة إنسانية ظلت منسية داخليا وخارجيا، رغم فظاعتها وقساوة واقعها الذي لا يمكن تجاهله!

إنها مأساة إنسان مدينة الفاشر.

فهل تعلم - عزيزي القارئ - أن إنساناً سودانياً مثلي ومثلك، الآن، وأثناء كتابة هذا المقال، يكافح ليتعشى مع أطفاله بوجبة «الأمباس»؟

و«الأمباس» - لمن لا يعرفها - هي مخلفات معاصر الزيوت التي تستخدم عادة علفاً للماشية.

*وهل تعلم أن التدوين العشوائي بالمدافع الثقيلة جداً، الذي كنتم تشاهدونه بشكل يومي في الخرطوم، لا يزال مستمراً، يتدفق على رؤوس المواطنين داخل مدينة الفاشر، التي ما برحت محاصرة من قبل الدعم السريع لأكثر من عام وشهرين؟

وهل تعلم أن سنّارة الجوع والهلع ما انفكت تصطاد الأطفال والمسنين كل يوم بأعداد يعجز العادون عن حصرها؛ في ظل توقف تام للخدمات الصحية والمياه؛ بجانب جشع غريب من قبل وكالات التحويلات المالية، الذين وصل بهم الحال لخصم ٥٠٪ من جملة المبالغ التي يجود بها ذوو الأسر المحاصرة هناك، مع انعدام شبه تام لما يمكن شراؤه من مواد غذائية؟

هذه مشاهد يومية في مدينة يباد أهلها على مرأى ومسمع من العالم، ولا أحد ينظر نحوها إلا على استحياء.

*ورغم كل هذا، ظلت الفاشر صامدة بإرادة أهلها؛ أبنائها وبناتها الذين صمدوا، ليس حباً في الجيش الذي كان قد سامهم -هو وجنجويده- سوء العذاب، فذبح أبناءهم، وسحق كرامة نسائهم لأكثر من عقدين من الزمان... بل لأنهم عرفوا أن خيارهم الآخر هو الموت الجماعي، على طريقة ما حدث في الجنينة، حيث امتلأت الطرقات بجثث الأبرياء، واغتصبت العشرات من النساء -بحسب تقارير أممية- وشهادات الضحايا أنفسهن، أو دفنهم أحياء، كما وثقتها كاميرات الفاعلين أنفسهم.

* ورغم استبسال أهاليها، وتصديهم لأكثر من ٢٢٣ هجوماً حتى ظهر يوم الاثنين ٢١ يوليو - بحسب مصادر مطلعة- لكن الفاشر لا تزال محاصرة، تتلقى الضربات من كل اتجاه، قصفاً بطائرات ومسيّرات الجيش تارة، وتدويناً بمدافع ومسيّرات الدعم السريع تارات متتاليات... دون أن تجد صدى لصراخها في قاعات الأسرة الدولية، أو حتى قاعات بورتسودان المكتظة ب«المرتاحين».

والسبب في ذلك يعود إلى عقلية موروثة داخل المؤسسة العسكرية، التي ترى السودان في شكل مختزل، يبدأ وينتهي في الخرطوم، وبعض أجزاء البلاد من الشمال والشرق والوسط.

أما دارفور، فغالبا ما تُعامل كأرض خارج التعريف «الوطني»، تصلح فقط لتكون ساحة معارك، لا تستحق التضحية أو حتى الاهتمام، إلا بقدر ما يلهي المتقاتلين عن التفكير في نقل العراك إلى خارجها.

* وما يعمق الجرح أكثر، هو ازدواجية المشاعر السودانية نفسها... فكم شاهدنا وسمعنا وقرأنا من القصائد والأغاني التي كتبت للحث على استعادة الخرطوم وود مدني وسنجة وجبل موية حينما كانت لا تزال في قبضة الدعم السريع!

لكن حينما يأتي الحديث عن الفاشر، لا نرى عنها شيئاً إلا على صفحات أبنائها، الذين ما فتئوا ينادون وحدهم، يكتبون وحدهم، يدفنون شهداءهم وحدهم، وينتظرون الموت وحدهم.

* ينظر الطرفان إلى مصالحهما الاستراتيجية في السيطرة على تلك المدينة التاريخية... لكن هل سأل أيٌ منكما نفسه: ما مصلحة المواطن في مصالحكما هذه طالما ثمن ذلك هو إبادته وأسرته؟

بل ما مدى أهمية المواطن -أصلاً- بالنسبة لكما؟

المواطن الذي يُقصف، يُجوَّع، يُنزَّح، ويُقتل ويُغتصب... ما ذنبه في كل هذه المآسي والأزمات التي تحيط به بفعل حماقتكما؟ ومِن أجل مَن تُقاتلون؟

ومن سيتبقى إذاً ليحكمه المنتصر؟

إن المصلحة الوحيدة التي لا أؤمن بغيرها، هي إيقاف القتال فوراً، وفك الحصار الفوري عن مدينة الفاشر، وفتح المسارات لقوافل الإغاثة الدولية، والسماح للناقلات التجارية بممارسة نشاطها... والسماح غير المشروط للمواطنين بالتنقل من وإلى المدينة، لأنهم لا ناقة لهم في ذلك ولا ورل!

* كاتب صحفي.

أبعاد

معالجات خارج صندوق أفكار المسؤولين لإعادة الثقة في الجنيه السوداني

محمد كمير *

● إعادة الثقة في الجنيه السوداني ليست مسألة إجراءات تقليدية تُكتب في أوراق السياسات، بل هي معركة حقيقية لاستعادة قيمة مفقودة لدى الناس في السوق وفي الذاكرة. لا جدوى من وعود فضفاضة ولا من سياسات مرهقة بالبيروقراطية. المطلوب هو إعادة تقديم الجنيه كأداة مالية قابلة للحياة والاستخدام والتراكم، وهذا لا يتحقق إلا عبر أدوات ومعالجات تتجاوز الطرق الرسمية المعتادة، التي ظلت تكرر الفشل بصور مختلفة.

الانطلاقة يجب أن تكون من فكرة إعادة تصميم الطلب على الجنيه، فبدلاً من محاولة فرضه بقوة القانون أو عبر التعاميم الإدارية، يجب أن يُخلق له دور حقيقي في حياة المواطن اليومية. يمكن للدولة أن تطور أداة ادخار قصيرة الأجل بعوائد مجزية ومرتبطة بالتضخم، تُصدر رقميًا، وتُتاح لكل المواطنين عبر محافظ إلكترونية على الهواتف الذكية. هذه الشهادات يمكن أن تحمل عائدًا نصف شهري أو شهرياً، مع مرونة سحب فورية، ما يجعل الجنيه أداة استثمار يومية بدلاً من أن يظل مجرد وسيط هش في السوق.

فوق ذلك، يجب إعادة هندسة طريقة استهلاك الدعم والدخل، بحيث تقدم الدولة مخصصات معينة للفئات المنتجة أو المستهلكة، عبر وحدات حسابية مربوطة بالجنيه، ومقيدة بسلاسل التوريد المحلية. هذه الوحدات يمكن استخدامها فقط في شراء السلع المحلية، وهو ما يضمن دوران الجنيه داخل السوق، بدلاً من تسربه إلى تجارة العملة أو الذهب. الفكرة هنا هي أن يُربط الجنيه بسلسلة إنتاج واستهلاك داخلية واضحة، وليس فقط بسعر الصرف في السوق الموازي.

التحويلات الخارجية، خصوصًا من المغتربين، تمثل فرصة نادرة لإنعاش الجنيه إذا جرى التعامل معها بعقلية السوق لا بعقلية السيطرة. يمكن إنشاء منصة تحويلات رقمية وطنية، بالتعاون مع شركات التكنولوجيا المالية، تتيح للمغترب تحويل الأموال مباشرة إلى حسابات محلية بالجنيه، مقابل حصوله على مزايا مستقبلية، مثل إعفاءات جمركية، أو فرص استثمار مدعومة عند العودة النهائية. بهذه الطريقة، يتحول الجنيه إلى مخزن للامتيازات المستقبلية، لا مجرد عملة محلية منخفضة القيمة. كما أن النظام الضريبي يمكن أن يتحول إلى أداة ذكية لتحفيز التعامل بالجنيه، عبر تقديم خصومات ضريبية فورية للأنشطة التي تستخدم الجنيه في كل تعاملاتها من الإنتاج حتى البيع. على الجهة الأخرى، يمكن فرض رسوم خفية على التعاملات التي تجرى بالدولار أو بأي عملة أجنبية داخل السوق المحلي. بهذه الطريقة لا يُمنع استخدام العملات الأجنبية، لكن يصبح استخدام الجنيه خيارًا اقتصاديًا أكثر فاعلية وربحًا.

أما على مستوى التمويل، فبدلاً من تقديم قروض تقليدية، يمكن تصميم برامج تمويل إنتاجي تُربط بسعر صرف مُحفز للجنيه، بحيث يحصل المنتج على تسهيلات إضافية إذا التزم بالتداول بالعملة المحلية. هذه الحوافز يمكن أن تُدار عبر تطبيقات رقمية تراقب دورة المال والإنتاج، وتمنح الجنيه دورًا مركزيًا في العلاقة بين الدولة والقطاع الخاص والمستهلك.

خلال ثلاث سنوات فقط، يمكن عبر هذه المعالجات غير التقليدية أن يتحول الجنيه السوداني من ورقة فقدت معناها إلى أداة مالية تحفز الاستثمار، وتعيد ضبط سلوك السوق، وتصبح مرتبطة بالمردود والفرص وليس فقط بالقانون. هذه ليست مجرد خطة إنقاذ، بل إعادة هندسة كاملة للثقة، تقوم على الفهم العميق للسلوك الاقتصادي اليومي، وعلى القدرة على توظيف الأدوات المالية الجديدة في بناء عملة قادرة على الحياة. فالجنيه السوداني لا يحتاج إلى تلميعه، بل إلى صناعة جديدة لثقة تُبنى من تحت، وليس من فوق.

* كاتب صحفي.

نحو غد مشرق

نقطة الحسم: الخرطوم في قبضة القرار العسكري

لؤي إسماعيل المجذوب *

● في وقتٍ بالغ الحساسية، انتقلت حكومة الدكتور كامل إدريس إلى قلب العاصمة الخرطوم، في خطوة تحمل أبعادًا سياسية وأمنية بالغة الدلالة، تعيد صياغة العلاقة بين الدولة ومركز القرار السيادي، وتفتح باب المواجهة مع واقع التفلت والانهيار الأمني.

العودة إلى الخرطوم.. دلالة الدولة وسيادة القرار

لم تكن عودة الحكومة إلى الخرطوم مجرد إجراء تنفيذي، بل قرار استراتيجي ذو مغزى سيادي عميق، يهدف إلى:

إعادة بسط هيبة الدولة في مركزها الطبيعي.
إدارة المعركة من الأرض، لا من المنفى.
إرسال رسائل داخلية وخارجية بأن البلاد ماضية في طريق استعادة السيطرة.

لكن هذه العودة وحدها، بلا خطة أمنية صارمة ومتصلة، لا تفي بالغرض ولا تؤمّن العاصمة.

خطة الانتشار الأمني.. تكامل القوة والانضباط

عناصر القوة الضاربة:

قوات مشتركة من الجيش والشرطة والدعم النظامي
استخبارات ميدانية مدعومة بتقنيات مراقبة (طائرات مسيرة، كاميرات).
غرف عمليات موحدة على مستوى القطاعات والمربعات.

مراحل التنفيذ (زمنيًا):

١. الانتشار والسيطرة (أسبوعان): تركيز على المداخل والمحاور الاستراتيجية.
٢. التمشيط والتجريد (شهر): إزالة بؤر التسلح والتفلت.
٣. التثبيت الأمني (شهران): عودة المؤسسات وضمان الاستقرار.

لكن الانتشار وحده لا يكفي، بل يجب أن يترافق مع وضوح في المهمات والاختصاصات.
مراقبة يومية للأداء والانضباط.
قنوات بلاغات مفتوحة للمواطنين.
تفكيك التشكيلات المسلحة.. معركة فرض القانون.
الهدف الرئيس الآن هو تفريغ العاصمة من أي كيانات مسلحة خارجة عن سيطرة الدولة، عبر:
مهلة زمنية لتسليم السلاح أو مغادرة العاصمة.
تتبع شبكات التمويل والتسليح.
عمليات ميدانية دقيقة بدعم استخباري.

أبرز التحديات:

الاختلاط بالمدنيين.
الحماية القبلية أو السياسية.
ضعف الإمكانات اللوجستية.

المعالجة:

حملات إعلامية توعوية.
دعم المجتمعات المحلية للقرار الأمني.
سرعة في إصدار الأحكام والتعامل مع البلاغات.

السكن العشوائي.. خاصرة العاصمة الرخوة

العشوائي ظل يمثل مهددًا مزمنًا لكل الحكومات المتعاقبة، بسبب:
انعدام السيطرة الأمنية.
إيواء مجرمين ومرتزقة.
غياب الخدمات والتخطيط.
خطة المواجهة:
مسح ميداني شامل.
إعادة توزيع مؤقت للمخالفين في معسكرات تحت الرقابة.
تخطيط عمراني جديد تدريجي تحت إشراف الدولة.

الوجود الأجنبي.. ضبط لا تهاون فيه

في ظل تفاقم التهديدات المرتبطة بالوافدين، بات ضبط الوجود الأجنبي أولوية أمنية، وتشمل الخطة:
إحصاء وتصنيف كل الأجانب بالخرطوم.
إصدار تصاريح مرور وتنقل قابلة للتتبع.
نقل الأجانب غير النظاميين إلى معسكرات خاصة بولايات النيل الأبيض والقضارف، لضمان فصلهم عن البيئة المدنية.

معوقات التنفيذ:

شبكات التهريب والإيواء.
حواضن اجتماعية أو قبلية.
ضعف التنسيق مع البعثات الدبلوماسية.

المظاهر السالبة.. حسم لا تراجع فيه

تشهد العاصمة مظاهر سالبة تهدد الاستقرار، من أبرزها:
حمل السلاح وسط المدنيين.
الجبايات غير المشروعة.
تجارة الوقود والدولار.
الانفلات الأخلاقي والمدني.

آليات المعالجة:

حملات ميدانية صارمة بقيادة القوات النظامية.
القضاء الفوري عبر محاكم ميدانية.
رقابة مجتمعية عبر لجان الأحياء.

تهريب الوقود.. جريمة ضد الأمن القومي

في عملية نوعية، أحبط الأمن الاقتصادي تهريب وقود بمنطقة «التيتي» بالولاية الشمالية، في مؤشر خطير على ارتباط الاقتصاد الأسود بالتفلت الأمني.
يجب تحويل منطقة «التيتي» إلى نقطة مراقبة دائمة.
تشديد الرقابة على الطرق والمعابر الشمالية.
مراقبة الشركات والمحطات المشبوهة.

التوصيات الأمنية:

طريق النجاح يبدأ من هنا
١. مركز قيادة أزمات موحد في قلب الخرطوم.
٢. تفعيل قانون الطوارئ الأمني باحتراف وعدالة.
٣. إسناد أمني من الإعلام والمجتمع المحلي.
٤. تتبع شبكات الدعم اللوجستي للتمرد.
٥. قاعدة بيانات مركزية لكل التحركات والمخاطر.

الخلاصة

الخرطوم اليوم ليست مجرد جغرافيا تحت الخطر، بل هي اختبار حقيقي للدولة السودانية: هل تستطيع أن تسترد عاصمتها، وتؤمّن مواطنيها، وتعيد تعريف الأمن لا بوصفه ردعًا، بل استقرار؟

نجاح الخطط المطروحة مرهون بإرادة سياسية حاسمة، وتنفيذ منضبط، وتنسيق تام بين الأجهزة.

وما عدا ذلك، فسنظل نطارد الفوضى في دائرة لا تنكسر.

* ضابط م. وباحث في شؤون الأمن الوطني والحروب النفسية.

VOICE of sudanese community

صوت السودانيين بدول المهجر - أسبوعية - مستقلة

www. thesdvoice.com

رئيس التحرير
الناجي صالح
Editor In Chief : Elnagi Salih

VOICE - WEEKLY INDEPENDENT NEWSPAPER

أول صحيفة سودانية إلكترونية تصدر من لندن

نائب رئيس التحرير
الشيخ أحمد الشيخ

مستشار التحرير
محمد المهدي الأمين

الإعلانات

VISION Creative Media Group

info@thesdvoice.press

الآراء الواردة في الصحيفة وأعمدة الرأي لاتعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة او موقفها

المراسلات باسم رئيس التحرير :
editorial@thesdvoice.press

للاشتراك في مجموعات الواتساب امسح الكود

VOICE of sudanese community

السبت ٢٦ يوليو ٢٠٢٥م - ١ صفر ١٤٤٧ هـ

SATURDAY 26 JULY 2025 - ISSUE No. 44

غابة الدليب

أزمة مياه الشرب في السودان هل من حلول جذرية؟

د. خالد مصطفى إسماعيل *

● في بلد تجري فيه أنهار كثيرة، ومعدلات أمطاره مرتفعة، بلد (تجري من تحتها الأنهار، ومن فوقها الأمطار). بالرغم من ذلك تعاني الكثير من مدنه وأريافه من العطش، وقلة المياه، وارتفاع فاتورة المياه في الأماكن التي تتوفر فيها.

ومن المفارقات العجيبة في هذا السودان، أن المياه في موسم الخريف أو موسم الأمطار تفيض فتغمرنا الفيضانات، وتحدث فينا الخسائر والخراب، وتهدم البيوت، وربما دمرت قرى بكاملها، وتتسبب في أمراض ووبائيات نتيجة لهذه الفيضانات.

وفي فصل الصيف أو فصل الجفاف تشح المياه، فيبحث الناس عنها ولا يجدونها، فيقطع الإنسان والحيوان المسافات الطويلة بحثاً عن الماء، ويسبب ذلك معاناة لا حصر لها.

فهل الماء في السودان أصبح رديف المعاناة؟! ففي موسم الأمطار يغمرنا فنعاني، وفي موسم الصيف يبعد عنا فنزداد معاناة!

وحتى المناطق التي تتوفر فيها المياه، مثل بعض المناطق الحضرية وبعض القرى حول النيل والوديان، وبالرغم من ارتفاع فاتورتها، وتكلفتها العالية، إلا أنها لا يمكن تسميتها أو تعريفها بأنها مياه نقية وصالحة للشرب، ففي معظم الأحيان تحتاج هذه المياه لكثير من المعالجات الكيمائية والاحيائية حتى تصبح مياهاً نقية صالحة للشرب.

أما الريف الأكثر تخلفاً حيث لا شبكات مياه، ولا محطات مياه أو معالجة، وحيث يشرب الإنسان والحيوان من المكان نفسه،

يحصل الناس على المياه من الخيران مباشرة «المشيش» في فصل الخريف، وفي فصل الصيف يحصلون عليها من الآبار التي غالباً ما تكون بعيدة، ومياهها لا تكفي، فضلاً عن تلوثها، علماً بأن هذه الخيران تستخدم حمامات أيضاً لقضاء الحاجة، مما قد يسبب إشكالات صحية خطيرة.

و الأرياف الأفضل حالاً تتحصل على المياه عبر المضخات اليدوية، التي تم تطويرها من الآبار، ولقد لعبت المنظمات دوراً كبيراً في ذلك. وبالرغم من أنها أفضل حالاً، وتعتبر نوعاً من التطور، إلا أن عملية ضخ المياه يدوياً مجهدة ومكلفة من ناحيتي الزمن والطاقة، فلماذا لا تتحول إلى محطات مياه وصهاريج ترفع الماء بالطاقة الكهربائية عن طريق الوابورات، أو بالطاقة الشمسية. مع العزل بين أماكن شرب الإنسان وشرب الحيوان. وقد بدأت هذه التجربة بالفعل في بعض الأرياف وأثبتت نجاحها، فلماذا لا يتم تعميمها؟

الماء ضرورة حيوية لا غنى عنها، ولا يمكن أن تستمر الحياة بدونها وهذه من البديهيات. وكل الحضارات القديمة قامت على ضفاف الأنهار حيث تتوفر المياة، ونتيجة لذلك يصبح الاستقرار ممكناً، ويستطيع الإنسان أن يبني حضارة.

إذن لماذا عجزنا نحن في السودان عن معالجة هذا الأمر الحيوي والضروري لاستمرار الحياة؟!

وهل غلبتنا الحيلة في معالجة هذا الأمر الحيوي المهم؟!

فمثلاً في الأماكن الممطرة يمكن عمل خزانات مياه، عبر ما يصطلح عليه ب (حصاد المياه)، لحبس المياه في هذه المواعين للاستفادة منها في فترات الصيف، ومنعها من الفيضان والتخريب في فصل الخريف، بالإضافة إلى إمكانية الاستفادة منها في زيادة الإنتاج، من خلال زراعة موسم صيفي تروى بهذه المياه المخزنة.

كما أن هناك مناطق كثيرة في هذا السودان يمكن توصيل المياه إليها من النيل عبر الأنابيب، فطالما الأنابيب استطاعت حمل البترول من الجنوب وحتى الميناء في بورتسودان مروراً بكل السودان، إذن بإمكانها أي الأنابيب أن تحمل المياه إلى أي مكان في السودان. أو يمكن نقل المياه بأي طريقة نقل أخرى يراها مهندسو المياه مناسبة.

والأهم من ذلك كله، لماذا لا نطلق مشروعاً بحثياً علمياً لحل مشكلة المياه جذرياً بطرق علمية حديثة في الأرياف والمدن؟

نجمع كل مهندسي المياه والعلماء، ومهندسي الطاقة، والأطباء، وضباط الصحة، وكل من له صلة بموضوع المياه، ومن ثم نطلق مشروعاً بحثياً متكاملاً، لنحصل على أفضل طريقة لمعالجة مشكلات المياه في الريف والمدن السودانية، ليكون ذلك مشروع عمل متكامل تتبناه الدولة عبر وزارة الري و الموارد المائية، بالتعاون مع المنظمات العاملة في مجال المياه والخيرين وغيرهم، ومن ثم يتم التنفيذ مرحلة مرحلة، حسب الأولويات الموضوعة.

نتمنى أن تأتي حكومة تكون من أولوياتها حل مشكلة المياه، وتسعى جادة في حلها جذرياً، فلو نجحت في ذلك فقط تكون قد خلّدت نفسها في التاريخ، ويكون اسمها (الحكومة التي استطاعت حل مشكلة المياه). والسلام.

* كاتب صحفي.

أشتات أفكار

الدين المعاملة

معاذ أحمد طه *

● ما أجدر بنا أن نلقي عصانا حيناً من الدهر.. ونعيد النظر في الكثير من أمور حياتنا، عاداتنا وتقاليدنا، وكل معاملاتنا مع الناس في حياتنا الدنيا.

نقول هذا لأن الدين أصلاً المعاملة، وليس مجرد مظاهر عبادات تؤدى ولا تنعكس على سلوك الفرد وتعامله من الناس في كل أمور الحياة، نحن كشعب سوداني متدينون والحمد لله، حريصون على أداء عباداتنا إيماناً واحتساباً لوجه الله الكريم، ولكن بالمقابل نجد الكثيرين منا سلوكهم في الحياة وتعاملهم مع الناس والمجتمع مغايراً لما ينبغي أن تكون عليه التقوى وحسن الخلق والصلاح، تجد الواحد منا يؤدي العبادة بكل حرص وخشوع، وفي الوقت نفسه تجده مخاصماً ومشاحناً لأخيه المسلم وحتي من رحمه، يقاطعه ويهجره ليس لثلاث ليالٍ وإنما سنين عددا والعياذ بالله.

وإذا نظرت إلى معاملات الجيران ترى العجب العجاب، مع أن الدين أكثر من الوصاية بالجار، وشدد عليها لحد الظن بأن كاد أن يجعل له نصيباً في الميراث، وفي الحديث الصحيح للمصطفى (ص) أنه قال: والله لا يؤمن- وكررها ثلاث مرات- قيل من يا رسول الله، قال الذي لا يأمن جاره بوائقه)، وفي رواية لمسلم (لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه). وهذا لعمري تهديد ووعيد شديد لمن يؤذي جاره ولا يحفظ حقوقه.

وفي الحديث أيضاً أن رسولنا (ص) أقسم على ثلاث وأوصى أصحابه بأن يحفظوها، وهي: ما نقص مال عبد من صدقة، مازاد الله بعبد عفواً إلا عزا، والثالثة ما تواضع لله أحد إلا رفعه، ثلاث وصايا أقسم عليها تلخص ما ينبغي أن يكون عليه المسلم في معاملات حياته مع الناس، فالصدقات لا تنقص من المال شيئاً ولو أنفقه كله خالصاً لوجه الله، وتمثل دعوة لمساعدة الفقراء والمحتاجين مما أنعم الله على العباد، وتبقى وصية العفو عن الناس والصبر على المظالم دعوة للتسامح والتعايش بسلام مع الناس، ما أحوجنا إليها في هذا الزمان الذي كثرت فيه المظالم وهضم الحقوق، لتكون الجائزة عزا من الله، ويا لها من جائزه سينالها العبد في دنياه وآخرته يوم يلقى ربه، وآخر الوصايا النهي عن الغرور والتكبر على الناس، فالكبر هو بطر الحق وقمط الناس، والكبرياء لا تكون إلا لله وحده، وفي الحديث القدسي لله عز وجل (الكبرياء ردائي والعزة إزاري، فمن نازعني فيهما أذقته وبالي ولا أبالي).

وفي رواية أخرى (أدخلته النار ولا أبالي)، وعليه فعلى العبد أن لا يتكبر ويتعالى على الناس من مال أو جاه أو سلطان، يبطر الحق، ويقمط الناس، وينازع ربه في كبريائه وعزته، وكلما تواضع العبد لله رفعه في أعين الناس، وزاد من قدره بينهم، ولماذا يختال البعض من الناس، أو يمشي في الأرض مرحا.. وهو لن يخرق الأرض أو يبلغ الجبال طولا، ولماذا يستعبد الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا.

نخلص من كل هذا ونكرر أن أساس الدين المعاملة، وهو سلوك حياة متكامل، وبهذا لا بدّ أن تقترن العبادة بسلوك الفرد ومعاملته للناس في الحياة، حتى لا يبدو وكأنه يعاني من انفصام شخصية، شخصية يؤدي بها العبادات بكل روح إيمانية عالية، بينما الأخرى مختلفة تماما، يتعامل بها مع الناس والمجتمع، لا تتفق وتتسق مع الدين وتعاليمه الحنيفه.

* كاتب صحفي.

خواطر

فسيولوجيا الشعراء (٢)

البراء بشير *

● تعدُّ الموشحات الأندلسية من أعذب القصائد في تاريخ الشعر العربي، ومن العجيب أنك لن تجد في المصادر التي تناولت تاريخ الأدب العربي تعريفاً شاملاً للموشح، بل تكتفي جل المصادر بالإشارة إليه، والبعض الآخر اعتذر عن مجرد ذكره، متعللاً بأسباب ليس هذا موضع ذكرها. وكلمة موشح مشتقة من وشاح، وهي حِلية ذات خيطين يسلك فيهما اللؤلؤ والجوهر.

من أشهر قصائد الموشحات موشحُ (جادك الغيث) لِلسان الدين بن الخطيب، وهو محمد بن عبد الله بن سعيد، من أبرز أعلام الأندلس في الأدب والفقه والسياسة والطب، قضى معظم حياته في غرناطة، وقد نُقشت أشعاره على جدران قصر الحمراء، ولقب بذي الوزارتين لجمعه بين الكتابة والوزارة.

وهنا نتطرق لأحد أبيات موشحه الشهير، لنستكمل حديثنا عن فسيولوجيا الشعراء. ففي أحد الأبيات البديعة يقول الطبيب الشاعر ابن الخطيب:

أحور المقلة معسول اللمى

جال في النَفْس مجالَ النَفَس

وجه الاستشهَاد قوله (جالَ في النَفْس مجال النَفَس)

تتضمن فسيولوجيا التنفس عملياتٍ أساسية منَها التهوية الرئوية، التي تتمثل في الشهيق والزفير. تبدأ عملية الشهيق بانقباض العضلات التنفسية، فيؤدي هذا الانقباض إلى اتساع تجويف الصدر فينخفض الضغط داخله، مما يسمح بولوج الهواء عن طريق الأنف إلى داخل الرئتين، حتى يصل إلى الحويصلات الهوائية والشعيرات الدموية الدقيقة التي تحيط بها، وهناك يحدث تبادل الغازات (الأوكسجين وثاني أكسيد الكربون)، وذلك في الدم الذي يعد حاملاً للأوكسجين والغذاء وكذلك لثاني أكسيد الكربون والمخلفات؛ يعود الدم المؤكسج من الرئتين للقلب في ختام ما يعرف بالدورة الدموية الصغرى، وبعد وصوله إلى القلب تستهل الدورة الدموية الكبرى بضخ الدم المؤكسج من البطين الأيسر للقلب إلى الشريان الأورطي، ثم يتم توزيعه إلى جميع أعضاء الجسم عبر الشرايين، التي تنتهي عند الشعيرات الدموية ويدخل عبرها الأوكسجين إلى النسيج المعين ثم يصل إلى أعمق من ذلك، فينفذ إلى داخل الخلية، ويشارك في دورة حمض الستريك أو(دورة كريبس) كما يشار إليها في الأوساط العلمية، والتي تحدث لإنتاج جزيئات الطاقة داخل الخلية، ثاني أكسيد الكربون الذي أطلق جرّاء الدورة الحيوية آنفة الذكر يغادر النسيج بواسطة الشعيرات الدموية أيضاً، ليُحمل على الأوردة المختلفة ويُساق إلى القلب، الذي بدوره يضخه إلى الرئتين عن طريق الشريان الرئوي، وحينها تتقلص عضلات القفص الصدري، وينبسط الحجاب الحاجز، فيزيد الضغط داخل الرئتين تبعاً لذلك، فتلفظ الرئتان الهواء خارجاً بالزفير، ليخرج هذا النفس من مسار دخوله وقد جال في جميع الجسد وبلغ أقصاه بعد أدناه.

وهو ما شبَّه به ابن الخطيب سريان حب محبوبته الحوراء معسولة اللمى في نفسه، مستعملاً أسلوب الجناس الناقص بصورةٍ لا تقل بهاءً عن التشبيه.

* كاتب صحفي.

أفكار

التربية الإيجابية: بناء الإنسان بالحب والاحترام

حسن عبد الرضي الشيخ *

● في زمن تتناسل فيه الأزمات، وتثقل فيه الضغوط كاهل الأسرة والمعلمين، تبرز التربية الإيجابية كمنهج إنساني متكامل لإعادة الاعتبار للطفل، ليس بوصفه «موضوعاً للتأديب»، بل ككائن نام له كرامة وحقوق، يحتاج إلى التوجيه لا القمع، وإلى الاحترام لا الإذلال.

فما التربية الإيجابية؟

ليست مجرد بديل عن الضرب أو التوبيخ، بل هي فلسفة تربوية ترتكز على العلاقة الندية بين الطفل والراشد، قائمة على الحزم اللطيف، والفهم العميق، والتشجيع البناء. ترى الطفل إنسانا قادرًا على التعلم والتطور، لا ككائن ناقص يحتاج إلى التهذيب بالعنف أو التخويف.

ولماذا نحتاج إليها؟

لأن الأساليب التقليدية من العقاب البدني إلى التهديد، وإن نشأت في بيئة حسن النية، خلفت أجيالا تعاني من القلق، أو العنف، أو انعدام الثقة. فيما تشير الدراسات الحديثة إلى أن الأطفال الذين ينشؤون في بيئات إيجابية يتمتعون بثقة أعلى بالنفس، وقدرة أفضل على التعلم، وعلاقات أكثر توازنا.

في البيت، تبدأ التربية الإيجابية من القدوة، حين يضع الأهل قواعد واضحة، ويشرحونها بصبر، ويُصغون بصدق لمشاعر أبنائهم دون تسفيه.

وفي المدرسة، تتجلى في بيئة صفّية تحترم الاختلاف، وتشجع على المشاركة، وتستبدل بالتوبيخ الحوار، وبالعقوبة التحفيز.

إن التربية الإيجابية ليست ترفًا تربويًا أو شعارات مثالية، بل ضرورة وطنية وأخلاقية، خاصة في مجتمعات أنهكتها الحروب والضغوط، وتحتاج إلى إعادة بناء الإنسان من الداخل. فكل كلمة مشجّعة، وكل عناق في لحظة توتر، وكل استماع متفهم، هو حجر صغير في صرح إنسان جديد، أقوى وأكثر سلامًا.

علينا أن نختار: إما أن نربّي بالحب والاحترام، وإما أن نعيد إنتاج دائرة الألم والعنف.

* كاتب صحفي.

أبجد سوداني

رجل مستف بالتواضع

فريعابي محمد أحمد *

● كمال الدين عمر
اسمو كمال وبالدين كملوهو وطاب
جمع حسن الخلق رقة وعفاف وخطاب
رجل أعطى الكاميرا زهوها، والشتر بهاءه، والصحبة حقها ومستحقها.
رجل مستف بالتواضع، وفي حضرته
يسقيك الغمام.
حاول عبر (الكاميرا)... ترميز الكون... إلى آيات جمالية... تتعاطاها كل (الأعين)
المجد عوفي إذ عوفيت والكرم
وناب عنك إلى أعدائك الألم
ربما هي هنيهة (أنين).. اعتقلت عنفوانك يوماً،
وحملت فى طياتها ألف (بشارة)،
فأنت وراء الابتلاء... مأجور.
وشفتاك الصابرتان...
يزاحمهما غفران لا (يعد).
وصلني سفيرك المعقم.. أنك عدت إلينا معافى.... غانماً
فلله الحمد... والمنة.
كيف أنت الآن... أيا دفقة شوق أشرقت قبيل أوانها...!!
لو أستطيع.. أنا.. لأبطأت دقاتها... كي أؤخر نضج (السؤال).
السناسل.. مثقلة
والمناجل... مهملة
والبلاد دونك... تبعد حينا عن بابها (المحزون)،
فكيف حالك اللحظة... أيها الفخيم...!!
ونحن دونك نشبه أنفسنا فى ابتسامة (المرض).
ففى غيابك.. أنا قد تركت النوافذ مفتوحة لهديل الحمام
وأبقيت على حافة البئر (وجهي)
وجعلت الظلام على ليله... يتدثر صوف انتظاري
تركت لك الغمام على شجر (العافية)
... ينشر الفرح.
وزاملت (السلام) هناك وحيداً على الأرض
أرض لم تدنسها دمعة (وجع)
هل كنت تحلم فى (يقظتي)..
أيا صديقي الوثير...!؟!
طال ليلك في الدروب المبعدات
والقلب يسأل عن أرض (سقمك)
والسماء كلها من (معقمات) الشوق إليك
سألتك يوما:
هل تعرف الدروب أيا صديقي..؟!
أنت.. أعجبت... نعم
إنها شرق (مودة) الشارع العام
وعباد شمس هنالك.. يحدق بعيداً في ما وراء المكان
أتذكرك الآن... و(نحل) أليف يعد الفطور لل(هناءات السوانح)
وخلف السياج....(غد).. يتصفح أوراقه ويحمل (البشارة)
بشارة عودتك لنا مفعماً (بالعافية)،
متدثراً قفطان (الصحة).
نعم.. أنا
سأحمل هذا الحنين إليك
كفرس على وترين يرقص
هكذا تصغي أصابعي
إلى دفء مودتك
وقلبي يحمل (وقته) متخفياً
في زى (محزون).. يغني
وفصيلة (دمك) تستأذنني كي تتزلج على مناديل.. (دمي) حينها
وأنا أحمل إبريق (الهم)
و(ملودة) الدعاء...
تذكرتك
فلم تنشف بعد... دماء الليل في قمصان...(ذكرانا)
ولم تذبل مشاتل الزهو بيننا كما يتوقع النيسان
فالترحل الصحراء في الكلمات،
ويتحرك المعنى بنا
فلا أحلامنا تغفو
ولا حرس المكان يغادرون
غني لنا يا حبيبنا.. ليصبح كل شيء ممكناً قرب الوجود
دمت لي.. صديقاً (برزخيا)
ودامت لنا العافية... إلى ما بعد (الخلود)
صورتك الملونة.

* كاتب صحفي.

ثقافة قانونية

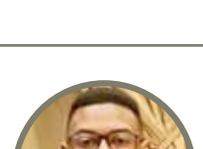

التحكيم كوسيلة بديلة لتسوية النزاعات وأهميته

محمد عبدالله الشيخ النور *

● يُعد التحكيم إحدى الوسائل البديلة الحديثة والفعالة لفض المنازعات التجارية، حيث اكتسب أهمية متزايدة في ظل التطورات المتسارعة في مجالات التجارة والاستثمار والأعمال، نظراً لما يوفره من مزايا تتناسب مع طبيعة العلاقات التجارية القائمة على السرعة والمرونة والسرية. وتنبع أهمية التحكيم من كونه أداة قانونية تتيح للأطراف تسوية خلافاتهم خارج أروقة المحاكم، مما يسهم في تخفيف العبء على القضاء، ويعزز من كفاءة النظام العدلي، ويخدم بيئة الأعمال بشكل مباشر، لا سيما أن الاقتصاد يمثل العمود الفقري لنمو الدول واستقرارها وتقدمها، إذ تنعكس نتائج الأداء الاقتصادي على مختلف الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية في الدولة، الأمر الذي يجعل من الضروري وجود نظام متكامل يحفظ الحقوق، وينظم العلاقات، ويكفل سرعة الفصل في المنازعات التجارية.

لقد عُرف التحكيم منذ القدم كوسيلة بديلة لحل النزاعات بين الأفراد قبل نشوء القضاء الرسمي، واستمر وجوده إلى جانب الأنظمة القضائية حتى بعد قيام الدولة الحديثة، غير أن التحول النوعي في الاعتماد عليه بدأ بالظهور بشكل واضح مع بداية الثورة الصناعية، حيث اتجه المستثمرون وأصحاب رؤوس الأموال إلى تبني التحكيم كوسيلة مثلى لحل النزاعات التجارية والمدنية، وذلك بالنظر لما يتمتع به من خصائص تميّزه عن القضاء، فهو يمنح الأطراف حرية اختيار المحكّمين، وتحديد القانون الواجب التطبيق، وكذلك الاتفاق على الإجراءات والمكان واللغة، مما يوفر مرونة كبيرة تتناسب مع طبيعة النزاعات التجارية. كما يضمن التحكيم السرية التامة في الجلسات والمداولات، وهو أمر على درجة كبيرة من الأهمية، خاصة في القضايا التي تتعلق بأسرار تجارية أو مصالح استراتيجية.

ومن أبرز ما يميز التحكيم أيضاً، السرعة النسبية في حسم النزاع مقارنة بالتقاضي التقليدي، مما يُمكّن الأطراف من العودة إلى أعمالهم دون تعطيل، ويقلل من الأثر المالي والزمني للنزاع. ورغم أن بعض أنواع التحكيم قد تكون ذات تكلفة عالية، فإن العائد الزمني وسرعة التنفيذ والمرونة في الإجراءات تجعل منه خياراً أكثر جدوى من الناحية العملية. ولا شك في أن هذه الأسباب مجتمعة هي التي دفعت العديد من الدول إلى اعتماد التحكيم كوسيلة قانونية معترف بها ضمن منظومة العدالة التجارية. وتوفير الأطر التشريعية والتنظيمية التي تكفل فاعليته واستقلاليته وضمان عدالته، وفي هذا السياق حرصت المملكة العربية السعودية على تنظيم التحكيم بشكل متكامل، يتوافق مع أفضل الممارسات الدولية، ويواكب التغيرات الاقتصادية التي تشهدها المملكة، حيث جاء نظام التحكيم السعودي ولائحته التنفيذية ليكرّس مبادئ العدالة الإجرائية والموضوعية، ويمنح الأطراف الحرية اللازمة لضمان نزاهة العملية التحكيمية، ويُعزز من ثقة المستثمرين المحليين والدوليين في البيئة الاستثمارية السعودية، لا سيما في ظل رؤية المملكة ٢٠٣٠ التي تهدف إلى تطوير بنية الاقتصاد الوطني، وتنويع مصادر الدخل، وتحسين البيئة التنظيمية لجذب الاستثمارات.

وقد شكّل التحكيم بذلك أحد أهم أدوات التمكين القانوني للقطاع الخاص، ومكوّناً رئيسياً من مكونات العدالة التجارية الحديثة، كما أسهم في تخفيف الضغط على المحاكم العامة، ووفّر خياراً عملياً وسريعاً وفعالاً لتسوية النزاعات.

إن تعزيز التحكيم وتفعيله بشكل مؤسسي لا يخدم فقط مجتمع الأعمال، بل يرسّخ مفهوم العدالة الناجزة، ويُظهر التزام الدولة بحماية الحقوق، وتمكين القطاع الخاص من أداء دوره في التنمية من خلال وسائل قانونية ونظامية مرنة وفعالة، وهو ما يُحتّم استمرار تطوير البيئة التحكيمية في المملكة من حيث التشريعات والمؤسسات والكوادر المؤهلة، بما يواكب التحديات، ويستجيب لاحتياجات المستقبل.

* مستشار قانوني.

إضاءة

الأوقاف في دائرة الضوء
الوقف ومعادلة تأمين الاستمرار والتطور

محجوب إبراهيم الخليفة *

● في عالم تتسارع فيه المتغيرات، وتتفاقم فيه التحديات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، تزداد الحاجة إلى أدوات تمويل وتنمية تضمن الاستمرار، وتتيح التطور دون أن تستنزف الموارد أو تثقل كاهل المجتمعات بالديون. ومن رحم الحضارة الإسلامية، يبرز الوقف كواحد من أعظم الابتكارات المالية ذات الطابع الإنساني، ليس بوصفه صدقة جارية وحسب، بل باعتباره نموذجًا مؤسسيًا راشدًا لضمان الاستمرارية والتنمية المستدامة.

الوقف.. ليس فقط إحسانًا بل استراتيجية بقاء

الوقف في جوهره ليس مجرّد عمل خيري، بل هو صيغة متقدمة من التمكين الاقتصادي والاجتماعي والثقافي. فهو يقوم على تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة، أي حماية المورد من الزوال وجعل ريعه دائمًا في خدمة الإنسان والمجتمع.

لقد عرفت الحضارة الإسلامية الوقف باعتباره مؤسسة قائمة بذاتها، تُسهم في بناء المدارس، ورعاية المستشفيات، وتمويل الحرف، وتأمين الطعام والدواء، بل حتى إطلاق مشاريع بحثية وتعليمية سبقت عصرها بقرون. وكانت الأوقاف سببًا رئيسًا في رفعة مدن مثل بغداد وقرطبة والقاهرة ودمشق، إذ شكّلت شبكة أمان اجتماعي واقتصادي وثقافي قلّ نظيرها.

تحدي الزمن الاستمرار والتطور في آنٍ معًا

لكن التحدي المعاصر أمام الوقف لا يتمثل في كونه قائمًا من حيث الشكل، بل في قدرته على الاستمرار والتطور. فكم من أوقاف عظيمة ضاعت أصولها، وجفت مواردها، وباتت عبئًا بدل أن تكون مصدرًا للنفع، لا لشيء سوى غياب الرؤية الإدارية والاقتصادية المتجددة، أو لقصور في الفهم الفقهي الذي يحيط بهذه المؤسسة.

لأنّ تحدي الاستمرار والتطور يتطلب تدفقًا ماليًا مستمرًا، فإن الوقف في زماننا لم يعد يحتمل النظرة التقليدية التي تحبس الأصل وتكتفي بمردود بسيط، أو تضع القيود التي تعيق حركته. الوقف بحاجة إلى فهم فقهي عصري، يعيد تأويل النصوص بروح المقاصد، لا بجمود الحرف، حتى لا يتحول من وسيلة للنماء إلى رمزٍ للاندثار.

الفقه المعاصر وتجديد المنظور

الشريعة لم تشرّع الوقف ليكون ساكنًا، بل ليكون متحركًا، نافعًا، مرنًا، ومواكبًا لحاجة الزمان والمكان. وواجب العلماء والمجتهدين في هذا العصر أن يُعيدوا قراءة الأصول بقلب اقتصاديٍّ يقظ، يوازن بين حماية عين الوقف وبين تطوير آليات استثماره، مستفيدين من أدوات العصر من حوكمة، وإدارة مالية، وتكنولوجيا معلومات، وذكاء اصطناعي، وأطر تشريعية حديثة.

الوقف اليوم يستطيع أن يُدار كما تُدار الصناديق السيادية، بل ويتفوّق عليها في البُعد القيمي والروحي والبعد الاجتماعي المستدام. ومع كل هذا، يحتاج إلى فقه مؤسسي متقدم، لا يقف عند حدود النيّة والعبادة، بل ينفذ إلى عمق التخطيط والإدارة والبناء.

نحو معادلة جديدة: حماية الأصل + استثمار المنفعة

معادلة الوقف المعاصر تقوم على ثلاثة أعمدة متوازنة:

الحوكمة الرشيدة تضمن الشفافية والمساءلة وحسن الإدارة.

الفكر الاستثماري: يحوّل الأوقاف من مصادر جامدة إلى أصول ديناميكية، تدر الأرباح، وتحقق التوسع.

التجديد الفقهي: يحرر الأوقاف من الجمود، ويعيد صياغة منظومة الفهم بما يخدم المقاصد العليا للشريعة.

بهذه الثلاثية، نستطيع تأمين الاستمرارية، وضمان التطور، وتحويل الأوقاف إلى رافعة تنموية حقيقية.

نماذج مشرقة من الواقع المعاصر

التجارب الوقفية الحديثة أثبتت أن الوقف حين يُدار باحتراف ووفق رؤية، يصنع المعجزات. نذكر على سبيل المثال:

الجامعة الإسلامية بماليزيا، التي تعتمد على الوقف لتمويل البحث العلمي وتطوير البرامج الأكاديمية.

أوقاف محمد بن راشد آل مكتوم في الإمارات، والتي مزجت بين الوقف والإبداع الإنساني في التعليم والمعرفة.

مبادرة أوقاف التقنية في السعودية، والتي أعادت ربط مفهوم الوقف بالتحول الرقمي وتمويل البنية التحتية للمعرفة.

من الميراث إلى المستقبل

الوقف ليس موروثًا من الماضي فحسب، بل هو رؤية مستقبلية قابلة للتجدد والتوسع. إنه دعامة من دعامات الأمن الاقتصادي والاجتماعي والروحي للأمة. وحين نفهم الوقف على حقيقته، كأداة دائمة لبناء الإنسان والمجتمع، فإننا لا نحافظ على تراثنا فقط، بل نطلق العنان لإمكانيات حضارية هائلة.

وإذا أردنا أن نؤمّن الاستمرار والتطور في آن، فلا بد أن نجدد فهم الوقف، ونطلقه من قيود الجمود، وندخله في قلب المعادلات الكبرى للتنمية والاستدامة.

* كاتب صحفي.

جدلية العقل السودانى..(البحث عن اعتذار)

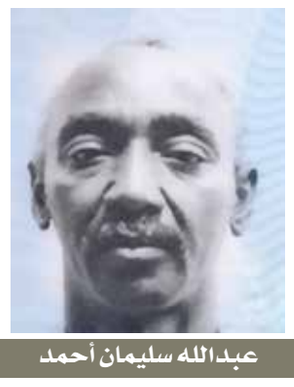

عبدالله سليمان أحمد

● فى البدء استميحك عذراً أن تسمع مني هذا
We don't grow when things are easy..
we only grow when we have challenges

سقيمة هي مرابع الهوى، حيث تتنازع أنفاسها القديمة بقايا (أمة) منحت نفسها لذة العيش والتسكع في الهباء
بانتظار شبح يتوسد يقظتها.

الكائن السوداني وبعيداً عن (الجندرة).. قد وقع فر يسة فرضية كونية ائتزرها راضياً لنفسه.. كونه متميزاً (كما / ونوعا) عن المحيطين به من الأعراق المغايرة..

بل ومنح نفسه وشاحاً (مصنوعاً) من الخيال.

الحرب الماثلة الآن.. والتي غيرت جغرافيا (التعريف) السوداني هذا.. وطبعت على سلوكه مجريات (السؤال)...

حالت دون الرجوع إلى (تقييمات) السقم القديمة،

فها قد مضت أو كادت (سنوات ثلاث) على بساتين البيت السوداني، ودعته يترحل جغرافيا إلى بيئات مبتسرة قد أعادت لشخصه تعريف (كينونته) الراحلة،

فهو لأول مرة في تاريخ المجتمع السوداني بأجمعه.. أن وطئت أقدام أفراده.. رصيف (الهرب) الجماعي،

كونه مطروداً بفعل خارجي من بيته...

حاملاً بين كتفيه ديباجة مكتوباً عليها (لاجئ)

العقل السوداني الراهن بعد الحرب... لم يستوعب هذا... وما زال مؤملاً في استعادة (رصيده النفسي) لميقات ما قبل الحرب...

حتى يتزيا (فرحاً... منتشياً) أقمصة (الفرادة) الراكضة إلى ما وراء الشمس لما ميقات قبل الحرب، ولكن وبكل مفردات الأسف..

كل ذلك الآن

(خارج نطاق التغطية) حالياً،

فالسلوكيات الحادثة قبل/ وأثناء/ وما بعد الحرب.. قد جعلت مكنيزمات العقل السوداني تفرز ما يسمى (الثابت المتغير).

الفيلسوف هيجل وفى إحدى تجلياته الفلسفية قال:

(التغير هو الثابت الوحيد في العالم).

وبالتقاط هذه المقولة الفسفورية، والاشتغال عليها في حفر بنية العقل السوداني الآن..

تبين أن السوداني يريد منح نفسه (رصيداً) مجانياً بين ديالكتيك التغير... واستعادة تعريفه المسبق،

ولكن ذلك (ولّى) إلى غير رجعة.

هيغل كان يعتقد أن الصراع بين الأطروحات والمضادات هو المحرك الرئيس للتغيير والتطور،

وأن هذا الصراع يؤدي إلى ظهور مستويات أعلى من الوعي والفهم،

وأن الداينميكية بين الأفكار والمفاهيم هي الآن... تعمل على صناعة الإنسان المعاصر..

وكان هيغل يرى أن التاريخ يتقدم عبر سلسلة من المراحل، حيث تتصارع الأفكار القديمة والمبادئ المستحدثة وتتطور عبر الزمن. وبإنزال هذا (الماعون الزجاجي) على العقل السوداني....

يبين لنا أن (التفكير)... هو الدليل الوحيد على وجود الذات المعاصر،

فصناعة الإنسان المعاصر تتطلب مجابهة التحديات، والتنشئة الاجتماعية مقرونة مع فعل مستمر للتطوير الذاتي.

مدن ودول مثل (لندن وبرلين واليابان) نهضت من كبواتها الحضارية، وأعادت إعمار تاريخها... بشخوصها وأصابع بنيها... كدروس حياتية قدمتها للعالم، وبإحصاء بسيط نبين أن معظم حملة القلم السوداني الآن.. تسكب أحبارها في منصات الميديا نحو مضمار استعادة السودان (القديم)... ذي الجاه السلوكي... والحظوة المجتمعية... والغبطة الثقافية

(نحنا... منو الزينا)!!!

فجدلية العقل السوداني محاصرة الآن بالقفز فوق سقالات مفاهيمية بالية... ركلها السياق التاريخي المعاصر...

كبلد متعدد الأعراق والألسن... والأطر المتغايرة، مع متطلبات فورية لفهم التاريخ... السياسي منها والثقافي لبنية وعي حضاري للسودان،

وذلك من حيث استعادة دور اللغة المشتركة بين مكونات الجغرافيا وتخوم الألسنية والدين، والتقاليد المتشظية

وتأثيرها على محكات التفكير السوداني الآن، فصناعة الإنسان المعاصر وفق مجابهة للتحديات الماثلة من حيث خياطة تعليم مستحدث، يلبي رغائب الواقع الجديد، وتنشئة اجتماعية نظيفة ومعقمة من قراءة الغير لنا... وصيرورة النظر دوماً إلى (المدح) من خارج سياقات الواقع،

كل ذلك رجاء بناء الشخصية النهضوية.. والهوية الفردية الجديدة... وتحسين شتول التطور الذاتي.. لنا في السودان، مع حقن متواصل لفايتمين القدرات الذاتية عبر أمصال ولقاحات النهضة الحضارية الجماعية، ولن يكتمل البناء إلا عبر فوهات الإصرار والتصميم، والعمل الجاد على إيجاد حلول جديدة بطرق إبداعية فعالة، لصناعة السودان الجديد.

مع فعل موازٍ للتعاون بين الفرد والدولة، من حيث زراعة مؤسسًات جديدة، تلبي حاجة الإنسان السوداني المعاصر...

مقرونة بفعل داينميكي للتفاعل والثقة المتبادلة، والتواصل الفعال بين جنبات المجتمع، ولنأخذ مقولة سقراط هذه:

(لا راحة لمن تعجل الراحة... بكسله)، فنحن ما زلنا (نبني الكثير من الجدران... والقليل من الجسور).. بين بعضنا البعض،

فكما قال (مارك توين): (كن حذراً عند قراءة كتب صحية... فقد تموت من جراء خطأ مطبعي).

في ختام هذا الجزء الأول أهدي هذه الحكمة المعاصرة:

Be a good person..but don't waste time to prove it

....

لا تأتي مفاهيمية الكتابة الصعبة عن الذات السوداني... من البناء الخارجي للنص، بل تحضر على مستوى ينتظم في خط (ثيماتي) متنام في الترابط، خصوصاً وأنت تناقش (بنى فوقية)، مثل مكنزمات العقل،

فهي حقاً مطلب من مطالب التجديد المعرفي للمفاهيم، ولا تقع تحت هيمنة التفكير التقليدي المنغلق للعملية المفاهيمية برمتها،

حيث الشكل (ظاهري خارجي).. والمضمون يظهر كأنه محتوى داخلي لفهم البناء المترابط والمتماسك للمتواليات السردية لعمل العقل الإبداعي، والتي بالضرورة... لا تغني عن الصعوبة التي تأتي من بناء الفكرة العقلية ومقاصدها،

حيث إن الكتابة اليوم عن بناء عقل سوداني متجدد ومستحدث لحقبة ما بعد الحرب،

يهتم أكثر مما مضى بقضايا ذات أبعاد نفسية اجتماعية ثيمية لأفراد الشعب السوداني ذي الأعراق المختلطة،

حيث لا تزال منغلقات العقل السوداني الآن... تحتفظ براهنيتها لدى حملة بعض الأقلام القديمة.

مهما تعددت المبادرات والنوايا،

فنحن نناقش حاضراً... بنى عقل سوداني جديد... متجاوزين إكراهات الواقع الآني

والارتقاء إلى فضاء افتراضي يعفينا من متاعب التدافع وتلاطم الآراء،

فكثير من الأسئلة الملحة والفضولية المحتوى.. قد لا ينمو دورها في تحريك المشهد المفاهيمي، والذي تسيطر على ذهنية مثقفيه... ديكتاتورية النشر المجاني للآراء المبتسرة من النتائج. فبعد هنيهات من مناقشة العقل ضمن هذا الواقع الملتبس بالفرادة الافتراضية في فضاء الرقمية، حدثت انقلابات لا تحصى، غيرت كثيراً من تصوراتنا ويقينياتنا،

فقد تجاوز الهم العقلي اليوم... عصر العولمات المتضادة...

والذي هو ضرب من الوهم المعرفي ضمن نطاق أسافير لا حدود لفضائها الشبكي، والذي ألغى في كثير منه... ضرورة دفع تأشيرة الحدود الجغرافية للكتابة، فما تكتبه اليوم الأقلام عن بنية العقل السوداني.. قد (تجاهلت... وجهلت) العديد من محكات اليقين والصدق... فهي لا تعدو أن تكون لغة شعرية متميزة بالرهافة والرواء الافتراضي..

والذي لا يمنحه إياها يقينية المضامين،

فالموضوعات الماثلة بين أيدينا اليوم في نقد بنية العقل الجدلي السوداني... إن هي إلا ضروب قلمية متضافرة فيما بينها... متماسكة ومتقاطعة في (خيباتها)،

محتكرة لنصوص بالية تعتلف مقولات.. لا تسكن إلا أقبية الهباء.

فكل من بدأ الشعر مثلاً.. قد غرف من ذاته... نصوص القصيد، ولا يقوى حينها على منح نفسه متخيلاً خارج السياق الإنساني وأبعد من تجربته،

ولا يستطيع صاحب القصيد آنئذ إدراك أبعاد جملة التجربة الإنسانية الواقعية.. وتحويلها إلى (متخيل صفري) محمل بتراكمات الجملة غير المفيدة.. والبعيدة عن بصيرته،

إن هي إلا جملة واحدة مكررة... مترددة... لا تحسن التخفف من محسناتها البلاغية،

ونحن نناقش ضمن سياقها... بنية العقل الجمعي ضمن تجربته النفسية للإنسانية جمعاء، المؤسف حقاً.. أن بعض التجارب القلمية السودانية اليوم، وهي تتناول ذات المعضل...

تقبع في كونها... جملة واحدة مكثفة، وخالية من الفهم العلمي في تشكيل أنساق وعينا السوداني.. الفردي منه والجمعي،

بل صعود ونزول مجاني... منسوب أولاً إلى مقروءيتنا له بناءً على مستوى (دمقرطة) آليات التواصل النفسي فيما بيننا.

فنحن نعيش اليوم مثلاً حقبة الورقمية، أي تلك المرحلة المفصلية بين عنصر الورق والتشبيك الرقمي، والتي يعمل في الكثير منها حملة أقلام (الانتي فايرس)،

ويحشرون ضمن نصوصها.. وداخل أقبية المدسوس والغث منها... إشاراتهم الغامزة واللامزة...

متفادين بذلك التحيين... كونه غير قادر على مواكبة التسارع المفاهيمي لمناقشة معضلة كهذه...

معضلة أبنية جديدة لعقل سوداني مستحدث ومتجاوز لراهن المقولات السودانية القديمة.

للأسف... ما زال عدد من مقققي بلادي يحملون مشاعل منطفئة الإضاءة.. ولا يصدقون حقيقة هذا الحريق الذي أشعلته المفاهيمية الجديدة... تحت أقدامهم. فكثير من حملة الأقلام الصدئة وجمهرة الهدم.. يدسون (محافير) البناء... ولا يقبلون بهذا الرحيل القسري للمقولات السودانوية البالية والمعتقة داخل الفقر العقلي...

ولسان حالهم ما زال يخفق ب(نوستالجيا) الزمن السوداني القديم.

تماماً... تماماً..

مثلما قالها محمود درويش قبلاً:

لا بأس...
من أن يكون ماضينا أفضل من حاضرنا
لكن الشقاء الكامل
أن يكون حاضرنا
أفضل من غدنا
يا لهاويتنا
كم هي واسعة

...

....دعونا نصدق الوعد مع الذات الجمعي السوداني... الآن... لنقل معاً:

You will learn nothing from the life,)
(if you think you are right all the time

نعم...

آن للعقل السوداني اليوم.. أن (يتواضع).. ويبصق الحصاة- حصاة (الفرادة) المغشوشة.. والنمذجة العرقية المستلفة من (بقايا) ألسنة الآخر.. تجاهه.

الملمح العام والذي يغطي على المشهد السوداني اليوم، سودان (ما بعد الحرب)...

هو غليان الرؤى المتباينة.. والتي تعد أحد إفرازات الثورة المعرفية.... الجديدة للحقبة التي تلي مخلفات (الصدمة/ الحرب)

وذلك كاستراتيجية تروم تشجيع الاغتباط (القبلي/ العشائري) على تخوم (القطرية)،

حيث يسعى المعظم... لإعادة رسم المفاهيم على مقاس أحلامهم (المناطقية) الضيقة،

وتطلعاتهم التي لا يشاركهم فيها سوى من احترفوا التنقل بين الولاءات... وزرع فتيل (الأعراق) المتشظية...(اختياراً)، وهي بالضرورة.. حالة نرهف السمع معها للصمت (العقلي) الذي، يحاصر أصابعنا الآن.

ففي أعماق سكونه الرهيب...يحتضر (الرفض)، فيما تقبع في اللاوعي السوداني الجمعي... رياح هادرة تنتظر مواسم الهدوء...

وتسافر بنا نشوة اللامبالاة وذرائعها المعرفية إلى المنعرجات التاريخية (المغلوط منها والمبهم)، مقترنة مع حليفها الرمزي في معركة (التغيير) الآني.

تغيير (يوتيبيا) ما يسمى سودان (كوش)، فمن اختاروا منا... التلصص الآن..

ينتظرون نهاية المعركة المفاهيمية.. لإحصاء الضحايا الذين يرومون تبديل (الجذر التربيعي) للقطرية الجغرافية.. لسودان اليوم، إلى (مثلثات مربعة)...ل(فقه).. الخيمة

The NOMADS method

بعدها... يرتفع الصوت المشروخ بالضجيج... لتقديم الولاءات المناطقية... للجهة المنتصرة (معرفياً)...

وتدبيج قصائد (المدح) الكذوب... ضمن بصائر مشروعها الفلسفي،

فكيف تورطنا نحن الآن... في لعبة الكتابة عن العقل السوداني (الجديد)...؟؟!

نحن نعيش اللحظة... في توقيت تلوثت فيه الأحاسيس الإنسانية لجموع (السودانيين)

باشتغالات (الفرد) اليومية... مبتعدة بذلك عن لغة التشفير المعرفي الجمعي،

متوسلة لهجات مفاهيمية (سودانية) مختارة (بعناية)، تتبنى كل ما هو غير جمالي.. ومعرفي، مع استصحاب

موسع للمقامات الفلسفية... من جهة السمو (العرفاني).. في علاج أعطاب الروح النفسية (للبهو) السوداني،

واجتراح الأسئلة الثقافية المطروحة لضرورات (التجديد)،

وإدخال الإجابات الممكنة... لدائرة واسعة تشمل (النسق/ الوظيفة)...

حتى يتلاءم والسياق العام للنقاش حول مطروحات البحث عن حل.

حل (جمعي)..

يتوخى عدالة توزيع (الجغرافيا) على كل السودانيين... بصدق، فهنالك قوائم معيارية اليوم...(تباع) في سوق الولاءات المدجنة، وقيم مرجعية... تنهض عليها كافة أسئلة الراهن... الثقافي

ذو التركيب (المعجمي/ الدلالي)

لمفردات قاموسها السوداني... المتقشف

النشاط الإيقاعي... للكتابة المفاهيمية (الجديدة) الآن..

يشتغل اللحظة على رصد مبررات القدرة على... النفاذ والتأثير، حيث أسئلة النقد (الثقافي)... بدورها تتقاطع مع عدد من البنيات الصغرى حول طبيعة الخطاب، وأنساق (اللغة/ الوظيفة) المعرفية... لمدارات النص (الجديد)،

وذلك.. من حيث استنهاض ذات أسئلة النقد... في البحث عن (عقل سوداني).. قابل (للمعاينة) عبر الأبعاد التطبيقية... للتشريع، فجل ما يكتب الآن عن هذا (المشكل).. يتعامل مع مفردات قاموسية (حامضة)،

تتوخى الشكل والالتماعات البلاغية... دون رصد موازٍ لبؤر (الوجع) المعرفي..

الذي يُخنقنا... الآن

مع رصد فكرة جوهرية تخص القالب الفلسفي... لمنظومة (العقل السوداني)، ومدى استجابته لتعقيد.. تعدد الأشكال...

وتمايز الخطابات ذوات (السقالات) البيانية... المتخشبة.

إن التظاهر بالبحث عن الصيغ المثلى (للحل)... غالباً ما يتم (جهلها/ تجاهلها) في الأسافير.. اليوم،

وقمعها على منصات البحث.. والحوار للأسف....

تعرضت الفكرة الأساس كلها الآن... لقراءة (عقل سوداني) جدلي..

لمنعطفات (قبلية/ عشائرية)، نبتت في (مشاتل) الصدمة،

صدمة (ما بعد الحرب)، والتي كان لها الأثر المزلزل.. في تغيير مسار التجربة (برمتها)...

إلى تشغيل آليات معقمة وجديدة...

لاستئصال الفكرة الصدئة عن (نرجسية) الذات الجمعي السوداني،

والانتقال بها عبر (سقالة) الاعتراف المجاني... إلى (برج) التراضي على....(التواضع).

نحن - اللحظة- نستشرف (توقيتاً) جديداً... لخطوط (طول/ عرض)...(الهوية) الجغرافية... للسودان.

علينا - الآن - إنتاج قناعات... لا مفاتيح مغيبة.. عبر مرحلة الدخول إلى مناخات (العويل)... لا التأويل الدخول... لنصوص مفاهيمية... (جديدة)... أرسخ تكويناً من الجمل (الماضوية)... والتي تعد جميعها... الآن

كجزء من اللعبة (الثقافية)...

لتقريب المعنى المفقود في (هويات)... ما بعد الحداثة.

إذن لننهض اليوم... ونهتف سوياً مع (محمود درويش) وهو يقول لنا:

الهوية
هى فساد المرآة التي يجب
أن... نكسرها
كلما أعجبتنا... الصورة.

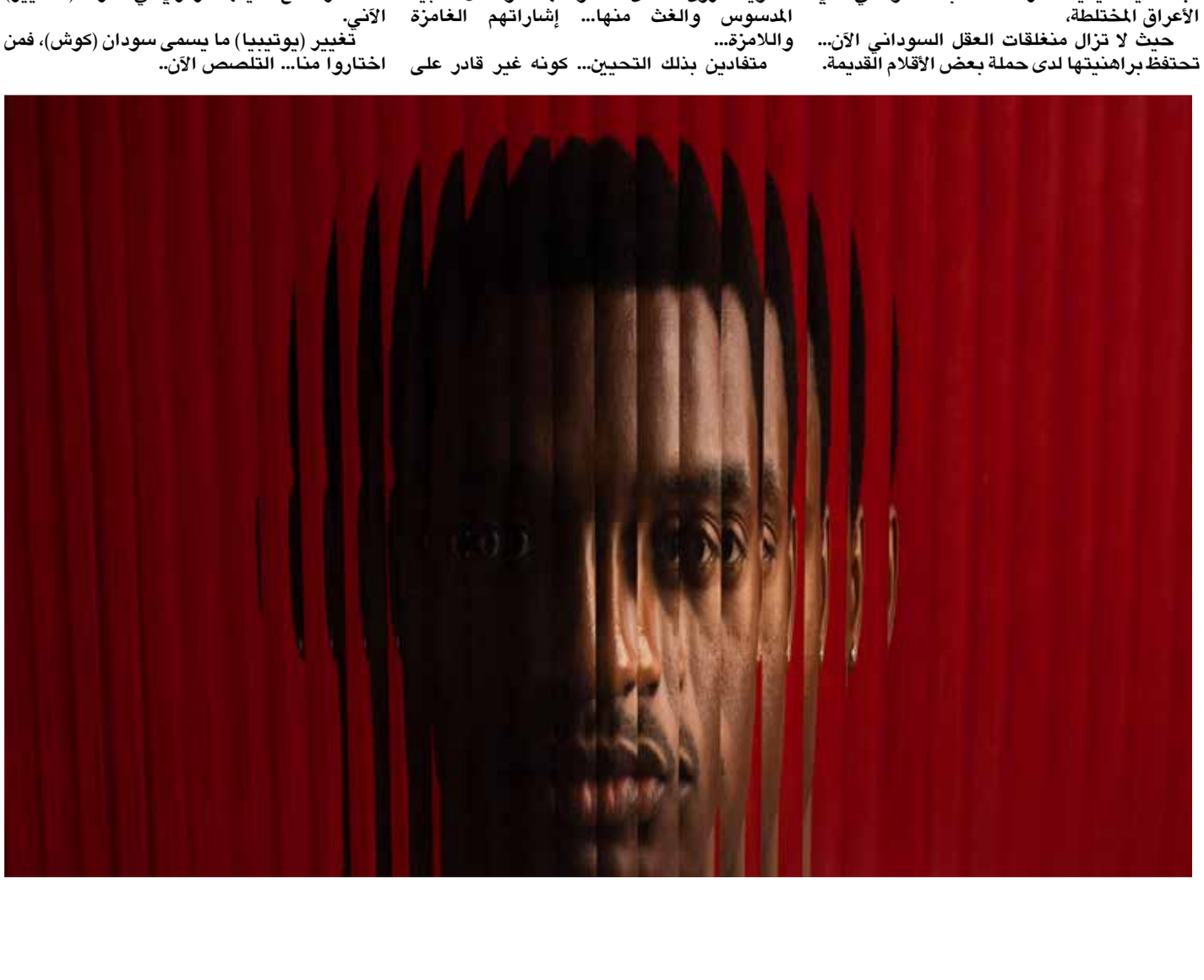

VOICE of sudanese community
السبت ٢٦ يوليو ٢٠٢٥م - ١ صفر ١٤٤٧ هـ
SATURDAY 26 JULY 2025 - ISSUE No. 44

المحكمة الجنائية الدولية
محكمة العدالة الانتقائية (٤ - ٤)

د. محمد أحمد محجوب عثمان*

○ عُرض ميثاق روما الأساسي المنشئ للمحكمة الجنائية الدولية أمام الجمعية العامة للأمم المُتحدة بتاريخ ١٧يوليو ١٩٩٨م، ودخل حيز النفاذ وبدأت المحكمة عملها في الأول من يوليو عام ٢٠٠٢م وفقاً لمنطوق المادة (١٢٦) منه، والتي قضت بسريانه في اليوم الأول من الشهر الذي يعقب اليوم الستين لإيداع الصك الستين للتصديق أو القبول أو الموافقة أو الانضمام لدى الأمين العام للأمم المتحدة.

المحكمة الجنائية الدولية واحدة من آليات القانون الدولي الإنساني، ومع ظهورها المُتأخر جداً مقارنة مع بروز أول اتفاقية دولية لذلك القانون في العام ١٨٦٤م، إلا أننا نجد ظهور ثمة محاولات جادة لإيجاد آلية قضائية تفصل في نزاعات وتجاوزات القانون الدولي الإنساني، لذا فقد رأينا وبعد مرور ثلاثة وعشرون عاماً على نشأة تلك المحكمة ضرورة الوقوف على تلك المسيرة والتطرق لإنجازاتها واخفاقاتها مع التطرق للمحاولات والتجارب التي سبقتها، وحتى لا يمل القارئ الكريم سيتم التناول في سلسلة من الموضوعات.

تناولنا في الأجزاء الثلاثة الأولى فكرة إنشاء آلية قضائية دولية منذ فترة ما قبل الحربين العالميتين واثناءهما وبعدهما، وتوقفنا عند ميثاق المحكمة الجنائية الدولي من حيث التحضير له وصياغته وأهم ما جاء فيه، في هذه الجزئية سنتناول بإذن الله طرق تقديم الدعاوى أمام المحكمة، وعلاقة المحكمة بمجلس الأمن، وموقف الدول من المحكمة والدعاوي التي نظرتها أو تنظرها المحكمة، لنعكس من خلاله المردود القيمي للمحكمة خلال مسيرتها التي تجاوزت عقدين من الزمان والوقوف على دورها في محاكمة مُرتكبي الجرائم الأشد خطورة على المجتمع الدولي.

تقديم الدعاوى للمحكمة:

تقدم الدعاوى أمام المحكمة عبر ثلاث طرق:
بواسطة دولة طرف.
الإحالة من مجلس الأمن.
بواسطة المدعي العام.

أولاً تقديم الدعوى بواسطة دولة طرف:

وهو الوضع الطبيعي الذي يتوافق مع مبادئ القانون الدولي وقواعد قانون فينا للمعاهدات وحرية التعاقد للدول الأطراف التي صادقت أو انضمت لاتفاق روما الأساسي وحرية الاختيار للدول غير الأطراف فيه، نصت المادة (١٤) من الميثاق علي حق الدول الأطراف في الإحالة والتي ورد فيها:

١-يجوز لدولة طرف أن تحيل إلى المدعي العام أية حالة يبدو فيها أن جريمة أو أكثر من الجرائم الداخلة في اختصاص المحكمة قد ارتكبت وأن تطلب إلى المدعي العام التحقيق في الحالة بغرض البت فيما إذا كان يتعين توجيه الاتهام لشخص معين أو أكثر بارتكاب تلك الجرائم.

٢-تحدد الحالة، قدر المستطاع، الظروف ذات الصلة وتكون مشفوعة بما هو في متناول الدولة المحيلة من مستندات مؤيدة.

ثانياً: الإحالة من مجلس الأمن:

وهو ما نصت عليه الفقرة (ب) المادة (١٣) من ميثاق روما الأساسي والتي تنص على (إذا أحال مجلس الأمن، متصرفاً بموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة، حالة إلى المدعي العام يبدو فيها أن جريمة أو أكثر من هذه الجرائم قد ارتكبت)

يُلاحظ أن النص قد منح مجلس الأمن حق التصرف منفرداً بالإحالة للمدعي العام للمحكمة متى ما ارتكبت جريمة أو أكثر من الجرائم التي تدخل في اختصاص المحكمة، عند استقراء النص مع سلطات مجلس الأمن الواردة في ميثاق الأمم المتحدة تكمن الخطورة في أن مجلس الأمن هو من ينفرد في تقرير ما إذا كانت الحالة تؤثر في الأمن والسلم الدولي أو الإقليمي من عدمه، وهو من يقرر اتخاذ التدابير القسرية بموجب الفصل السابع من الميثاق، والأخطر من ذلك السلطة الممنوحة للدول الخمس دائمة العضوية في استخدام حق الاعتراض على القرارات (حق الفيتو)، وقد استعملته الولايات المتحدة الأمريكية عشرات المرات لإبطال قرارات دولية ضد حق إسرائيل بشأن جرائمها في حق الشعب الفلسطيني، وهو ما ظل يُشكل حاجز صد أمام المحكمة الجائية الدولية وأجهزتها.

من أبرز حالات إحالة ملف أو قضية للمحكمة من مجلس الأمن، إحالة ملف دارفور بموجب قرار مجلس الأمن رقم (١٥٩٣)، الذي تم تبنيه في ٣١ مارس ٢٠٠٥م، بعد تلقي تقرير من لجنة التحقيق الدولية بشأن دارفور، أحال المجلس الوضع في إقليم دارفور بالسودان إلى المحكمة الجنائية الدولية وطالب السودان بالتعاون بشكل كاملا مع المحكمة، وفي عام ٢٠٠٧م قدم مدعي المحكمة تقريره للمحكمة مطالباً بتوقيف عدداً من المتهمين، وفي العام ٢٠٠٩م أصدرت المحكمة الجنائية الدولية أمراً بالقبض على عدد من المسؤولين السودانيين أبرزهم الرئيس السوداني السابق / عمر حسن أحمد البشير.

العلاقة بين المحكمة الجنائية الدولية ومجلس الأمن:

من خلال نصوص ميثاق روما نُلاحظ أن علاقة مجلس الأمن مع المحكمة الجنائية الدولية تظهر في ثلاث صور:

الصورة الأولى: يحيل المجلس الدعوي أو الحالة أو الملف للمحكمة، شأنه في ذلك شأن الدول الأطراف في ميثاق روما، وبعدها تباشر أجهزة المحكمة سلطاتها واختصاصاتها من خلال التحري والتحقيق، والإحالة للدائرة التمهيدية للتأكد من سلامة الإجراءات واختصاص المحكمة من عدمه، ثم مواصلة الإجراءات أو القرار بعدم الاختصاص.

الصورة الثانية: للمحكمة أن تطلب من المجلس تنفيذ بعض قراراتها أو مذكرات الاعتقال والايقاف وغيرها وهنا يظهر المجلس كأداة تنفيذية للمحكمة تأتمر بأمر المحكمة، شأنه في ذلك شأن أجهزة انفاذ القانون المُختصة بتنفيذ قرارات المحاكم.

الصورة الثالثة: للمجلس حق اصدار قراراً بإرجاء التحقيق أو المقاضاة بموجب المادة (١٦) من الميثاق لمدة ١٢ شهراً قابلة للتجديد، ولم يحدد الميثاق الأسباب التي يستند عليها المجلس ولم يضع سقفاً مُحدداً لعدد مرات التجديد، ولم تلزم المجلس بأن يكون قراراه مسببا، خطورة هذا النص أنه جعل من مجلس الأمن سلطة فوق سلطتي المحكمة والمدعي العام، ومن المعلوم أن قرارات مجلس الأمن قرارات سياسية وليست قانونية، لذا فإنه في تقديرنا أن هذا النص يُشكل خرقا واضحاً لمبدأ سيادة القانون ويدعم فكرة الإفلات من العقاب ويهزم فكرة عدم الأخذ بمبدأ الحصانة الذى قامت عليه المحكمة.

ثالثاً: الإحالة من المدعي العام للمحكمة:

المادة ١٥من ميثاق المحكمة منحت المدعي العام حق اجراء تحقيق من تلقاء نفسه للتحقق من أية معلومات وردت اليه ومتى ما رأي أن الأمر يشير لارتكاب جريمة تدخل في اختصاص المحكمة يطلب من الدائرة التمهيدية لمنحه الإذن بإجراء التحقيق.

أجهزة المحكمة:

تتألف المحكمة من ١٨ قاض يشكلون هيئاتها الرئيسة (هيئة الرئاسة التي تتألف من رئيس ونائبين والشعب التي تتكون من الشعبة التمهيدية والشعبة الابتدائية وشعبة الاستئناف) بالإضافة لمكتب المدعي العام وقلم المحكمة الذين يتم اختيارهم خارج القضاة.

يختار القضاة من بين الأشخاص الذين يتحلون بالأخلاق الرفيعة والحياد والنزاهة وتتوافر فيهم المؤهلات المطلوبة في دولة كل منهم للتعيين في أعلى المناصب القضائية وقد نصت الفقرة ب من المادة ٣٦ من ميثاق المحكمة على عدة شروط لاختيار القضاة أهمها:

الكفاءة في مجال القانون الجنائي وقانون الإجراءات الجنائية مع الخبرة المناسبة في مجال العمل في القضاء أو النيابة أو المحاماة أو أية صفة أخري مشابهة.

الكفاءة والخبرة في القانون الدولي خاصةً في مجال القانون الدولي الإنساني وقانون حقوق الإنسان.

المعرفة التامة والطلاقة بلغة على الأقل من لغات عمل المحكمة.

يتم توزيع القضاة على الشُعب الثلاث الآتية:

شعبة الاستئناف وتتألف من الرئيس وأربعة قضاة، ودائرة الاستئناف وتتألف من جميع قضاة الشعبة.

الشعبة الابتدائية وتتألف من عدد لا يقلّ عن ستة قضاة، الدائرة الابتدائية وتتألف من ثلاثة قضاة من قضاة الشعبة.

الشعبة التمهيدية وتتألف من عدد لا يقلّ عن ستة قضاة؛ وتتحدّد تركيبة الدائرة التمهيدية وفقاً للقواعد الإجرائية وقواعد الإثبات.

مكتب المدعي العام:

يعتبر مكتب المدعية العام مسؤولاً عن تلقى الإحالات وأية معلومات موثقة عن جرائم تدخل في اختصاص المحكمة، وذلك لدراستها ولغرض الاضطلاع بمهام التحقيق والمقاضاة أمام المحكمة.

يتمّ انتخاب المدعي العام ممن تتوفر فيهم السمعة الحسنة والاهتمام بحقوق الانسان لمدة تسع سنوات غير قابلة للتجديد من خلال أي أغلبية مطلقة لأعضاء جمعية الدول الأعضاء. ويمكن أن يساعده نائب أو أكثر للمدعية العامة يتمّ انتخابهم بنفس الطريقة من قائمة مرشحين يقدمها المدعي العام.

يكون المدعي العام والنائب أو نوابه مستقلين استقلالا تامًا ويجب أن يكونوا من جنسيات مختلفة. ويجب أن يكون من شخصيات ذات مستويات أخلاقية عالية، وكفاءة عالية، ومن ذوي الخبرة في القضايا الجنائية ولا يجوز أن يرتبطوا بأية وظيفة مهنية أخرى أثناء ممارسة وظيفة المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية أو نائبه.

بإمكان المدعي العام ترشيح الموظفين الضروريين لعمله مثل المستشارين أو المحققين.

للمدعي العام البدء بتحقيق بمبادرة منه على أساس المعلومات التي يتلقاها من مصادر متنوعة، بشأن جرائم ضمن سلطة المحكمة. وقد "يجوز له التماس معلومات إضافية من الدول، أو أجهزة الأمم المتحدة، أو المنظمات الحكومية الدولية أو غير الحكومية، أو أية مصادر أخرى موثوق بها يراها ملائمة. ويجوز له تلقي الشهادة التحريرية أو الشفوية.

قلم المحكمة:

يتولى قلم المحكمة مسؤولية الجوانب غير القضائية لإدارة المحكمة وتزويدها بالخدمات. ويتمّ انتخاب المسجل بالأغلبية المطلقة للقضاة لمدة خمس سنوات، قابلة لإعادة الانتخاب لمرة واحدة. ويجوز أن يكون له نائب مسجل عند الحاجة، والذي يجري انتخابه بنفس الطريقة. ويمارس المسجل وظائفه بموجب سلطة رئيس المحكمة.

العقوبات التي تُصدرها المحكمة:

للمحكمة أن توقع أياً من العقوبات الآتية:
السجن المؤقت لمدة تصل إلى ثلاثين سنة.
بالسجن المؤبد.
الغرامة والمصادرة والتعويض.

لا تملك المحكمة سجوناً، وتنفذ عقوبة السجن في دولة عضو تختارها المحكمة من قائمة الدول التي أبدت استعدادها لقبول الأشخاص المحكوم عليهم وفقاً للمادة (١٠٣) من النظام الأساسي، وتتولى المحكمة الجنائية الدولية الإشراف على تنفيذ عقوبات السجن، وفقاً لنظم وظروف السجن في الدولة التي تتولى التنفيذ.

الدعاوي التي نظرتها أو تنظر فيها المحكمة:

دخل نظام روما الأساسي حيز التنفيذ منذ يوليو ٢٠٠٢م وهو بداية انطلاق عمل المحكمة الجنائية الدولية، ومنذ ذلك التاريخ حتى يومنا هذا يلاحظ أن المحكمة الجنائية الدولية تنظر في أربع قضايا اشتركت جميعها في أنها نتجت من نزاعات مسلحة داخلية وأن جميع أطرافها أشخاصا ينتمون لدول أفريقية على النحو التالي:

يوغندا: بدأ النزاع المُسلح الداخلي في يوغندا في العام ١٩٨٧م بتأسيس ما يسمى بجيش الرب بقيادة (جوزيف كوني) والذي سعى لتغيير الحكم في البلاد والاستيلاء على السلطة وإقامة دولة مسيحية، أدى النزاع والذي استمر لعشرات السنين لقتل عشرات الآلاف من الأشخاص والتجنيد القسري للشباب والأطفال. في العام ٢٠٠٣م أحالت الحكومة اليوغندية قضية جيش الرب للمحكمة الجنائية الدولية مطالبة بالتحقيق في جرائم القتل والاختطاف والتجنيد القسري وغيره من جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية. في العام ٢٠٠٥م أصدرت المحكمة أوامر بالقبض على خمسة من زعماء الميليشيات المسماة بجيش الرب للمقاومة، الأشخاص المطلوبون من المحكمة الجنائية الدولية -بمن فيهم قائد جيش الرب للمقاومة، جوزيف كوني-لم يتم إلقاء القبض عليه حتى الآن. وتوفي أحدهم في القتال مع جيش أوغندا، وجهت المحكمة اتهامات لبعض القادة وادانتهم بارتكاب أكثر من (٦٠) تهمة تتعلق بجرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية.

جمهورية الكونغو الديمقراطية: بدأ النزاع المُسلح في الكنغو الديمقراطية في العام ١٩٩٦م بدخول قوات من رواندا ويوغندا لدعم الجماعات المتمردة هناك ثم أعقب ذلك دخول عدد من الدول لدعم تلك الجماعات، أسباب النزاع مرتبطة بالموارد والإثنيات اللغوية والمناطقية، أدى النزاع لمقتل مئات الآلاف من الأشخاص. تم إحالة نزاع الكنغو للمحكمة الجنائية الدولية أواخر عام ٢٠٠٤م، قبلت المحكمة الإحالة وأحالت الأمر للتحقيق. ومع وجود توماس لوبانغا في لاهاي (زعيم ميليشيا اتحاد الوطنيين الكونغوليتين وميليشيا الهيما)، في مارس ٢٠٠٧م بدأت غرفة محاكمته في القضية ضده بارتكاب جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية بما فيها تجنيد الأطفال واستخدامهم كجنود، وأدانته المحكمة عام ٢٠١٢م وحكمت عليه بالسجن (٣٠ عاماً) ثم خففت الحكم إلى (١٤) عاماً بسب تعاونه مع المحكمة.

جمهورية إفريقيا الوسطى: أحالت أفريقيا الوسطى دعواها للمحكمة الجنائية الدولية عام ٢٠١٤م، وفتحت المحكمة مباشرة إجراءات التحقيق، تم توجيه تهم لعدد من القادة الميدانيين والمسؤولين الحكوميين بتهم تتعلق بجرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية. وما زالت المحكمة تباشر إجراءات التقاضي في مواجهة بعض قادة مليشيا سيكيا المتمردة.

دارفور، السودان: بدأ النزاع المسلح في دارفور في العام ٢٠٠٣م عندما شنت جماعات متمردة هجوما على مناطق متعددة في دارفور بدعوى التهميش الاقتصادي وتجاهل الحكومة للإقليم وتنمية الخدمات فيه، من جانبها شنت الحكومة السودانية وقتها هجوماً على تلك الحركات مستخدمة القوات الحكومية ومليشيات الجنجويد المناوئة للحركات التي تمردت الشيء الذي حول النزاع لنزاع قبلي اثني كانت نتائجه كارثية تمثلت في حالات القتل والاغتصاب والنزوح والتهجير القسري وارتكاب فظائع ترقى لجرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية. في فبراير من عام ٢٠٠٧ قدّم المدعي العام السابق للمحكمة الجنائية الدولية بيانات وأدلة إلى الدائرة التمهيدية للمحكمة تتعلق بالوضع في دارفور. وفي مايو من نفس العام صدرت أوامر بالقبض على قائد ميليشيا الجنجويد، وعدداً من المسؤولين الرسميين السودانيين وفي مارس ٢٠٠٩م قدّم المدعي العام السابق مذكرة لتوقيف الرئيس السوداني السابق ومجموعة من القادة السابقين. وفي نوفمبر ٢٠٠٩م، قام المدعي العام بطلب للحصول على ثلاث مذكرات توقيف في حق قادة جماعات المتمردين لاتهامهم بارتكاب جرائم حرب ارتكبت ضد قوات الاتحاد الإفريقي لحفظ السلام في دارفور.

يلاحظ تسارع الخطوات في ملف السودان أمام المحكمة الجنائية الدولية على الرغم من أن السودان لم يصادق ولم ينضم لميثاق المحكمة، حيث كانت البداية قرار مجلس الأمن رقم ١٥٩٣ الصادر في ٢٩ ديسمبر ٢٠٠٧م والذي قضى بإحالة ملف دارفور للمحكمة الدولية كما أن الملاحظ أن طلبات المدعي العام ومذكراته شملت مسؤولين حكوميين علي رأسهم رئيس دولة علي سدة الحكم.

أعقب اتهام الرئيس السوداني وبعض المسؤولين الحكوميون لوائح اتهام للرئيس الليبي السابق معمر القذافي، والرئيس الكيني أوهورو كينياتا ونائبه ويليام روتو في عام ٢٠١١م بشأن العنف العرقي الذي أعقب الانتخابات فيما بين ٢٠٠٧-٢٠٠٨م، استناداً إلى إحالات مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة إلا أن المحكمة الجنائية قد اسقطت التهم الموجهة إلى كينياتا في ديسمبر ٢٠١٤م، وضد نائبه روتو في أبريل ٢٠١٦م.

مواقف المحكمة المتكررة تجاه الدول الأفريقية وضع عدة تساؤلات أمام العديد من الكيانات الدولية والدول مجتمعة أو متفرقة كان نتاجها مواقفاً من تلك الكيانات والدول نذكر منها:

في مايو ٢٠١٣م عقد الاتحاد الإفريقي قمة طارئة أكد خلالها تضامنه مع الرئيسين (البشير وكينياتا) كما ناقشت قمة الاتحاد بأديس أبابا في يناير٢٠١٦م مقترحاً قدمته كينيا للانسحاب الجماعي للدول الإفريقية من المحكمة. وأقرت قمة للاتحاد في رواندا في يونيو ٢٠١٦م بتشكيل لجنة وزارية برئاسة إثيوبيا لبحث الانسحاب الإفريقي من المحكمة.

في فبراير أيد الاتحاد الأفريقي الانسحاب بشكل جماعي من المحكمة الجنائية الدولية، إلا أن القرار غير ملزم، إذ تعارض نيجيريا والسنغال قرار الانسحاب.

كان لبوروندي السبق في انتقاد المحكمة الجنائية الدولية والسعي لاتخاذ خطوات إيجابية في ذلك فقد اتخذ برلمانها قراراً بالانسحاب من المحكمة. وصادق عليه رئيسها. وكان دافعها الأساسي بسبب تصويت مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة على قرار يعتزم إرسال لجنة دولية إلى بوروندي، للتحقيق بشأن انتهاكات حقوق الإنسان خلال الأزمة السياسية التي تعيشها البلاد منذ إبريل ٢٠١٥م، على خلفية ترشح الرئيس لولاية ثالثة بما يخالف الدستور. وهنا اعتبر وزير العدل البوروندي أن المحكمة أصبحت وسيلة من وسائل الضغط والابتزاز التي يستخدمها المجتمع الدولي في مواجهة الدول النامية.

اعتبرت الحكومات المؤيدة للانسحاب أن تلك المحكمة الجنائية الدولية لم تعد آلية قضائية انما أصبحت أداة استعمارية جديدة يتم استخدامها ضد إفريقيا.

نادت جنوب أفريقيا عدة مرات بالانسحاب من المحكمة غير أن ثمة تراجع منه قد لاح في الافق. كما إن المحكمة العليا في جنوب إفريقيا قد أصرت قراراً في فبراير ٢٠١٧ اعتبرت فيه انسحاب الدولة من المحكمة يتعارض مع دستور البلاد ومبادئه ويعد انتهاكاً للإجراءات المعتمدة حيث إن البرلمان بوصفه صاحب الكلمة العليا لم يستشار في أمر الانسحاب. وقد أمرت المحكمة العليا الرئاسة بسحب قرارها. الشيء الذي دفع حكومة جنوب إفريقيا لتغيير موقفها وابلاغ السكرتير العام للأمم المتحدة بأنها لم تعد تنوى الانسحاب.

العديد من الدول الأفريقية قد وجهت انتقاداتاً للمحكمة موضحة بأن تسعة من التحقيقات التي فتحتها المحكمة من أصل عشرة يجري العمل عليها، تخص بلدان أفريقية لذا فان العديد من الدول الأفريقية قد رفضت صراحة أو ضمناً التعامل والتعاون مع المحكمة. وقد دعا الاتحاد الأفريقي مجلس الأمن الدولي إلى استخدام سلطاته بموجب المادة ١٦ من الميثاق وتأجيل الدعوى ضد الرئيس السوداني لأنها قد تعرقل جهود عملية السلام والمصالحة في السوداني الذي يعاني من مشاكل واضطرابات قد تؤثر على المحيط الأفريقي، غير أن اقتراح الاتحاد قوبل بالرفض من قبل المحكمة.

رفضت أفريقيا الوسطى التعاون رسمياً مع المحكمة الجنائية الدولية عقب خطاب بعث به المدعي العام للمحكمة إلى رئيس أفريقيا الوسطى يطالب فيه بالمساعدة للقبض على مسئولين سودانيين. وقد تم ذلك الرفض في اجتماع طارئ عقده الرئيس الأسبق بحضور وزراء للدفاع، والداخلية، والخارجية، ووزير الطيران المدني، ورئيس هيئة الأركان، حيث أجمع هؤلاء على عدم تنفيذ توجيهات المحكمة.

لم يقتصر الهجوم على المحكمة الجنائية الدولية على الدول الأفريقية فحسب وإنما امتد لدول اخرى عربية واوربية وغيرها، نأخذ منها على سبيل المثال انتقادات الولايات المتحدة الأمريكية للمحكمة التي وصلت في مراحلها لحد السجال تارة والتهديد تارة اخري على الرغم من أن الولايات المتحدة الأمريكية ضمن الدول السبع التي لم توقع على ميثاق المحكمة

اتخذت في العام ٢٠١٨م الولايات المتحدة الأمريكية موقفاً صارماً وغريباً تجاه المحكمة الجنائية الدولية في لاهاي، مهددة إياها بفرض عقوبات على قضاتها إذا شرعوا في التحقيق في مزاعم عن ارتكاب أمريكيين جرائم حرب في أفغانستان أو في الأنشطة الإمريكية الاسرائيلية او ضد أي من حلفائها مبينة أن مثل هذا التحقيق سيدفع أمريكا بدراسة منع قضاة ومدعي المحكمة من دخول الولايات المتحدة وفرض عقوبات على أي أموال لديهم في النظام المالي الأمريكي وملاحقتهم أمام نظام المحاكم الأمريكي. من جانبها ردت المحكمة الجنائية الدولية في لاهاي على التهديدات التي أطلقها مستشار الأمن القومي الأمريكي وقائلة بانها ستواصل عملها دون خوف، مشددة على أن المبدأ الذي يقودها هو سلطة القانون، وأضافت بأن أكثر من(١٢٠) دولة تدعم المحكمة كمؤسسة قضائية مستقلة وأنها ستستمر بأدائها لعملها وفقا للمبادئ الأساسية والموضوعية.

في تقديرنا أن في تهديد الولايات المتحدة الأمريكية للمحكمة على الرغم من أنها لم توقع على الميثاق ورد المحكمة عليها يمثل ظاهرة خطيرة تضرب مفهوم العدالة في مقتل وتنتقص من المكانة السامية للقضاء وتظهر المحكمة وكأنها دولة نامية في مواجهة دولة كبري.

الناظر في مسيرة المحكمة الجنائية الدولية يلاحظ ضعفها وعدم قدرتها في القيام بدورها واتخاذ إجراءات قانونية وقضائية في مواجهة انتهاكات القانون الدولي الإنساني الواضحة وذلك بسبب الخلل في التشريع في ميثاق المحكمة بالأخص فيما يتعلق بسلطة مجلس الأمن في إحالة الدعاوي للمحكمة وسلطته اللا محدودة في وقف إجراءات المحاكمة دون مسوغ أو مبرر قانوني خاصة إذا ما ربطنا ذلك بسلطة الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن وسلطاتها في اجهاض القرارات الدولية عبر استخدام حق النقض.

ما يجسد ويؤكد انتقائية المحكمة الجنائية في تطبيق العدالة على بعض الانتهاكات وصرف النظر عن الانتهاكات الأخرى العدد الضئيل في الدعاوى أمام المحكمة الجنائية الدولية وحصر نطاقها على الدول الأفريقية بعضها عبر تقديم الدعاوي بواسطة الدول وبعضها عبر الإحالة من مجلس الأمن على الرغم من ازدياد حالات النزاعات المُسلحة الدولية والداخلية بعد دخول المحكمة حيز النفاذ، نأخذ منها (كأمثلة) النزاعات الآتية:

حرب أفغانستان التي اندلعت في العام ٢٠٠١م واستمرت زهاء العقدين من الزمان.
حرب جنوب السودان والتي اندلعت منذ العام ١٩٥٥م واستمرت لحوالي نصف قرن.
حرب العراق التي اندلعت عام ٢٠٠٣م.
الحرب في الصومال.
حرب سوريا التي اندلعت منذ العام ٢٠١١م.
حرب اليمن منذ العام ٢٠١٥م حتى الان.
النزاع في ليبيا منذ العام ٢٠١٨م حتى الان.
حرب فلسطين وقطاع غزة التي استمرت لأكثر من نصف قرن.
حرب روسيا أوكرانيا منذ العام ٢٠١٤م واشتداد ضراوتها عام ٢٠٢٢م حتى الان.
حرب إسرائيل إيران العام الحالي.

مما تقدم فإننا نرى أن المحكمة الجنائية الدولية كانت غاية وأمل الدول والشعوب يؤكد ذلك الفترة الزمنية بين عرض الميثاق على الجمعية العامة للأمم المتحدة وتاريخ سريانه بعد مُصادقة أكثر من (٦٠) دولة عليه خلال فترة ثلاث سنوات بالمُقارنة ببقية الاتفاقيات الدولية وعلى سبيل المثال العهدين الدوليين الذين استقرت فترة ما يقارب العشرة سنوات بين عرضهم وسريانهم، إلا أن ضعف أداء المحكمة وعدم توحيد معايرها وتدخل مجلس الأمن في اعمالها وتهديد الدول الكبرى لها أفرغها من كونها آلية قضائية مستقلة وحولها لأداة من أدوات المجتمع الدولي يحركها كيف ما شاء ومتى ما شاء.

* أستاذ القانون العام المُشارك.

حمامات عكاشة

تاريخ النوبة وأسرار الشفاء في ينابيع السودان المنسية

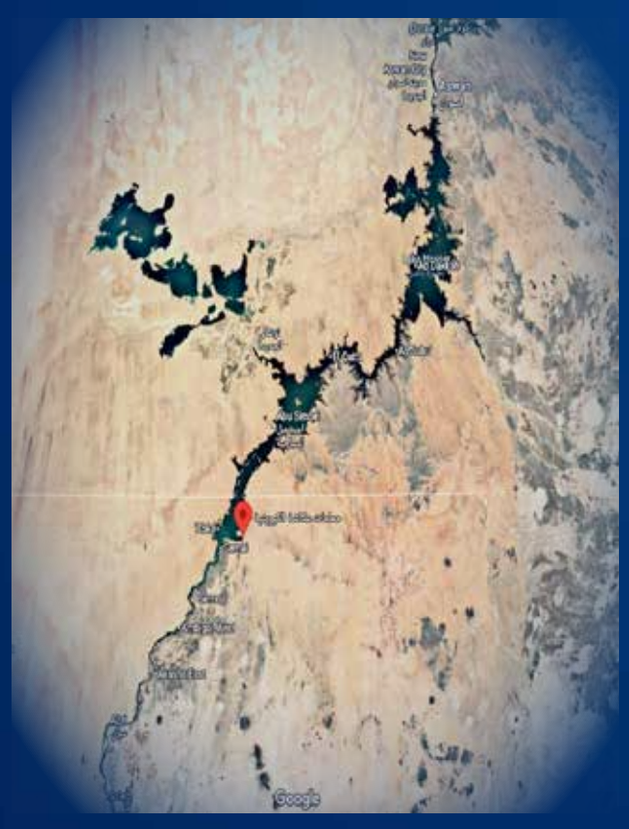

○ الخرطوم - «قنا»

في شمال السودان، تلتقي رمال الصحراء الذهبية بتاريخ الحضارة النوبية العريقة، وتتدفق ينابيع «حمامات عكاشة» الحارة، حاملة معها إرثاً حضارياً فريداً يمتد لآلاف السنين.

ليست مجرد مياه دافئة تنبع من باطن الأرض، بل هي ذاكرة حية تربط الحاضر بعهد مملكة نبتة والملك النوبي «كاشتا» ووجهة نادرة تجمع بين القيمة التاريخية، والجاذبية السياحية، والفوائد العلاجية التي لم تُكتشف أسرارها بالكامل بعد.

ورغم التحديات التي واجهتها، من كوارث طبيعية أغرقتها لسنوات إلى نقص في الموارد أبعدها عن دائرة الضوء، حافظت «حمامات عكاشة» على وجودها بفضل إصرار المجتمع المحلي، الذي تجسد في مبادرات شبابية وتنموية أعادت تأهيل الموقع، في سعي دؤوب لتحويل هذا الكنز المنسي إلى وجهة سياحية وعلاجية متكاملة تليق بقيمته.

ملاذ الشفاء في قلب الصحراء

تقع «حمامات عكاشة» في محلية دلقو، بالقرب من مدينة عبري في الولاية الشمالية، على بعد نحو ٧٧٥ كيلومترًا شمال العاصمة الخرطوم. وهناك، وسط تلال وسهول الحوض النوبي، تنبع المياه الحارة طبيعياً من أعماق المرتفعات الغربية، متدفقة بدرجات حرارة تتراوح بين ٣٨ و٤٥ درجة مئوية. وتكمن قيمة هذه الينابيع في تركيبتها الغنية بالكبريت والأملاح، التي تمنحها خصائص علاجية فريدة.

وحسب مختصين في العلاج الطبيعي، تعد هذه الحمامات ملاذاً فعالاً لعلاج الالتهابات المفصلية المزمنة، والروماتيزم، وارتخاء العضلات. كما تساهم في التخفيف من أمراض جلدية مثل الأكزيما، والصدفية، والبهاق، وحب الشباب. وهذه الفوائد جعلتها مقصداً ثابتاً للباحثين، وطلبة التاريخ، والراغبين في الاستشفاء الطبيعي من داخل السودان وخارجه.

وتتجمع هذه المياه العلاجية في برك صغيرة تحيط بها الكثبان الرملية والتكوينات الجبلية، مما يضفي على المكان طابعاً فريداً جذب اهتمام الباحثين وأكسبه أهمية متزايدة كوجهة للسياحة البيئية. وقد ساهم هذا النبع في تنشيط الحركة بقرية عكاشة المجاورة، حيث يتدفق داخل بناء مصمم بعناية كغرفة، يبلغ طولها نحو ٣ أمتار ونصف المتر، وعرضها متران، وارتفاعها متر ونصف المتر، لتحتضن بداخلها هذا المصدر الساحر.

تاريخ النوبة وإرث الإهمال

يعتقد أن «حمامات عكاشة» كانت معروفة ومستخدمة منذ العهد النوبي القديم، وتحديداً في فترة الممالك النوبية (كوش، نبتة، ومروي). ويُرجّح مؤرخون وجودها إلى عهد الملك النوبي كاشتا، أحد أبرز ملوك الأسرة الـ٢٥، والذي تمتع بنفوذ واسع في المنطقة. ولا يقتصر هذا العمق التاريخي على الحمامات وحدها، فالمنطقة المحيطة بها غنية بالآثار النوبية، من معابد تاريخية ومقابر وصخور منقوشة باللغة الهيروغليفية، مما يضيف قيمة سياحية وتاريخية مضاعفة للمكان

ورغم تصنيفها ضمن مناطق الجذب السياحي في السودان، لم تحظ الحمامات بالاهتمام الكافي بعد استقلال البلاد. وتعرضت لفترة طويلة من الإهمال، تزامنت مع ظروف طبيعية قاسية. ففي عام ١٩٨٨، اجتاح فيضان نهر النيل المنطقة، مما أدى إلى طمر الحمامات بطبقات سميكة من الطمي، ظلت جاثمة على الموقع لنحو ٩ سنوات دون أي تدخل لإعادة تأهيله.

وفي ظل الغياب المؤسسي، ولدت قصة ملهمة من رحم المجتمع المحلي. وفي عام ٢٠١٧، بادرت مجموعة من شباب المنطقة إلى تأسيس «منظمة حمامات عكاشة الخيرية» بهدف إعادة إحياء هذا الإرث. ومن خلال جهود ذاتية، عالجت المنظمة مشكلات تصريف المياه، وقامت بإجراء مسوحات جيوفيزيائية واستخدام تقنيات حفر حديثة لفتح النبع مجدداً.

وتهدف هذه الجهود الشعبية، إلى جانب مساهمات القطاع الخاص، إلى الحفاظ على الموقع وتوفير الحد الأدنى من الخدمات للزوار الذين يتزايد عددهم بشكل ملحوظ في فصل الشتاء من مختلف ولايات السودان مثل الخرطوم ودارفور وكردفان، بالإضافة إلى زوار من دول مجاورة كمصر وليبيا وتشاد. كما يساهم السودانيون المقيمون بالخارج في تنشيط السياحة العلاجية بالمنطقة خلال فترات إجازاتهم.

ورغم هذه المبادرات، لا تزال المنطقة تفتقر إلى البنية التحتية الأساسية من فنادق ومرافق صحية حديثة وخدمات سياحية متكاملة، وهو ما أدى إلى ضعف الاستثمارات فيها، على الرغم من تأكيد وزارة الثقافة والإعلام والسياحة في السودان على أهمية تطوير الموقع وتحويله إلى منتجع متكامل.

وهكذا لا يمكن النظر إلى «حمامات عكاشة» بوصفها مجرد ينابيع حارة، بل هي شاهد على التقاء الجغرافيا بالتاريخ، وذاكرة حية لتراث نوبي عريق، ومنارة للسياحة البيئية والعلاجية، وصورة صادقة عن ارتباط الإنسان السوداني بأرضه، وإصراره على الحفاظ على كنوزها الطبيعية رغم قسوة الظروف وشح الإمكانيات.

VOICE of sudanese community
السبت ٢٦ يوليو ٢٠٢٥م - ١ صفر ١٤٤٧ هـ
SATURDAY 26 JULY 2025 - ISSUE No. 44

تقليب صفحات الحرب العالمية الأولى بين أسوار مدينة ينبع التاريخية

جارات لورانس العرب ينقلبن على البحارة

بدت السوق من الخارج ببنائها الحجري كما لو أنها قلعة لا ينقصها سوى الحرس على أبوابها. (اندبندنت عربية)

الضابط البريطاني الشهير توماس إدوارد لورنس ومنزله التاريخي بمدينة ينبع السعودية. (التايمز)

○ تقرير - مصطفى الأنصاري، محمد غرسان

● حين وقفنا على «سوق الليل» في مدخل المدينة التاريخية المطلة في بهاء على الساحل، وكأنها تحرسه من عدوان المدنية والأغيار الجدد، ممن ليسوا من قبائل توماس إدوارد لورانس بالضرورة ولكن أيضا «تجار الأسمنت وعصابات التراب»، كما اعتاد السكان المحليون في السعودية القدح في الباحثين عن الثراء السريع، على حساب ذاكرة السكان والمدن وعبقها الثقافي الأخاذ.

قد تكون مدن سعودية سرقت الأضواء من «ينبع» غرب السعودية لأعوام مضت، على رغم مقوماتها الفريدة في الموقع والتاريخ، إلا أن المدينة الحديثة بموانئها ومصانعها وشواطئها عادت تنقب عن الجواهر في الأطلال، وتمسح الغبار عن نصفها الآخر الذي يحتفظ بسرها لقرون وعقود، كانت فيها حديث جاراتها على ضفتي البحر الأحمر، وقطب الرحى عند التجار والغزاة والعابرين من العرب والترك والألمان والإنجليز.

وشهدت المدينة فصولاً من التاريخ الحديث لا تزال حية التأثير حتى اليوم، فيما تحتفظ برموزها وذكرياتها الحلوة والمريرة، مثلما يروي لـ «اندبندنت عربية» مالك «متحف رضوى» سالم الحجوري الذي قادنا في جولة داخل مقتنياته عبر العصور من مخلفات الحرب العالمية الأولى، مثل الخوذات والرصاص والبنادق، إلى أعماق مياه بحر المدينة الغنية بالتنوع هي الأخرى، مما جعل «مركز الرقابة على الالتزام البيئي» في البلاد ينفذ فيها أخيرا تمرينا لاختبار جاهزية أسطول مكافحة التلوث المهدد للحياة البحرية.

مولد «الجامعة العربية»

مرّ سريعاً على الزوايا قبل أن يتوقف الحجوري موجهاً حديثه إلينا: «ماذا يهم في جاسوس بريطاني جاء عابرا كي تنقبوا عن آثاره؟ تعالوا انظروا ما هو الحدث الأهم»، وكنا سألناه عما لديه من بقية آثار لورانس، يوم جاء المدينة ليتخذ منها نقطة انطلاق الشرارة الأولى وقاعدة «الثورة العربية» ضد الحكم العثماني عام ١٩١٥.

ولم يلبث أن توقف أمام أرشيف الصحف السعودية والمصرية التي أرّخت لـ «قمة رضوى» الفاصلة في تاريخ المنطقة إثر لقاء الملكين السعودي والمصري عبدالعزيز وفاروق عند شرم ينبع على بعد بضعة أميال من المدينة التاريخية حيث كنا، ليكتبا الفصل الأخير من المشاورات التي سبقت إعلان ميلاد «الجامعة العربية» التي ظلت على رغم الانتقادات، ما تبقى من وحدة العرب الميؤوس منها.

وقد نجح الحجوري في لفت الفضول الصحافي داخل أذهاننا نحو «قمة رضوى»، إلا أن «جارات لورانس» على بعد خطوات منه أعدن للجاسوس البريطاني جذوته حين وقفنا على «سوق الليل» في مدخل المدينة التاريخية المطلة في بهاء على الساحل وكأنها تحرسه من عدوان المدنية والأغيار الجدد، ليسوا من قبائل توماس إدوارد لورانس بالضرورة ولكن أيضا «تجار الأسمنت وعصابات التراب»، كما اعتاد السكان المحليون في السعودية القدح في الباحثين عن الثراء السريع على حساب ذاكرة السكان والمدن وعبقها الثقافي الأخاذ.

بدت السوق من الخارج ببنائها الحجري كما لو أنها قلعة لا ينقصها سوى الحرس على أبوابها، إلا أن ما بداخلها عالم آخر لا صلة له بالقلاع والمحاربين، إذ جرى تخصيصها للنساء من منسوبات «جمعية رضوى النسائية» ليعرضن فيها السلع والحرف التي ورثنها عن الآباء والأمهات، مثل التطريز والرسم على الطين والسعف والبخور والصابون والجلابيات والسبح وأزياء القبائل المحلية التاريخية وحليها من الفضة والخرز والأحجار الكريمة.

من البحارة إلى النساء

في البداية تحدثت إلينا أم عبدالله وسط متجرها المتخصص في بيع الهدايا البسيطة من صنع يديها، وتقول «نحن نبيع ما نصنعه ولذلك نشعر بقيمة أكبر للحصيلة التي نعود بها آخر النهار مهما كانت قليلة»، وما كاد الحديث يأخذ أبعاده مع أم عبدالله حتى تجمع حولنا مجموعة من النساء الوقورات، معظمهن كبيرات في السن يشرحن من دون تردد المهمة التي يظهر أنهن فخورات بالقيام بها، على رغم بساطة المعروض وقلة مردوده على الأرجح، ويشرحن كيف أن السوق شكلت بالنسبة إليهن «بادرة أمل»، ويطمحن إلى تحسن دخلهن مع الوقت ليصبحن رائدات أعمال في محيطهن الاجتماعي.

وتوضح مديرة السوق حنان الجهني في حديث جانبي مع «اندبندنت عربية» جانبا آخر من قصة السوق، إذ تروي أنها لم تكن في الأصل نسائية وإنما جاء تخصيصها لهذه الفئة من ذوات الحرف، ولا سيما محدودات الدخل، بغرض تطوير مهاراتهن وتحسين ظروفهن، إضافة إلى الحفاظ على الصناعات التراثية ونقلها للأجيال المقبلة من دون تشويه. وتفسر الحماسة من بعض البائعات بما يفعلن على رغم كبر سنهن، بأن «عددا ممن ترون كان آباؤهن يعرضون في هذا السوق قبل عقود حين كانت سوقا عامة للتجار والبحارة، فكان تلك الخالات يحرسن تاريخ آبائهن بطريقة تبعث على الفخر».

عند السؤال عما يهتم به الزوار تضيف «نحن ما زلنا في أول الطريق ولم يمض عام على بدء التجربة، ومع الوقت سنرى البنات يحققن مبيعات أفضل، وإن شاء الله يتحقق الإقبال السياحي الذي يساعد في ذلك، فنحن نعتمد على السياح ولا سيما الأجانب الذين يشترون الهدايا من المدينة».

«هذا جارنا عرفناه من السياح»

وعند السياح الأجانب جاء الوقت المناسب لنسألها عن «لورانس» الذي نقتفي آثاره منذ لحظة الجولة في المدينة «لورانس، نعم نعم، هذا جارنا»، ثم تضحك وتضيف «من الغريب أننا لم نكن نعرف أننا بقرب شخص بهذا الثقل الدولي، فكثير من الأجانب الزوار يسألوننا عنه، ثم لكثرة السؤال أصبحنا نهتم بمعرفة المنزل الذي سكن، وقد نفكر في طرح بعض الأفكار على الزميلات لبيع منتجات باسمه لتلقى الرواج المنشود».

«الفن الينبعاوي» واجهة ينبع العابرة للحدود

وبحسب ما أفادت محافظة ينبع فإن السوق أعيد تأهيلها بعد أعوام ظلت فيها مهملة، فأعيد بناؤها على طرازها القديم إلا أن الجهات المتخصصة في المدينة اتفقت على تخصيصها للنساء بدلا من طبيعة نشاطها السابق الذي جعلها تسمى «سوق الليل»، حين كانت السوق الوحيدة التي تعمل ليلا وتضاء بالفوانيس لتلبية حاجة البحارة وقاصدي الميناء الإستراتيجي خلال الساعات التي تخلد بقية الأسواق فيها إلى السكون.

وتختلف تقديرات عمر السوق بين المهتمين الذين تحدثوا إلينا ما بين ٢٥٠ و ٥٠٠ عام، إلا أن ارتباطها بالميناء الذي كان الرئيس لوسط الجزيرة العربية وشمالها الغربي، يضفي عليها أهمية بالغة يوم كانت الموانئ، قبل طائرات الشحن والمكائن البخارية، وسائل الإمداد الوحيدة بالسلع والمؤن والعتاد الحربي الثقيل التي كانت سفن الصحراء «الجمال» تنوء بأحمالها.

لهذا يقول المرشد السياحي المهتم بتاريخ ينبع، الذي رافقنا إن أهل المدينة كانوا محظوظين إلى عهد قريب بحصولهم على جوانب من الرفاهية لا تحصل لغيرهم، باعتبارهم المحطة الأولى للبضائع القادمة من العالم، كما لو أنها طازجة، مشيراً إلى أن طرفا تروى بين الأهالي ول هذا المعنى، مثل «من أكل الحلوى الفلانية، ومن جرب البسكوت، ونوع الطعام المحدد قبل أهل ينبع»؟ على هيئة التباهي، والجواب «لا أحد في تلك الأنحاء»، فهو الميناء الأقرب إلى مصر ووجهة قاصدي المدينة المنورة الأولى، فكان بذلك موقعا لا يضاهى.

ويشير بتحفظ إلى أن المؤرخ علي السمهودي يزعم في هذا السياق أن الجواري في الماضي كن يرفضن بيعهن على أسياد خارج ينبع، لما يجدن فيها من الراحة والتمدن، فلا ينتقلن منها إلا قسرا.

وقد يكون لارتباط السوق بالجواري قديماً، كانت المسؤولة حنان الجهني أشارت إلى أن بعض النساء رغبن تغيير اسم السوق لما قد يثيره من الريبة في أذهان الأجانب غير العارفين بالمنطقة، فكانت الخشية أن يظن بالنساء المحتشمات فيه ظن السوء، لكنها أردفت بأن الجهة المعنية في المحافظة والبلدية، أصرت على إبقاء اسم السوق كما هو، حفاظا على تاريخه الممتد، فالأسماء التاريخية لا تتغير. و يعتبر «سوق الليل» من بين أسماء الأسواق الشائعة في مدن المنطقة، بما في ذلك مكة المكرمة.

مصير بيت «لورانس»

على امتداد «حي الصور» التاريخي حيث سوق الليل ومسجد السنوسي وكثير من المعالم القديمة في ينبع البحر، أطل منزل «لورانس» بواجهته ونوافذه الخشبية بعد أن صار على هيئته الجديدة بعد الترميم مثل يوم سكن فيه الضابط البريطاني أو أفضل، إلا أن جولتنا في المساء المتأخر من دون التنسيق مع الجهة المعنية بشؤون المنزل التاريخي جعلت الدخول إليه متعذرا، لكن محافظة المدينة في ذكرت أن البيت أصبح «أحد المعالم التاريخية المهمة في السعودية، وهو المنزل الذي أقام فيه الضابط البريطاني الشهير توماس إدوارد لورنس، المعروف بـ «لورنس العرب»، خلال الحرب العالمية الأولى أثناء دعمه الثورة العربية الكبرى، حيث يقع البيت في المنطقة التاريخية بمدينة ينبع البحر على شارع البحر، ويطل مباشرة على ساحل البحر الأحمر، ويعتبر جزءاً من التجمع المعماري التراثي المميز للمدينة».

ولا يزال جزء من المدينة التاريخية أثناء جولتنا يخضع للترميم بإشراف من وزارة الثقافة السعودية ممثلة في «هيئة التراث» التي أحاطته بسياج، تؤكد المحافظة في إجاباتها علينا أن البيت لمحدد أقام فيه المسؤول البريطاني ا لفعل

«بين عامي ١٩١٥ و١٩١٦ حين كان يعمل مستشاراً للمخابرات البريطانية ومشاركا في تنسيق الدعم للثورة العربية ضد الدولة العثمانية، واستخدمه كمقر سكن وعمل نظرا إلى موقعه الإستراتيجي القريب من الميناء»، مشيرة إلى أن المنزل يتميز بطرازه «المعماري التقليدي، إذ بُني من الحجر المرجاني ويزدان بالنوافذ الخشبية والمشربيات، ويتكون من طابقين مع شرفات تطل على البحر، وقد خضع لترميم شامل عام ٢٠٢٠ ضمن مشروع تطوير المنطقة التاريخية بإشراف وزارة السياحة، ويستخدم اليوم كمعلم سياحي وثقافي مفتوح للزوار يضم لوحات تعريفية وصوراً توثق لتاريخ لورنس ودوره في المنطقة، ويشكل نقطة بارزة ضمن جولات 'ينبع التاريخية' مع دخول مجاني ضمن هذه الجولات».

صدى بيت ينبع في بريطانيا

وقال أحد السكان المحليين، والذي تحدث إلينا من دون الرغبة في ذكر اسمه، إن «الاهتمام البريطاني بالمكان لافت، فأي قنصل جديد في جدة يزور عادة ينبع ليلقي نظرة على البلدة التاريخية والمكان، فضلاً عن السياح»، ويؤكد صدقية ذلك اهتمام الإعلام في لندن بتطورات المكان، فقد احتفت صحيفة «تلغراف» بإعادة ترميم المنزل ونقلت عن رئيس جمعية «تي إي لورانس»، فيليب نيل، أن الأخير ربما أمضى أياما فقط في منزل ينبع لأنه كان «في حال تنقل دائم»، ولكن على رغم ذلك فإنه يحظى باهتمام السياح.

وقال «يبدو أن السعودية تنفتح في كل الاتجاهات وأنا متأكد من أن محبي لورانس سيكونون حريصين على الذهاب وزيارة هذا المنزل»، مضيفا أنه يمكن أيضا تطوير مواقع أثرية أخرى في شبه الجزيرة العربية والأردن، حيث «لا تزال هناك بقايا قطارات ملقاة في الصحراء التي فجرها لورانس»، وذلك لأن «لورانس» شكل بدوره في الثورة العربية ضد الأتراك رمزا للدور البريطاني في المنطقة الذي لا تريد له لندن أن ينسى، ولا سيما في الجوانب المشرقة من العلاقة التي أخذت طابعاً إستراتيجياً مع السعودية والخليج والأردن، بينما لم ترغب السفارة البريطانية في التعليق على سؤال «اندبندنت عربية» لها عن ما يشكله إرث ضابطها السابق من أهمية بالنسبة إليها في الوقت الحالي الذي أعيد فيه الزخم للروابط الثقافية والتاريخية بين لندن والرياض.

أما لورانس الذي أحب العرب بعد أن عرفهم عن قرب فإنه يقول عن تجربته المحورية التي بدأها من ينبع في إحدى خلاصات كتابه «أعمدة الحكمة السبعة»، إن المستشارين في الدول الغربية لم يكونوا قادرين على استيعاب «روح العربي والقوة المستترة خلف قضيته».

ماذا يقول لورانس عن تلك الأيام؟

ويروي في مذكراته كيف أن المدينة كانت «قلبنا النابض على البحر الأحمر، وشريان حياتنا المفتوح على بريطانيا»، فعلى رغم أنها كانت محاطة بالخطر من كل جانب فقد أظهر العرب فيها، على قلتهم، «ثباتا عجيبا على رغم غارات الأتراك ومحاولاتهم استردادها»، وكان البحر في ينبع بالنسبة إلينا «الملاذ الوحيد الذي ننتظر منه المؤن والسفن الحربية البريطانية التي تحمينا».

وبينما كان الأتراك يزحفون من البر يقول، «نحن نحتمي بالبحر وصمدنا، وفي تلك الليالي، وسط الصحراء والبحر، وأنا أسمع أصوات المآذن والأمواج معا، وأرى في أعين المقاتلين العرب حلم الحرية يتقد على رغم الجوع والبرد والخوف».

وعلى رغم ما أثارته شخصيته من انقسامات بين من يرى فيها مغامرة فردية ومن يعتبرها امتدادا لسياسات الإمبراطورية البريطانية، فإن حضور لورانس لم يخفت في السرديات الغربية بل أعيد إحياؤه لاحقا في أعمال سينمائية وأدبية ووثائق رسمية شكلت مرجعا دائما لذاكرة تلك المرحلة، فيما لا يعدو في السعودية كونه مثل غيره من العابرين «رجل جاء وذهب».

وفي سيرته «أعمدة الحكمة» اعتبر لورنس أن فشل العثمانيين في الاستيلاء على ينبع في ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٦ كان نقطة تحول حاسمة في الحملة على الشرق الأوسط، قائلا «في تلك الليلة أعتقد أن الأتراك خسروا حربهم»، وبعد تراجع القوات المحلية وخوفها من هجوم عثماني، سارع لورنس وضباط بريطانيون آخرون إلى الدفاع عن المدينة، وقد أنقذ وصول خمس سفن حربية بريطانية بمصابيحها الكاشفة ومدافعها الموقف بردع العثمانيين، مما مكن القادة العرب ولورنس من إعادة تجميع قواتهما وإطلاق حملة حرب العصابات الشهيرة لاحقا، بما في ذلك الهجمات على السكك الحديد والمسيرة الكبرى نحو العقبة التي خلدتها لاحقا السينما العالمية.

ومن المفارقات أن الضابط الذي خاض مع رفاقه معظم معارك الثورة العربية قضى في حادثة دراجة نارية عن ٤٦ سنة في بريطانيا، حيث أقيم ضريحه بجوار كاتدرائية القديس بولس في لندن وصار من معالم البلاد التي يهتم بها ورثته من المستشرقين وأصدقاؤهم العرب.

المصدر - INDEBENDENT

الكتابة كوسيلة للصمود أثناء الحرب

إستيلا قايتانو

○ لقد مرَّ عامان منذ اندلاع الحرب في الخرطوم في ١٥ أبريل ٢٠٢٣. الخرطوم هي عاصمة البلاد التي وُلدتُ، وتَرعرَعتُ، ودَرَستُ، وأنجَبتُ فيها، وهاجرت منها قبل ثلاثة أعوام. اتسعت هذه الحرب لتشمل أجزاء من البلاد لم يَختَبِر سكّانها الحرب يوماً ما بشكل مباشر. بالطبع منهم من اختبرها وتوجَّهوا للخرطوم، فكانت هي، ومدن أخرى، ملاذا نزحوا إليه عندما كانت حروب أخرى تلتهم قراهم، فكان لهم أن ينزحوا للمرة الثانية، أو الثالثة..إلخ.

لماذا أذكر هذه المعلومات بهذه الدقة؟! لأن للحرب أعماراً مختلفة باختلاف بقاع السودان، وبالنسبة لي هي ذات الحرب التي اندلعت من قبل في الجنوب، وجبال النوبة، والنيل الأزرق، قبل أكثر من أربعين عاما، ومن ثَمَّ زَحَفت إلى دارفور قبل لأكثر من عشرين عاما. وصولها إلى الخرطوم ما كان إلا تتويجاً لسيطرة العنف الشامل ليس إلا، والتي لم تتعامل معها الحكومات المركزية بالحكمة اللازمة.

ما أريد قوله هو، إن السودان كان دائماً في حالة حرب قبل عشرات السنين، ولكنها لم تأخذ صفة «حرب السودان» قط حتى الآن، عندما وصلت قلب العاصمة «المركز» واشتعلت فيها.

في السابق، كانت الحرب تُسمى بالجهات كحرب الجنوب، وحرب جبال النوبة، وحرب دارفور.. إلخ. الحروب الطرفية التي تصدرها هذا المركز نفسه، مما أوهم مواطني العاصمة والأقاليم الآمنة بأنها أمر يحدث بعيداً عنهم ولا تعنيهم بالضرورة.

بالنسبة لي ككاتبة، كنت، ومازلت، مشغولة بهذا التاريخ الدمويّ؛ لم أستطع الهرب من رؤية الصورة الكبيرة للحرب، أصفها كخريطة عنف متحركة وكل مرة تحتل أمكنة جديدة. كيف أنها اندلعت في القرن الماضي في قرية صغيرة في أقصى جنوب الجنوب، ثم أخذت تتمدد كبقعة زيت على صفيح ساخن، إلى أن غطتها بالكامل.

من هنا جاء شغفي بالكتابة، لجعل البقية يرون ما أراه، يرون وحش الحرب وهو آخذ في النموّ بوضوح. كنت أشكّل من الكلمات لأروي عشرات القصص، التي تحمل وجه الحرب القبيح، وأفضح فعله العنيف. تماما كما يجمع الأطفال بصبر تلك الأجزاء الصغيرة في لعبة «البازل» للحصول على صورة وحيدة، واضحة، لحيوان ما أو أحجية مصوّرة، مكتملة، ومفهومة في الآخر.

أكرّس كتاباتي من أجل هذا، على الأقل حتى أكمل القصة. أكتب لأنني لم أعد أحتمل حياة النسيان والنكران التي يعيشها السودانيون لتعود الحرب كل مرة، ويتفاجؤون، كأنها حرب جديدة. «عندما أقول السودانيون أعني جميعهم في الجنوب والشمال»، هذه أيضا واحدة من المعضلات التي أتعرّض لها بعد أن انقسم السودان إلى سودانين بعد حرب طويلة، جعلت التعايش في وطن واحد مستحيلا. لابد أذكرهما معا لأزيل اللبس كأنني أتحدث عن السودان فقط لأن استقلال جنوب السودان لم يحرّره من تاريخ العنف، بل أخذوا معهم أدوات صناعته واستمروا في إعادة إنتاج حروبهم الخاصة كما يحدث الآن في السودان من غير جنوبه.

قلتُ إنني أكتب لأنّي لم أعد أحتمل حالة النسيان. السياسيون يتعاملون مع الأزمات كطوارئ ليس لها امتدادات في الماضي. والمواطنون يتعاملون مع الحروب كقطع معزولة مُبعثرة، لذا يجيدون سلوك قلب الصفحات.

ربما تكون ممارسة النسيان أيضاً نوع من التحايل للاستمرار!؟ ربما!

عندما اندلعت الحرب في السودان عام ٢٠٢٣ كنت أكتب وبشراهة، وأعمل على التحرير النهائي لروايتي التاريخية الثانية عن حرب أخرى حدثت عام ١٩٨٣.

اخترت كتابة الماضي وتوثيق ما حدث في ذاك الوقت، بينما كان الحاضر على وشك الاشتعال. حتى داهمتني حرب ١٥ أبريل ٢٠٢٣.

شعرتُ بالمأزق؛ حيث يجب أن أصنع حدوداً صارمة ما بين حرب دائرة الآن على أرض الواقع، وحربٍ أخرى كانت تدور في صفحات روايتي.

حاولتُ أن أبقى متيقظة، وواعية، حتى لا أخلط بين أحداث الحربين، الفرق بينهما أكثر من أربعين عاما.

كثيراً ما وَقعتُ في حيرة، حيث أصبح هناك خطأ واهياً ما بين الخيال والواقع. لأن الحروب تتشابه في أفعالها. مشاهد المدن المُدمّرة، واللاجئين، والقتل الوحشي، والسماء المخنوقة بالدخان، والأكاذيب التي يرددها المقاتلون في المعسكرات. كلها تتشابه.

فتحول فعل الكتابة إلى نوع من الألم المضني وواجب ثقيل. حيث نضطر، لكل واحد، للخوض في الذاكرة، ليوقظ ضحايا المذابح بعد أن شبعوا موتا من فعل الحروب القديمة التي لم تحظ بأي نوع من المخاطبة السياسية أو العدلية. فكنت أكتب بحذرٍ شديد، كمن يتجول في حقل ألغام خوفاً من أن تنفجر تحت قلمي، وأنا، ألتقط الحروف حرفاً حرفاً، وأرص الكلمات جنباً إلى جنب، لوصف قبح الحرب، حتى أتفادى حرباً جديدة.

توقّفت عن الكتابة عندما اندلعت حربٍ أبريل. كأنني قرّرت أن أعيش حرباً واحدة، مشفقة على قلبي.

ولكن رغم كل ذلك كان لابد أن أستمر، لم يكن في الإمكان أن أترك تلك الأرواح التي أيقظتها لأمنح لهم عدالة ما، عدالة أنهم غير منسيين. وفي ذات الوقت، قد يمنح ما أكتبه حكمة ما للحاضر المُنساق خلف الماضي، بلا ذرّة تفكير.

الكتابة في زمن الحرب وعن الحرب، نوع من إعادة فتح جروح الماضي، ومحاولة شفائها بسكب دواء شديد المرارة حارق عليها، بينما بدأت جراح جديدة تنزف.

كنت أكتب من أجل مواجهة الماضي، ولكنها كانت، في ذات الوقت، كتابة من أجل رفض الحاضر الذي يعيد تكرار الماضي بغباء محير. الحاضر الآن ما هو إلا صورة من الماضي فقط، انعكَسَت في بقاع أخرى، واختار ضحايا آخرين، وأسلحةً جديدة شديدة الفتك.

أثناء هذا كله، لاحظت عشرات الكاتبات والكتاب الذين انشغلوا بالكتابة. في العام السابق وحده أصدرت العديد من دور النشر عشرات المطبوعات الجديدة من مؤلفين سودانيين/ جنوب سودانيين. في الرواية والقصة والشعر والدراسات والنقد أيضاً. رُشحت عدد منها لجوائز إقليمية وعالمية. كأن القلم كان في سباق مع آلة الحرب.

تحاول الكتابة أن تبعث الحياة حتى في الموتى المنسيين وتضعهم في منصة الشهود.

نكتب لتبيين الفرق بين الحياة الطبيعية وحالة الحرب. فالحرب، مهما طالت، لن تحظى بصفة «الطبيعية». لأن وجود حرب، في حدّ ذاته، هو نوع من خروج التاريخ عن مساره مما يربك الطبيعي.

الحرب طارئة مهما جثمت عشرات السنوات على صدر أمة ما. فهي تخلق نوعاً من الأحوال الطارئة حولها.

كأننا نلجأ إلى أمكنة أخرى، ونعيش في أزمنة سحيقة غابت فيها الدولة، فنضطر إلى التنظيم من جديد لتوفير لقمة العيش، ونعيش في جماعات حتى نحمي بعضنا، ونتجاور، مع أناس طارئين مثلنا، في جغرافيات لم تطأها أقدامنا من قبل.

هذه السنوات الطارئة هي ما تحاول الكتابة التقاطه. لحفظ ذكرى الحنين إلى الحياة الطبيعية حيث يتمتع الجميع بالسلم.

في اعتقادي هذه الغزارة في الإنتاج الأدبي، وكأنه نوع من التسلح لمقاومة الحرب، هو نوع من المرونة الضرورية لحماية المستقبل حتى لا تنقل غل هذه الحرب/الحروب إلى الأجيال القادمة.

في قمة هزيمة الإنسان نلجأ للكتابة. الكتابة نوع من اللجوء أيضاً. بالكتابة نضع الخلود في مواجهة الإبادة. والصدور العارية في مواجهة الرصاص، عسى أن تهديها نبضاً، وتخبرها عن حلاوة الحياة.

لذا أصبحت الكتابة هي الداعم الوحيد الذي منعنا من الوقوع في آتون اليأس، وساعدتنا على تجاوز نوبات الفزع ومشاعر العجز والأحزان.

أعانتنا على تحمّل عزلة المنافي والملاجئ، ومن خلالها نقول ها نحن ذا، مازلنا هنا نمثل الأوطان الجريحة، وبإصداراتنا نؤكد أننا لم ننس، ولن ننس.

لطالما كانت الكتابة هي رفيقتنا الحانية، التي تجبُر بخواطرنا وتمنحنا نوعاً من المواساة!

الكتابة، بالنسبة لي، أكثر من مجرد رص للكلمات، بل المنقذ الأخير الذي ألجأ إليه في أشد لحظات يأسي ورعبي.

عندما تحتدم الأزمات حولي، فلا يلهيني عنها سوى الجلوس للكتابة. أمام شاشة شديدة الإضاءة حتى يغشى بصري كي لا أرى العتمة التي تتنامى حولي. أحتمي بها من شرور الخارج كسماع الأنباء المفجعة، ووقوفي عاجزة أمامها. فهي تجعلني أفرّغ غضبي، حزني وإحباطاتي، بشكل متزن نوعاً ما. وتذكرني بمهمتي ككاتبة.

في الحالة الآنية، أكاد أن ألخص مهمتي في لفت الانتباه لمأساة الحرب، واستقطاب المزيد من المتضامنين مع القضايا الإنسانية والكارثة التي نمر بها.

لم يسعفني الوقت والمسافة لقراءة إصدارات زملائي/زميلاتي الكتاب أثناء هذه الحرب. ولكن أكاد أجزم بأنها لا تخلو من مواضيع الحرب وآثارها، والحنين والحب اليائس بين إنسان وإنسان، وبين إنسان ووطن قاسي، ومتى تنتهي!؟ نعم جميعنا في انتظار أن تنتهي هذه الحرب، ولكن كيف ومتى؟ لا أدري.

من الصعب أن أعمِّم سبب كتابتنا بغزارة في هذا الوقت بالذات، وتلهُفنا على نشر أعمالنا، حتى الكتاب الذين لا يميلون إلى نشر أعمالهم بدأوا في فعل ذلك، حتى ولو بنشر أعمالهم القديمة.

ولكن بشكل عام أستطيع أن أقول إن الكتابة أصبحت فعلا نوع من المرونة لمواجهة ما يمرّون به الآن من عنف، والذي صار يحدث أمام عيونهم، أصبحوا الشهود والضحايا المباشرين. هذا العنف المنتشر الذي يتعرّض له أقرب الأقربين لهم، وينعون رحيل بعضهم بصورة وحشية على صفحات التواصل الاجتماعي. كل هذا يخبرنا أن هذه الحرب لم تعد أخباراً تُنقل عن الآخرين، بل أصبحت حدثا هم متورطون فيه بشكل أو آخر. لأن تلك الجثث لم تعد جثث أناسٍ غرباء لا يهمهم أمرهم، وتلك الدماء، التي تجري على الأراضي السودانية، منافسة فيضان النيل، لم تعد دماء غريبة؛ فهي دماء إخوتهم المغدور بهم، أو بناتهم وأمهاتهم المُغتصَبات، وأصدقاءهم القتلى وجيرانهم الذين خطفهم القصف، أناس يعرفون وجوههم وأسماءهم.

عندما تسميهم الأخبار ضحايا، نسميهم نحن أبطالاً وشهداء. عندما تسميهن التقارير ضحايا العنف الجنسي، نعطيهم نحن صفة الناجيات. وعندما نسمع عن تبعثر أعضائهم ولحومهم بسبب قذيفة أو قصف طيران حربيّ، نسمّيهم حمائم سلام، ملأوا قبة السماء، محلقين باحتجاج.

وعندما يقولون الأطفال يموتون جوعاً، نقول إنهم رفضوا الطعام احتجاجا على الجوع الذي يضرب جنوب العالم، رغم خصوبة الأراضي وكثرة الأنهار، فقط لو توقفت النزاعات!

هكذا نتحايل ونلتفّ حول حقيقة الكارثة الفعلية: فالكتابة تمنحنا فرصة لإعادة ترتيب الأشياء، ابتداءً بأرواحنا التي يتقاذفها الحزن والقلق على مما زالوا هناك، محاصرين بين مخالب هذه الحرب.

عندما كنت أكتب كانت هناك أيضاً كتابات طازجة، تَبرُز هنا وهناك، مُوثّقة لأهوال الحرب. مَنَحَت الحرب الجميع القدرة على التعبير. فالحروب السابقة لم تحظ بالكثير ممن يتحدثون عنها بكثافة ودقة كما حظيت هذه الحرب. فالحروب السابقة، رغم قسوتها وطول أزمانها، حَظِيَت بأصواتٍ قليلة ومنخفضة للغاية.

أكاد أقول لزملائ ي/زميلاتي الكتاب والمعلقين على صفحات التواصل الاجتماعي بتلك الكتابات الباذخة عن فظائع الحرب: أنتم لا تكتبون عن الحرب الحالية فقط، بل تكتبون عن حروب قديمة أيضا، لم تحظ من قبل بزخم الكتابة.

إذا كانت الحرب تقويضاً للسلام بكل أنواعه، فالكتابة حرب ضد الحرب، الكتابة حرب من أجل البقاء والصمود، وإبقاء الدماء المُهدَرة دافئة تُثرثر في أذن حَمَلة السلاح، عما جدوى مجانية القتل هذا!؟

كلما كتبنا أكثر أبقينا الذاكرة متّقدة بالمشاهد، كلما عبرنا عمّا يحدث بدمنا، بهذا الحبر الحي ا لأحمر، ربما أورث هذا حكمة ما في المستقبل القريب، لنشكل موقفاً موحداً ضدّ الحرب /الحروب.

أعتقد هذا ما تعنيه الكتابة بالنسبة لي منذ أن بدأت أزاوج بين الكلمات والأحداث الدامية. لا أنسى فضل الكتابة، هي زوّدتني بنوع من المرونة لامتصاص المأساة، والتعايش معها حتى أستطيع مقابلة من هم حولي بابتسامة مُشرقة.

أكتب أعنف المشاهد، وأحياناً أنهار باكية أثناء ذلك، مما يعني أنني أعترف بالوقائع التي حدثت وتحدث الآن.

للحرب قوة مُدمّرة، ربما تكون فرصة النجاة الوحيدة هي قبول حدوثها، والاعتراف بأننا عاجزون عن تفادي كل ما ينتج عنها، ليبقى ما نكتبه ندبة بارزة في الذاكرة تحكي كل شيء.

نقلا عن penopp.org

كلمات متمردة

بانتظارك

سارة عبدالمنعم *

○ بانتظارك!

يتلهّفها كمدينته الموحشة دونها، يترقّب أجراس خلخال نبضٍ يدقّ طبول الفرح، تُبشّر الكون بموعد حضورها.

صوت أثيرها الناعس أخفى صدق تمنيها لجواره.

اضطراب صمتها همس به حلمٌ، يدعوها فيه إلى موعد لقاء.

ابتسمت لجنون توهُّم يشاركها فيه الحضور، حين ضنّت به شوارع الحقيقة.

أيقظها ذات الدفء الذي تُشرق به أفراحها، وهدهد ترنيمة شوقه أمنياتها.

بددت ضحكاته كل حزن، نامت ليلاتها تستغفره، وأدمعها تستجدي صبحًا لا ليل فيه.

أنا ذاهب إلى تلك الشوارع، أتنفسك فيها، أُصافح كل الوجوه كأنهم أنتِ.

كان هذا صدق عاشق، غازل أحاسيس جنون يعرف جيدًا ملامح العاشقين، ويتعجب من أفعال عشقهم.

يا سيدي، أنا معك، في كل الدروب، بكل خطوةٍ جواري، فلا تقلق، لن يُصيبني إعياء، فطُرقك حلمٌ يقظةٍ وأمنيةٌ حقيقة.

صوت فرحه أطلق أنشودةً من مزمار الحنين، تمنّيتُ حقًا لو كنتِ بانتظاري.

ليتك تدعيني لأمل حضور، أشكر عليه مدينة مثلك، تستقبلني أفراحها.

تنهدت، فكشفت مراوغته عمّا أجادت عليه التكتُّم.

تبسّمت ليقين أن حلمها صادف حلمه.

أعلنت بصوت جنونها:

«آتية إليك، أحملك شوقًا، تؤجّج نيرانه اشتعالًا أكثر، ولن يخبو.»

كان لقاءً بلا ميعاد.

تنحّت عنه الحروف كي لا تنشغل بورقة، تمنعها من التلصّص والتلذّذ بمشاركة الشعور في تلك اللحظة... بلحظة الكتابة.

* كاتبة روائية.

الطيب صالح.. اكتشاف الذات و الانفتاح على الآخر

مجذوب عيدروس

(أه أي وطن رائع يمكن أن يكون هذا الوطن ، لو صدق العزم وطابت النفوس وقل الكلام وزاد العمل)
الطيب صالح

○ في حياة كل كاتب تلعب سنوات الطفولة و الصبا دورا مؤثرا في تشكيل وعيه بالذات, و للإنفتاح علي الآخر.

في الولاية الشمالية بين كرمكول و الدبة كانت سنوات الطفولة - الخلوة و حفظ القرآن الكريم حتي سورة يس- و المدرسة الأولية في الدبة التي جاءها و هو في الثامنة من عمره , و تتجلي في تلك المرحلة مساهمة الأسرة الصغيرة - الوالدة و الوالد- و التي يشير إليها الطيب صالح بأنها تحفظ قصائد المديح و الدوبيت - و بيئة القرية الحافلة بالتنوع العرقي- فالمنطقة تقع في الوسط بين الشايقية و الدناقلة , وعليها تأثير من ثقافة هاتين المجموعتين (المجموعة الجعلية و المجموعة النوبية) يضاف إلي ذلك روافد تعرفها المنطقة من هجرات من غرب السودان :- الهواوير والكبابيش ,الأمر الذي يستفيد منه الطيب صالح في روايته (عرس الزين)

يعود الطيب صالح ليكتب في ١٩٨٨/٩/٢١ من مطار الخرطوم (لا أدري لماذا أنا حزين الأن في هذا المكان ,لقد وقفت علي قبر إنسان عزيز ,أعز إنسان عندي و انقطع أهم خيط كان يربطني إلي هذه الديار ,الحزن يعلو و يخبو و يمتد عبر زمن طويل و يأتي علي أشكال عدة ,و يهجم عليك من حيث لا تحتسب ,لقد صبرت حيث كان يحتم علي ان أبكي ,و بكيت حيث كان يجمل بي الصبر ,لذلك يدهمني الحزن الأن).

الطيب صالح تعلم من بورتسودان ومن إنفتاحه علي الآخر بشقيه :المؤتلف و المختلف.أن ينظر إلي السودان كله نظرة فيها من الشمول و العدل الكثير (لم يكن هؤلاء القوم «يبرحون هذه الديار المترامية الأطراف ,كانوا قانعين بما قسم الله لهم فيها ,و هو كثير ,يزرعون النخل في ديار المحس و»السكوت» و يزرعون الحنطة و الشعير في ديار البديرية و الشايقية و الركابية ,و يزرعون الموز في كسلا و البرتقال و الجوافة في شندي و الذرة في أرض البطانة و القطن في أرض الجزيرة و يجنون الصمغ العربي من الهشاب في كردفان ,يصيدون البقر الوحشي في جبل مرة و الظباء عند تخوم بحر الغزال ,يأكلون سمك النيل الأبيض و البحر الأحمر ,يخرجون الذهب من مكامنه في حلايب و في جبال شنقول ,ثم يتأمل الطيب في وجوه المغادرين في المطار (هذه المرأة الوسيمة من عرب البطاحين دون شك ,و هذه الشلوخ الأفقية علي الخدود الحنطية لابد أنها شايقية من نوري أو تنقاسي و هذا الرجل الأخضر سواده زنجي و سمته عربي ,و هذه المرأة لونها مثل الذهب ,بجاوية لابد من القوم الذين إمتطي المتنبي ناقة من نوقهم حيث خرج هاربا من مصر .

ألا كل ماشية الخيزلى ** فدى كل ماشية الهيذبى

وكل نجاة بجاوية ** خئوف وما بي حسن المشى

ثم يتأمل الطيب في لوحات وضعت في صالة المطار بها رجال من الشرق يعرضون بالسيوف و فتيات ملثمات .و لكن يسخر الطيب علي عدم الإهتمام بهذه الصور التي كأنها تطل علينا من وراء القرون .

(اه أي وطن رائع يمكن أن يكون هذا الوطن ,لو صدق العزم و طابت النفوس و قل الكلام و زاد العمل) .

إعلان يحتك باللغة الإنجليزية و اللغة العربية أن تجئ إلي اركويت ,ماذا في أركويت ؟و كيف تصل إلي اركويت .

الحبال التي ربطت هذه البلاد بالعالم شرقا و غربا ,شمالا و جنوبا تقطعت حبلا بعد حبل ,وقفت سفن النيل و قطارات السكة حديد و الطائرات إلا القليل .

يقول الأستاذ أحمد محمود (كان لابد من الإنتقال من الدبة بحكم واقع الحال الذي يفرضه التعليم ,و لهذا ينتقل الطيب صالح منها إلي بورتسودان من أجل إكمال المرحلة الوسطي « كتابات سودانية « ويؤكد طلحة جبريل أن الطيب صالح تحاشى الحديث عن ذكرياته في بورتسودان . ولكن كثيرا من الشواهد سواء في كتابات الطيب صالح الابداعية أو سيرته الذاتية تعكس تلك الثقافة والمعرفة التي تربطه بالآخر ، وهي التي ستعينه فيما بعد في مرحلة امدرمان والخرطوم ورفاعة وبخت الرضا ثم لندن ، في فهم واستيعاب الآخر .

في بورتسودان - المدرسة تعرف على بيئة جديدة غير بيئة الشمالية - هي بيئة الشرق - تحمل سمات الحداثة وملامح من حضارات أخرى - أبناء السودان من بيئات أخرى معه في فصول الدراسة - هم آخر لكنه آخر قريب منك - مشابه لك - ثمة فروق قليلة هنا وهناك - لهجات أخرى غير لهجة الشمالية - هناك آخر مختلف : حضارمة - هنود - مصريين - انجليز - وجنسيات أخرى تجئ عبر البواخر التي ترسو في ميناء بورتسودان في تقديري هي المحطة الأولى التي تدرب فيها الطيب صالح على التجاوب والاندماج في بيئة جديدة غير تلك التي الفها في القرية - وفي الدبة -.

هي واحدة من المناطق التي لم تقرأها الناس جيدا أن المنهج التعليمي كان مساعدا على التعرف على البيئات المختلفة - ثم أن وسائل النقل والمواصلات : (القطارات - سفن النيل - اللواري - الدواب) وهي التي ترد كثيرا في روايات الطيب صالح - هي من وسائل المعرفة والتواصل الثقافي -

ليس بالضرورة أن يتحدث الطيب في سيرته الذاتية عن التفاصيل . فالطيب كما أبان طلحة جبريل كان يرفض الحديث عن سيرته الذاتية ، ويعتبر أن أعماله الابداعية وكتاباته الأخرى هي التي تتولى تقديمه الى الناس .

حينما كتب الطيب في عرس الزين عن احتفاء معسكرات القرية المختلفة بحدث العرس كان هنا يشير الى جزء من فلسفة الطيب في الحياة بقبوله للتنوع الثقافي ، والتعدد العرقي ، فالطيب حتى في فهمه لعروبة السودان كان مختلفا . كان واعيا بهذه الجذور النوبية الحضارية ، وبهذه المجموعات الزنجية ، وأن القوم هنا قد تعايشوا على مدى قرون طويلة أنتجت هذا السودان ..

تحسر الطيب صالح لأن سياسي فجر الاستقلال قد أهملوا الدعوة إلي تسميته بإسم سنار و هي عند الطيب أجدر من التسمية الحالية - و ذكر مناقب سنار التي كان لها رواق في الأزهر الشريف - و في أراضي الحجاز المقدسة .

كان الطيب صالح يرنو من بورتسودان إلي الشاطئ الآخر الجزيرة العربية و إلي ما وراء ذلك من بلاد تناولها فيما بعد في كتاباته التي جمعت في المختارات (للمدن تفرد و حديث) و خص بها بعض مدن الشرق و الغرب في كتابين منفصلين و كان يرنو أيضا و هو يسرح ببصره مع مجري النيل شمالا إلي مصر و إلي ما وراءها.

لم يكتب الطيب مباشرة عن بورتسودان و لكنها تغلغلت في صميم بحثه عن الذات و إكتشافها - و تغلغلت في صميم ما عاشه و عاناه في الإنفتاح علي الآخر . أنظر ما كتبه التجاني في وصف حنين أحد أبناء دنقلا في العاصمة و إحساسه بالغربة - و هل الإحساس بالغربة أمر طبيعي يلازم المرء و هو في تلك السن الباكرة - إشارة إلي ان الطيب خرج من الطفولة في القرية إلي بداية سنوات النضج في بورتسودان .

كثير من الأسس التي قامت عليها أعمال الطيب هي مزيج من ثقافة البحر و ثقافة النهر النيل - خروج بندر شاه من الماء - هو مزيج من أساطير البحر المخلوقات التي تخرج من البحر و تحويل هذه الأسطورة المرتبطة بعرائس البحر إلي خروج الغريب الوافد - خلافا للنيل الذي يسير في مجراه شمالا - و خروج الرجل المكسو بالبياض هنا هو أقرب للبحر منه إلي النيل - إلا أن الفنان في الطيب صالح قد عني لا بحرفية الصورة ,و لكن بالمادة الخام و المكونات التي نقلت بندر شاه من من بيئة بحرية إلي قرية نيلية .

لا تنسي أن في جيل الطيب صالح في صباه قام قاضي بورتسودان الدرديري محمد عثمان بجلد بحارة إنجليزي - هذا و غيرها من الوقائع التي جعلت الطيب يتحدث عن أن الإنجليز سلكوا تجاه السودانيين سياسة مختلفة - رغم إقراره أن الإستعمار هو الإستعمار .

نستطيع القول أن تأثير بورتسودان غيرالمرئي تماما لمن لا يقراء الطيب صالح قراءة متعمقة مستقصية يكمن في ثنايا مشروعه الإبداعي متغلغلا في قدرته علي إكتشاف الذات , و في هضمه و إستعابه لثقافات الأخرين .

قصيدة جديدة

لزوم ما يلزم

محمد نجيب محمد علي

○ إهداء: الى نجيب سرور وأنا ...

أمشي ولا أمشي
كل الشوارع شائكة
كل الخطى تشكو ... وكل ظلالنا متشابكة
هذي مواعيد الصباح أم المساء ؟
هذي مواعيد الغناء أم البكاء ؟
إني أرى وجهي ووجهي لايراني
شيء يعاركني ويصدح بالمعاني
شيء تدثرني وزملني ومزقني
بأسرار الهيام
ورأيت فيما لايرى الصاحي
طاؤوسا تمثل بالحمام
رأيت ديكا أبيض اللون على
الشرفة يهرج وحده
ويغيب فى أفق الظلام
رأيت فيلا ثعلبا قردا يناطح فى غراب
عشبة سوداء تنمو
بين أشجار الكلام
رأيت يا سبحان رب الكون
أنثى دون ثديين
وتحلب صدرها لبنا وتسقي طفلها عسلا شهيا ..
رأيت دنيا من عجائب ليس تحصى
من عجائب لم تصادفني ..
وما كنت نبيا
أنا شاعر أهزي بما يطفو على روحي
ويجعلني شقيا
أنا عاشق لا أرتوي يوما
ولا يوما عثرت أنا علي
أمشي ولا أمشي
أسابق خطوتي ويتوه ظلي
بين آلاف الخطى ..
وأرى الشوارع وهي قادمة إلي
أني نهاية ما اشتهيت
بداية ما انتهيت
شيء تناثر فى فضاء الليل
يبحث عن ضياء
هذي بلاد ..
سربلتها الريح
لا غيم يظللها ...
ولا نجم يحلق في السماء .
من أنت ؟
تسألني الحبيبة ..
ثم تهرب حين تعرفني
أنا الصفر الهلامي ..
القصيدة ..حيث لا ماء ولا صحراء
أنا الجوع .. التسول ..لايدي طالت
ولا لون يغازلني ..
ولا أحد سواي ..
يمدني إبريق صلواتي
ولا صوت ولا أصداء
هذي السواحل غادرت شطآنها
والموج أجفل بحره
والبحر
أين البحر ؟
تلك سفينة الشهداء ...
وقبطان السفينة تائهون بلا عيون
يزرعون الوهم فينا والنداء
أمشي على إبر الجحيم
أخوض حتى آخر الأنفاس
أغرق لا رؤى تأتي لتنقذني ولا أضواء
أواه يا صحبي
كوابيس تحاصرنا
رماد الظلمة الهوجاء
.....
فى عام الحروب الماضية والحالية والقادمة ..

حكاية حب.. أصابع فاطمة!!

بقلم: عبدالغني كرم الله

○ هل رأيتم الحب كله، في أصابع فتاة سارحة، تفرك يديها؟!..

قطفت، تلكم الأصابع النحيلة، وهي تتكئ على مائدة خشبية قديمة، زهور العشق، من ضلوع السماء، ومن خضرة القلوب الهائمة، كي تفرك عطره بكفها، وتلبس رحيق الحب خاتما صغيرا في يدها.

أصابع، كأنها تعجن النسيم، كي تخلق منه، صنم شاعري، لحبيبها، بللت النسيم بكريات عرق فاتنة، تعلقت على عنقها، لآلئ سائله، أنجبتها أشعة شمس واهنة، تسلل من طاقة صغيرة، أشعة هي الأخرى، تسيل على عنقها، ونحرها، ضوء وعرق، خلقا غروبا صغيرا، يشع من صفحة عنقها، ، أستل دفئه، نهر ماس لين من صفحة العنق، قطرات عرق نقية، تكاثرت على صفحة العنق، والنحر، وسالت بين نهديها، تسربت لبركة سرتها، واندلقت سيول صغيرة أسفل، عجنت بها طين النسيم، وصنعت منه صباح نادرا، يتلألأ كله، في وجه الحبيب، وجبينه، وتنتشر هالته الرزينة في بطون الحكايات، وقبة السماء التي تدثر القرية بحنو عظيم، وتمد النجوم كف ضوئها الناعم، كي ترى صنم الحبيب، في حنايا قلبها، واقفا في المائدة الخشبية، طوال الليل، ديدبان لأي حلم مزعج، أو حتى سعيد، قد يؤرق نومها.

سارحة، في آفاق بعيدة، بحناياها، مهما أسرجت خيول الضوء، أو براق الروح، لن تدرك بخور غبارها، تصغي لأمير صغير، قلب مطوي تحت ضلوعها، لا أدري كيف تسمع الأصابع تلكم الأغنية التي ترتل بين ضلوعها، فترقص على موسيقاها، فوق فوطة صفراء، ذات زهور حمراء، على الطربيزة، وهي تجلس على كرسي خيزران بسيط، وقد غرقت في حلم ملموس، حي، ينبع من قلبها، ويأوي أقاصي المجرات، في صدره الصغير.

تلك الاستحالة الجميلة، جرت فوق تلك الفوطة الصفراء، أصابع مخمورة، ضغطت أصبعها الصغير، ببطء شاعري، بيدها اليسرى، كي تحس بأنها لا تحلم بفردوس، هناك، بل هنا، وهناك، في آن، حلم حي، أفرد جناحيه في كل ما ترى، وتسمع، وتحس!!..

ساكنة، ترعى خراف قلبها، في عشب غزير، الفوطة الصفراء نمت زهورها الحمراء، ومست بتلاتها خد فاطمة، وتلوت، كأنثى بخور، من شهيقها العذب، صارت غابة من ورد، فاح عطرها في نبض القبور القديمة، للرسل والشعراء والمجرمين، وفي خدود أطفال لم تولد أمهاتهم بعد..

لا تخاف الفراشات والعصافير من كتف فاطمة، ومن الأغصان، ترك وتحلق وتنام فوقه، وقت ما تريد، كتفها ملئ بالحلم، وأعشاش الطيور، وبيض الرخ، وأجنة القصائد، ستجد ألف عش للغيم، وراحة البال، والسكينة في كتف فاطمة، وفي قلبها..

لو ركعت لطفل باك، أو سجدت لبرعم عطش، تنزلق تلكم الأحلام، وتتهاوى الكنوز من كتفها، وتملأ الأرض خضرة، وجمالا، وشعرا، حتى النجوم، تمد يديها المضيئة، وتقطف بريقها من كنوز فاطمة، التي اندلقت من كتفها الأسمر النبيل..

فرك أصابع بسيطة، حلق بي بعيدا، هل أنا شاعر؟ لا أظن، لم أكتب سوى قصيدة في مراهقتي، ولا فيلسوف، بغته، شعرت بأني مقسرا على التفكير في تلك الومضة، التي شعت فيني، حين رأيت أصابع تفرك، فعل وحركة بسيطة، والتي تفاقمت لمجرات لا تحاط، وبئر لا تسبر، تعجبت من تلك الومضة، أضاءت ألف تجربة حب مررت به، سوى في حياتي هده، أم حيوات قديمة، إضاءتها الومضة، ورأيتها رأي العين، أقسم بيقين، جازم، بأني كنت قبل أن أولد أعيش، واعشق، رأيت ذلك، من ومضة خرجت من أيدي فتاة بسيطة تفرك يديها، وأنارت نهر الزمان، ما كنته، وما سأكونه، برق سحر قوي، أصابتني بداء نبيل، جعلتني في علاقة مع كل شئ، النسيم، لهيب الواقع، الأمس البعيد، توتر القلب، وهاد الوادي، الزفير، بني آدم في كل اصقاع الأرض، وبصورة موجزة، جعلتني أحس بالكون بأسره، وبأثره، كأنامل تداعب خد ناعم، لفتاة عاشقة...

الحق، أي حركة لها، هي حب، أتعجب من جسم تحيط به هالة حب، يمشي ويركع ويجلس بحب، حتى وهي تسير مع بقرة صغيرة، حامل بعجل ينفخ بطنها، تحس بحبها يغمر البقرة، وعجلها، وضربات قلبها، تثقل الوادي الذي تسير فيه، بغيوم حب عظيم، تحسه الأعشاب فتخضر، والديدان فترقص..

كانت مع بقرتها، قادمة من قرية بعيدة، (أجي كان كدة تعبانه يابت امي، أها بقعد انتظرك ترتاحي، الحمل بعمل كده أصلو)، كانت البقرة الحمراء، المبرقعة بالأبيض، قد توقفت عند شجرة، وجلست فاطمة بعيدة عنها على حجر، وسرحت في بطن البقرة، بل دخلت بطن البقرة، ومسحت على شعر العجل النائم برقة متناهية، قلب فاطمة كالضوء، يدخل الأشياء دون أن يؤديها، كما يدخل الحب القلب، والضوء الزجاج، والبخور النسيم، شعرت بالبقرة الحامل، وبعجلها المنتظر، فاطمة لم تلد، ولكنها ولدتنا جميعا، حتى الفراشات، وراحة البال، والحلم البهيج، ولدته فاطمة، رحمها فردوس، لا يخطر على قلب رسول، أو شاعر...

(خلاص قمتي، كان كدي أرح قبل الواضة تسخن)، نهضت البقرة، بعد أن رفعت أرجلها الأمامية، ثم الخلفية بتأني، كأنها هي الأخرى فاطمة، غريزة الامومة فاطمة، رفعت بطنها بمهمل، ومضت مع فاطمة في طريق متعرج، بين حقول خضراء، وأخرى يابسة، كانت البقرة تمشي امام فاطمة، أم وطفل، توقفت البقرة عند جدول وأنحت راسها كي تشرب، جلست فاطمة على حافة الجدول وشربت، نظرت البقرة لفاطمة بعيون حزينة، ثم واصلت الشراب، انتظرت فاطمة البقرة كي تشرب ويشرب جنينها، وذيلها.. ..

نظرت البقرة لفاطمة بصفاء، عيونها الوسعية، شربت من روح فاطمة، ونزلت من الجدول ومضت، أخوات، منهم من تسير على أربع، ومنهم من تسير على قدمين، وذيل جميل ثمل، ترقص به رياح الفرح، يمنى ويسرى..

(سمح بمشي ليك براحة)، وابطأت من حركتها، فالبقرة فترت، سرحت فاطمة، وبعد حين وجدت البقرة خلفها بعيدة عنها، صاحت لغيمة فوقها (أموت ليك غطيها معاي) وببساطة طفل، مدت الغيمة ظلها المبارك، وأدخلت البقرة وديلها، وعجلها، في حجرها الأسمر...

تقدمت البقرة، سباق بين بقرة وأمها، بين أم وشاعرة حلوب، بين كائنين، لهم قلب ينبض بين الضلوع، أحدهما حامل بعجلة، واخرى حامل بمسيح أسمر، في كل جوارحها، طعنت شوكة قدم فاطمة، جلست تتألم في رمل ساخن، ضغطت باطن قدمها، نظرت البقرة خلفها، عادت تجري لفاطمة، أم هي الأخرى، بطنها يهتز كسعن، وقفت تلحس قدم فاطمة، بلسان طويل أحمر، بحجم بطن قدم آمنة البيضاء، شفاء وبركة، في ثوان، شعرت فاطمة بأن الألم رسول، يجعلها تحس بأهمية كل جزء فينا، باطن قدمها شاعر هو الأخر، تئن قصائده، وتحزن، ويغشى وزنها الظهر، والظفر، والفؤاد..

كما تلحس عجلتها عند الولادة، لحست بطن قدمها، وفي عينيها، بريق أم، أبتسمت لها فاطمة، وهي تجلس القرفصاء، وتمسح وربتت على أرنبه أنفها، وهزت قرينها، معا، وقامت متكلة عليها، واصلاتا المشي، أم وأم، وذيل طويل، يضرب النسيم مرحا، يسرى ويمنى، ونسيم رخو، ككف فاطمة، يلعب بثوبها ، يمنى ويسرى.

اللغة العاجزة

عزالدين ميرغني

(تكلم حتى أراك)

أرسطو

○ معروف في علم اللغات بأن اللغة هي دال ومدلول حسب دراسات العالم السويسري (دو سوسير) . وعلماء العرب قد ذكروا ذلك أمثال عبد القاهر الجرجاني , وابن خلدون في مقدمته والتي يقول فيها : (أعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده , وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام , فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان , وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم) . وإذا افتقدت اللغة إحدى عناصرها فإنها تصبح عاجزة عن التوصيل للآخر وهو مهمتها الأولى لأن الإنسان لا يتكلم مع نفسه , وإنما مع الآخر . وقد أشار إليها ابن خلدون بعبارة (القصد بإفادة الكلام).

إن اللغة إذا فقدت ملكة التواصل مع الآخر فإنها تبقى في محلها , وقد تموت وتندثر كما حصل ويحصل للكثير من اللغات في العالم . وهو ما يطلق عليه ابن خلدون (فساد الملكة اللسانية) . وهنالك من الأسباب العامة والخاصة لهذا الفساد والعجز اللغوي , والأسباب العامة هي اجتماعية وسياسية , أما الأسباب الفردية الخاصة , وهي من العوامل الحديثة والمستجدة , هو اللا تواصل بين الأفراد , والصمت , وعدم تجدد القاموس والحصيلة اللغوية المكتسبة عند الفرد العادي . ويقول العلماء بأن الذاكرة اللسانية قد تضمحل بعدم الاستعمال لمدة طويلة . واتضح أن السجناء الذين يعزلون في زنزانات منفردة قد يصيبهم الجنون بعد مدة طويلة من هذا العزل واللا تواصل اللغوي . فالإنسان حيوان ناطق , يتعلم باللغة المنطوقة , وهي التي تنمي ذكاءه , فالإنسان الأخرس هو الأقل ذكاء من غيره , لأنه يفتقد ملكة التواصل باللغة المنطوقة , ويكتفي بلغة الإيماء والإشارة . ويقول العلماء أن الإنسان هو تلميذ اللغة الدائم والذي يطورها ويتطور بها . ويكتسب بها المعرفة المتجددة أبدا . وسميت اللغة الأولى عند الإنسان بلغة الأم , لأنها معلمته الأولى ولأنه يبقى بقربها زمنا طويلا.

وفي الدراسات التربوية واللسانية الحديثة , ثبت بأن ابتعاد الأم لفترات زمنية طويلة قد يؤثر على لغة الطفل المكتسبة في البدايات الأولى فهي التي تعلمه لغة التواصل اليومي في مراحلها المهمة . وقد تلاحظ ذلك عند الطفل الذي تعمل والدته لفترات طويلة خارج المنزل . وقد تتركه لمدارس ما قبل التعليم المدرسي أو لإحدى المربيات , والتي قد لا تتحمس للحديث معه وتعليمه أبجديات اللغة والكلام . فالطفل يتعلم اللغة بمستوي الذي يتعامل معه يوميا في طريقة النطق ومخارج الحروف , وتركيب الجملة وقوتها في الدلالة.

لقد لاحظ بعض الباحثين , أن لغة التواصل عند أبناء المغتربين , قد ضعفت خاصة في المجتمعات الخليجية , والتي يقل فيها التواصل الاجتماعي , عن بلدنا السودان .

فالطفل المقيم يتعلم اللغة من عدة مصادر ويأخذ بأحسنها بحسب عقله الصافي ذو القابلية السريعة للتعلم وتنفيذ ما تعلمه . فهنا بحسب التنوع الأسري فيمكن أن يتعلم من الكثيرين . وفي الغربة قد يكون التعلم من الأم , والتي قد لا تكون بالوعي الذي تدرك فيه حاجيات طفلها اللغوية . وفي هذا يقول ابن خلدون في مقدمته الشهيرة .... □ ثم استمر ذلك الفساد بملابسة العجم ومخالطتهم حتى تأدى الفساد إلي موضوعات الألفاظ , فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضعه عندهم ميلا مع هجنة المتعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربيةO . ولعل الباحثين الجدد قد لاحظوا ذلك في وجود العاملات والمربيات الأجنبيات في المنازل خاصة في دول الخليج . ثم إدمان مشاهدة المسلسلات الأجنبية . وطغيان ثقافة الصورة , المتواجدة في كل الوسائل الحديثة (التلفاز والنت وغيرهما) . وتلاحظ ضعف الحصيلة اللغوية عند الأطفال , وذلك لقلة سماعه للغة المنطوقة الحية . مع ضعف المناهج الدراسية , وعدم الرغبة في تخطي المقررات الدراسية في القراءات خارجها , كما كانت تفعل الأجيال الماضية.

لقد كانت المصادر اللغوية في مصادرها الشفهية المنطوقة , غنية ومتعددة متمثلة في سماع الأحاجي والحكايات الشعبية وأغاني الهدهدة من الجدات ومن الجلوس إلي الكبار وسماع حكمهم وأمثالهم , وهذا السماع هو الذي يوقظ ملكة الخيال عند الطفل , وهو الذي يغذي حصيلته اللغوية وينميها . ثم البقاء لفترات طويلة مع الأم , ثم الدراسة ما قبل المدرسة في الخلاوي القرآنية , والتي تتمثل في حفظ القرآن الكريم , وهذا الحفظ المبكر ساعد الكثيرين في رسوخ اللغة الفصحى في أذهانهم وبقيت دائمة وخالدة.

كل هذه العوامل جعلت لغة التواصل والكتابة أقوى عند الأجيال السابقة من الأجيال الحالية . وجعلت اللغة أكثر تنوعا وتعددا في صياغتها وتعبيراتها المنطوقة والمكتوبة . خاصة وأن بلادنا مع كل البلاد العربية تعاني من مشكلة الازدواج اللغوي , والذي يجعل اللغة منفصمة ومنقسمة بين لغة التواصل اليومي (اللغة العامية) , واللغة المكتوبة (اللغة الفصحى المكتوبة) . وهذا الازدواج هو الذي عانت وتعاني منه الكتابة , في شتى دروبها ونواحيها , بحيث عندما يمسك الكاتب بالقلم , قد تصبح الفصحى عنده غريبة وأشبه باللغة الأجنبية . إن لم تكن بالنسبة للكاتب , وإنما قد تكون كذلك بالنسبة للقارئ العادي . mock reader .

ويقول علماء اللغة بأن الانفصام القوي بين لغة الكلام والتواصل اليومي , وبين لغة الكتب , يضعف الجانبين . وخاصة لغة العامة والتي ستصبح محلك سر , وقد تحاول أن تجدد نفسها من مفردات أجنبية غير عربية.

من الأسباب التي أدت إلي ثراء وغنى وفصاحة العامية السودانية , هو تعدد مصادرها التي غذتها وأخذت منها قديما وحديثا , وقد تأثرت بالبيئات التي عاشت فيها , إن كانت زراعية مستقرة , أو رعوية مرتحلة , وهي تتأثر بالبيئة الطبيعية الجغرافية , ونلاحظ بأن عامية الشمال أخذت من الحضارات القديمة المصطلحات الزراعية خاصة مصطلحات الساقية وأدوات الزراعة , وأخذت في الغرب مصطلحات الأرض والمرعى وأسماء النباتات ومصطلحات النجوم والفلك ,وأدب المسادير والدوبيت وحداء الإبل . وفي المدن تلقحت العامية بالألفاظ الأجنبية , خاصة لغات المستعمر ومصطلحات اللبس والأكل والثقافة العامة .(لغة الأفندية).

لقد بدأت اللغة العامية تفتقد لهذه المصادر التي ذكرناها , واللغة عندما تفقد المصادر التي تغذيها , فإن الجفاف يصيبها , لأن اللغة هي كإئن حي يتغذى وينمو ويتطور . فقد قل التواصل بين الأفراد , ثم انكمشت لغة التواصل اليومي بحميميتها وثراء مفرداتها . بل أن الصمت الذي يعم مجتمعاتنا , هو الذي يضر اللغة أكثر من غيرها . فالطفل صار يستمع ويشاهد أكثر من ما يتكلم , وأكثر ما يدرب لغته على التواصل مع الآخر بل يمكن أن يتفاهم باللهجة السورية أو المصرية أكثر من اللهجة الريفية السودانية.

وحتى الآن فإن الكثير من كتابات الروائي إبراهيم اسحق غير مفهومة للبعض , رغم أنها من صميم اللهجة العامية السودانية الفصحى . وقد تضررت حتى اللغة العادية عند الشباب من هذا الصمت الاجتماعي , فظهر أدب الرسائل في الوسائل الإلكترونية المختلفة (الهاتف السيار , والواتساب , والفيسبوك , والبريد الإلكتروني) , وهي رسائل ركيكة ذات لغة عاجزة تعبيريا ونحويا . وظهرت ألفاظ في غاية الركاكة , لا علاقة لها بين الدال والمدلول (فردة , وكوتش , وماسورة , كسير تلج , فلان خارج الشبكة) . بل أن اللغة الملفوظة صارت عاجزة وشحيحة فحلت محلها لغة الإشارة , ولغة الطقطقة , والهمهمة , والتنتنة , والإيماء بالرأس نفيا أو إثباتا , وهي لغة لا يستخدمها الإنسان الأوربي أبدا . وهذا الصمت , جعل المجتمع يفتقد اللغة الحميمة في التحية والوداع والتعبير عن الفقد والاشتياق.

لقد بدأنا ندفع الثمن بهذا الصمت والعجز اللغوي , فقد أصبح البعض منا لا يتحمل الإنسان كثير الكلام في المنزل , خاصة من كبار السن , والذين لم يتعودوا على هذا الصمت واللا كلام . لقد أصبحنا أكثر ابتعادا من استخدام اللغة المكتوبة , فنحن لا نقرأ مدة الصلاحية في السلع , ولا نتعامل بالأسماء المكتوبة في الشوارع , ولا في البنايات الضخمة , ولا نتعامل بالبريد العادي , وحتى صرنا لا نجيد تسمية محلاتنا فكلها بلغات غريبة ومعربة بطريقة ركيكة . والبعض منا يعجز تماما , أن يستخدم لغة الاعتذار أو الشكر أو الاستئذان , وهي من الأبجديات التي يتعلمها الطفل في الغرب ويستخدمها في المنزل قبل الخارج.

إن المشكلة لجد كبيرة وخطيرة , ولا يمكن حلها بين يوم وآخر , وحلولها يكمن في تدخل الدولة أولا وأخيرا وذلك بتغيير المناهج لتكون قوية ومواكبة خاصة في تعليم اللغة الأم , وأن تصدر من القوانين ما يحفظ للغة الأولى هيبتها , فتمنع كتابة استخدام المصطلحات الأجنبية في أسماء الأماكن والشوارع , وأن تمنع استخدام الهواتف في المكاتب وقاعات الدرس والمحاضرات . وبهذا نحافظ على لغتنا من العجز والموت البطيء.

من البلكونة

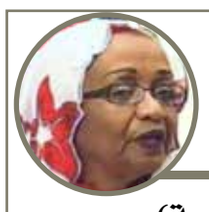

(ناس محبة)

ملكة الفاضل *

○ جزيرة منعزله هاجر إليها من دفعت به الأقدار واستقطبته أجواء الجزيرة وربما اساطيرها ،ثم تفقد الجزيرة هدوئها ومنطقها فتسودها الحروبا وتنتهي الاحداث فيها بتساؤل : كيف يتحقق السلام لتأتي الإجابة سريعا ومختصرة « بالمحبة».

هذا هو كل ما اذكره من اخر رواية كتبتها وبدأت مراجعتها وتصحيحها ثم اندلعت الحرب وضاعت الرواية مع كل محتويات (اللابتوب) الصغير الذي اودعته بعض اشعاري ونثري وروايتين منهما التي اكملتها ثم لم أعد اذكر منها سوى البداية والنهاية ولم تحظى بفرصة الاحتفاظ بها ضمن محتويات البريد الإلكتروني ولا كتبتها في دفاتري كما فعلت مع سابقاتها. وربما كان حظها النجاة من غدر النيران التي سلطتها حرب الخر طوم على شقتنا وشقق جيراننا في العمارة التي شهدت ميلاد العديد من أعمالي الأدبية والاحتفاء بها .

المحبة كلمة لها في قلوب الكثيرين أصداء. وهي ليس بالضرورة محبة العشاق كما خلدتها أمهات قصائد الغزل والرو آيات والقصص الرومانسية فهي مفردة يجتمع فيها الحب والعشق والهوى والغرام... الخ. فالمحب والمحبوب كلاهما يجد جنته عند الارتباط بالاخر .

اما المحبة التي اعنيها فاقرب ما يشير إلى معناها عبارة « ما عنده محبة ما عنده الحبة «.. وهي تعني كما أرى محبة الإنسان لاخيه الإنسان ايا كان وأينما كان.

المتجول بين نشرات الاخبار والتقارير اليومية على شاشات التلفاز في شتى انحاء العالم بصفة عامة وفي شرقنا وقارتنا على وجه الخصوص سيجد نفسه يتساءل: أين ذهبت المحبة؟ وكيف وصل العداء حد الترويع والتجويع؟ في الأفلام والمسلسلات باتت اكثر الشخصيات تحمل مسدسات. مامن شخص يبدو امنا على نفسه بدون سلاح يحمله..

ورب زمان كانت فيه الحيشان الكبيرة تظل أبوابها مفتوحة حتى الصباح واصحابها وضيوفهم ينامون ملء جفونهم ولا حتى (عكاز) تحت العنقريب او السرير. . وفي الحيشان الداخلية كانت الحبوبات (يحجن) الصغار بعيونهم (المنطقة) ويحكين عن ود النمير الذي يحمي فاطمة السمحة من العدو . كان العدو مخلوقا خرافيا هو الغول. الان من يحتاجون الحماية حيارى ممن يخافوا! وحبوبتهم ذاتها لم تسمع ولو في الحجا عن الاخوة الأعداء ولا عن أسلحتهم التي تدمر ما تريد كما تريد... شي دانة وشي قذيفة وشي مدفع وشي مسيرة مطيرة ولو اختبات منها في حرز حريز ستصلك وتصليك.. وفي هذا الزمان لا البيت بيتك ولا الدار دارك ولا الحوش حوشك وود النمير مثل الغول خرافة .

ويبقى الأمل.. سيعود كل شيء كما كان او افضل مما كان. ستعود فاطمتنا سمحتنا ود النمير ليس بالخرافة سيكون حقيقة ماثلة بيننا وسيلة للرجاء والأمل ولزمان ما فيه خوف

وتعود لنا الحيشان والبيوت مفتوحة الأبواب نهارا وليلا والخوف سيخلي مكانه. لا وقت ولا مجال للخوف والغضب.

لا مجال لحزن باق وعداء لا يزول. جرعات الكر اهية التي فعلت بنا جميعا ما فعلت، علينا إزالة مراراتها

بترياق المحبة . وان نظل على يقين بأنه مثلما كان هناك ما منعنا الأمان، سيكون هناك ما يمنحنا الامن والامان. سنستوعب جميعا ما حدث وما لم يحدث. سنفكك معا معضلة المركز والهامش ونتفق جميعا أن المهمش الوحيد هو الإنسان ذاته حينما تتكاثر عليه العداوات ، ما كان من صنعه او صنع غيره. وما كان لنا سيعود لنا بالقانون والعدالة واحقاق الحق وليس بالتشفي والانتقام والتجبر والسلاح والمتفجرات ..

مع هذه الحرب الفتنة بدا كل شيء متشرذما بالغ الهشاشة والافق بالغ القتامة واليأس لقن الكثيرين انه ليس ثمة خيار سوى التساقط مثل أوراق الشجر الجافة.

طغت مفردات ممعنة في القسوة والتجني كأننا لم نكن يوما اهلا وجيران وأصدقاء وأحباب او كأننا ما عرفنا المودة والتراحم ولا لمة الجيران في رمضان ولا انس الاماسي ولا تبادل التحايا كلما أصبح صباح جديد .

فجاة لم يعد يسمع سوى صوت السلاح وفحيح الشظايا والمنايا. ترى كيف يكون حال القناص عندما يعرف أن من أرداه قتيلا كان من اقرب الناس إليه؟!. الحرب تحصد أجمل ما فينا عندما تقتل الشباب والنساء والاطفال والكبار والصغار وتنهب أعظم ما فينا عندما تجتاح ذخيرتنا من قيم التسامح والمحبة . الحرب (كتالة) الرؤى تجعل كل شيء يبدو ممعنا في الضبابية والعتمة .لكن سيكون الفرج حيث يكون السلام ويكون السلام حيث تكون المحبة . «ونحنا أصلنا ناس محبة» .

* كاتبة وروائية.

قصيدة جديدة

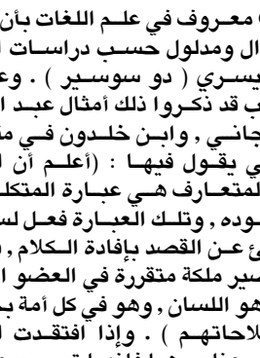

أنا آتٍ إليك

كزال إبراهيم خدر - كردستان العراق

ترجمة: نسرين محمد غلام

كونَكِ صديقَتي
كي أمسحَ دموعَكِ بأطرافِ
أناملي
بطوقٍ من العشبِ الأخضرِ
كجدولٍ أروي زهراتِ خدَّيك
الورديَّينِ
بنسيمِ الصباحِ
أنتِ، يا وردةَ البستانِ،
مليئةٌ بضوءِ القمرِ
وقوسَ قزحٍ وقتَ الربيعِ

انظري إلى الأمامِ
لا تُعيدي النظرَ إلى تساقطِ زهورِ
الماضي
لكيلا تذبلَ براعمُ شجرةِ لبلابِ
قلبِكِ
يا وردةَ نرجسِ الربيعِ
من شباكِ قلبي
أُسكنُ روحَكِ الملائكيةِ
أصنعُ لهمومِكِ مظلَّةً
تحميكِ من زخاتِ المطرِ

و حرارةِ الشمسِ المُحرقةِ
أنتِ يا فتاةَ بلدِ الثلجِ والدمِ
عندَ سكبِ الدماءِ
تمتلئُ عيناكِ بدموعٍ حمراءَ
وعندَ تساقطِ الثلوجِ
خداكِ يفقدانِ لونَهما الوردي
ويرتديانِ لوناً أبيضَ
يا زهرةَ الحبِّ في البستانِ
موتُ الحبيبِ
جعلَ من عينَيكِ غيمةً سوداءَ

تتساقطُ زخاتُ مطرٍ
على ملامحِ وجهِكِ الحزينِ
هذا كانَ ماضيكِ،
لا تفكري فيهِ بأسى
كان زمناً ذكورياً فماتَ
يا ملاكي
لا تقفي أمامَ أبوابِ المحاكمِ
تنتظرينَ العقابَ
انظري إلى المستقبلِ
بعينِ أحبائِكِ الأقرباءِ

يُنشدونَ لكِ اغاني الحبِّ
والطيورُ ترقصُ لكِ بلا مللٍ
على أنغامِ رقصاتِ الأطفالِ
يتبادلون الضحكاتِ مع جمالِكِ
لا تسألي عمّا يُخفيهِ عنكِ
القدرُ
افتراقٌ وعذابٌ
لقاءٌ وأملٌ
هذا هو معنى الحياةِ
قمةُ الحبِّ في حضنِ الحبيبِ

سبل كسب العيش فى السودان

بقلم: زين العابدين الحجاز

○ في منتصف الثلاثينيات الْأستاذ عبد الرحمن علي طه كتب مع اْساتذة آخرين في بخت الرضا كتابا عن الجغرافيا اسمه (سبل كسب العيش في السودان) لكي يتم تدريسه لتلاميذ السنة الرابعة بالمدارس الأولية وموضوعه عبارة عن زيارات حقيقية قام بها نفر من أساتذة معهد بخت الرضا إلى مناطق شملت شمال وجنوب وشرق وغرب البلاد. قام بتلك الرحلات كل من الأساتذة مكي عباس والنور إبراهيم والشيخ مصطفى وعبد العزيز عمر الأمين وعبد الحكيم جميل وأحمد إبراهيم فزع وعبد الرحمن علي طه وعثمان محجوب وسر الختم الخليفة ومستر ومسز جونسون سميث و قد قام بمهمة اختيار المادة وإخراج الكتاب في وضعه النهائي وترجمته وكتابته مرة ثانية إعدادا للطبع كل من مستر قريفث وعبد الرحمن علي طه وأحمد إبراهيم فزع ومحمد مصطفى عبد الواحد.

الأصدقاء والأماكن التي تمت زيارتها :

صديق عبد الرحيم محمد الأمين/ القولد
محمد القرشي الحسن/ ريرة
سليمان محمد عثمان/ الجفيل
محمد ود الفضل / كيلك / بابنوسة
منقو زمبيري / يامبيو
حاج طاهر علي / محمد قول
أحمد محمد صالح / ود سلفاب
إدريس إبراهيم / أم درمان
عبد الحميد إبراهيم / عطبرة / بورتسودان

قصيدة سبل كسب العيش في السودان

المؤلف : عبد الرحمن علي طه

فى القولد التقيت بالصدّيق
أنعم به من فاضل صديق
خرجت أمشى معه للساقية
ويا لها من ذكريات باقية
فكم أكلت معه الكابيدا
وكم سمعت آور أو ألودا
ودعته والأهل والعشيرة
ثم قصدت من هناك ريرة
نزلتها والقرشي مضيفي
وكان ذاك فى أوان الصيف
وجدته يسقي جموع الإبل
من ماء بئر جرّه بالعجل
ومن هناك قمت للجفيل
ذات الهشاب النضر الجميل
وكان سفري وقت الحصاد
فسرت مع رفيقي للبلاد
ومرّ بي فيها سليمان على
مختلف المحصول بالحب إمتلا
ومرّةً بارحت دار أهلي
لكي أزور صاحبى ابن الفضل
ألفيته وأهله قد رحلوا
من كيلك وفى الفضاء نزلوا
فى بقعة تسمى بابنوسة
حيث اتّقوا ذبابة تعيسة
ما زلت فى رحلاتي السعيدة
حتى وصلت ياميبو البعيدة
منطقة غزيرة الأشجار
لما بها من كثرة الأمطار
قدّم لى منقو طعام البفرة
وهو لذيذ كطعام الكسرة
وبعدها استمر بي رحيلي
حتى نزلت في محمد قول
وجدت فيها صاحبي حاج طاهر
وهو فتى بفن الصيد ماهر
ذهبت معه مرّةً للبحر
وذقت ماء لا كماء النهر
رحلت من قول لود سلفاب
لألتقي بسابع الأصحاب
وصلته والقطن فى الحقل نضر
يروى من الخزان لا من المطر
أعجبني من أحمد التفكير
فى كل ما يقوله الخبير
ولست أنسى بلدة أم درمان
وما بها من كثرة السكان
إذا مرّ بي إدريس في المدينة
ويا لها من فرصة ثمينة

صديق عبدالرحيم.

شاهدت أكداساً من البضائع
وزمرا من مشتر وبائع
وآخر الرحلات كانت أتبرة
حيث ركبت من هناك القاطرة
سرت بها فى سفر سعيد
وكان سائقي عبد الحميد
أعجبت من تنفيذه الأوامر
بدقة ليسلم المسافر
كل له في عيشه طريقة
ما كنت عنها أعرف الحقيقة
ولا أشك أن فى بلادي
ما يستحق الدرس باجتهاد
فإبشر إذن يا وطني المفدّى
بالسعي مني كي تنال المجد

كتب مكي أبو قرجة عن هذه القصيدة:

« ظلت حناجر الأطفال الغضة لأكثر من خمسين عاما تردد نشيدا شجيا في كل المدن والقرى والبوادي السودانية بحماس وغبطة وحبور في آخر كل حصة لمادة الجغرافيا في السنة الثالثة بالمدارس الأولية. كان هذا النشيد الذي شدّ نياط القلوب بأوتار لا ترتخي بكل بقاع الوطن من القولد حتى ياميبو ومن محمد قول حتى بابنوسة وفعل في النفوس فعل السحر. ولا يزال يتوهج فينا نحن الكبار بعد مرور عشرات السنين ويبعث حنينا وروحا وطنية متأججة في كل الأجيال. كان هذا النشيد قد ألفه التربوي المؤسس والأديب الشاعر الأستاذ عبد الرحمن علي طه الذي حمل عبء تربية النشء

عبدالرحمن علي طه.

في السودان الحديث هو وكوكبة من المعلمين الأفذاذ».

وصديق هو صديق عبد الرحيم التلميذ محور الزيارة إلى القولد. تعلقت وارتبطت به أفئدة التلاميذ الذين ارتبطوا به من خلال الزيارة وتخرجوا وتفرقت بهم سبل الحياة والعمل. توفي صديق في عام ١٩٩٨ بالولايات المتحدة الأمريكية بعد أن هجر السودان واستقر هناك. وكتب عن ذلك محمد سعيد شلي قائلا : « علمت بحزن عميق وأسف بالغ بنبأ وفاة العم صديق عبد الرحيم صديقنا في القولد الذي أكلنا معه الكابيدة وأسمعنا كلمات طيبة من رطانة أهله.

وصديق عبد الرحيم ذلك المواطن السوداني البسيط دخل عالم الشهرة وسِجل التاريخ بفضل يرجع للأستاذ عبد الرحمن علي طه الذي أسندت إليه مهمة الإشراف على شعبة الجغرافيا والتربية الوطنية خلال عمله في معهد بخت الرضا فعمل مع نخبة من الأساتذة الأجلاء على تأليف كتاب (سبل كسب العيش في السودان).

أستطيع أن أقول بكل فخر و اعتزاز ان الأستاذ عبد الرحمن على طه بقصيدته هذه قد أدخل الجغرافيا من باب الأدب وقد نما الى علمي أن أحد العاملين المغمورين فى معهد بخت الرضا قد صاغ هذه القصيدة فى لحن شجي بسيط ظل يتردد في مسامعنا حتى الآن منذ سنوات طويلة قد خلت.

يبدو أن المستر قريفيث البريطاني مقرر لجنة انشاء معهد لتدريب المعلمين والذى عمل سابقا في الهند قد تأثر بفلسفة غاندي التربوية ذات الطابع الريفي لذلك كانت من توجهات اللجنة إنشاء معهد بمنطقة ريفية فقام قريفيث بالاتصال بمديري المديريات لتسهيل مهمته ولكنه لم يجد الموافقة إلا من مدير مديرية الدويم حيث منحه قطعة أرض شمال الدويم وهو مكان معهد بخت الرضا الحالي وأعانه فى عملية بناء المعهد.

واسم بخت الرضا كان لامرأة تسكن في تلك المنطقة وتقوم بحراسة مخازن الذرة (مطامير العيش) صادفها قريفيث أثناء بحثه لتحديد موقع بناء المعهد لذلك سمي بمعهد بخت الرضا تيمنا بها. في السنة الرابعة بمدرسة الأساس الاولية في حي الركابية بأم درمان درّسونا كتاب (سبل كسب العيش في السودان) الذي حوى معلومات قيمة عن المناطق التي زارها الأساتذة الأجلاء مصحوبة ببعض الرسومات التوضيحية و كنا نحفظ كلمات القصيدة التي نظمها الأستاذ عبد الرحمن علي طه و نرددها باللحن.

وأود هنا أن أذكر ما أعرفه عن بعض هؤلاء الأساتذة الأجلاء و كلهم من رواد التعليم: الأستاذ عبد الرحمن علي طه هو أول من أصبح فيما بعد وزيرا للمعارف. الأستاذ مكي عباس هو أول محافظ لمشروع الجزيرة بعد الاستقلال.

الأستاذ سر الختم الخليفة كان رئيس وزراء حكومة أكتوبر. الأستاذ أحمد ابراهيم فزع كان مرجعا في مادة الجغرافيا وقد سكن حي الموردة مع عمه محمد فزع بعد أن تزوج من ابنته. والأستاذ هو ابن عم الفنان عبد الدافع عثمان و اسمه الكامل عبد الدافع عثمان فزع. الأستاذ عثمان محجوب كان ناظرنا في مدرسة الاحفاد الوسطى اوائل الستينات. الأستاذ النور ابراهيم « امير شعراء الكتيبة « كان ناظرنا في مدرسة ام درمان الأهلية الثانوية عام ٦٤.

الشكر موصول الى البروفسير فدوى عبدالرحمن على طه التي اتاحت لنا الكثير من المعلومات عن هذا السفر الرائع.

«سيرة التمزق والبحث عن الهوية» في رواية (عمى الذاكرة) لـ «حميد الرقيمي»

نجيب التركي - اليمن*

مدخل:

صدرت رواية «عمى الذاكرة» للكاتب اليمني «حميد الرقيمي» عن منشوراتٍ «جدل» عام ٢٠٢٤، في ٢٦ فصلا مستقلا تبدأ بـ «لحظة الهروب» وتنتهي بـ «عندما سألتني بكيت».

منذ الصفحات الأولى، يدرك القارئ أنه أمام نص أقرب إلى «رواية التجربة» أو «رواية الذاكرة»، حيث لا تبحث عن قول فكرة واحدة كبيرة ومباشرة، بقدر ما تحاول تصوير حالة نفسية، اجتماعية، وإنسانية.

لا حبكة واضحة، ولا تسلسل خطي صارم، بل فسيفساء حادة من المشاهد، الأصوات، والذكريات. ليست رواية حدث، بل رواية حالة.

رواية «عمى الذاكرة» رغم أنها تبدو متشظية، إلا أنها لقيت إشادات نقدية كثيرة ركّزت على جمالياتها الفنية، أكثر من تركيزها على «حبكة» أو «فكرة صريحة».

الغلاف:

– الغلاف الترابي البسيط يُهيئنا لدخول عالم متصدّع. يوحي بالتراب، الأرض، والذاكرة المطموسة.

– النظارة المكسورة، بعدستها المشروخة، ترمز إلى رؤية مشوهة، ذاكرة مشظاة، ومحاولة بائسة لترميم العالم من حولنا.

هذه الصورة تختزل فكرة «عمى الذاكرة» بصريًا، فالنظارة أداة للرؤية، وعندما تنكسر تتحوّل الرؤية إلى تشويش، ضباب، أو حتى عمى.

– الشقوق في العدسة ترمز إلى التصدع النفسي، والتشرذم الذي أصاب الذاكرة بفعل الحرب والشتات.

– الرواية تتحدث عن الحرب وما تخلفه من دمار نفسي ومعنوي، وكاتبها لم ينصاع للأبواق التي تنادي (انتظر ريثما تنتهي الحرب ومن ثم اكتب)

العنوان: عمى الذاكرة :

العنوان مركب دلاليًا:

«عمى»: ليس فقط عجزًا بصريًا، بل فقدان بصيرة، وانمحاء هوية.

«الذاكرة»: مستودع الذكريات الفردية والجمعية.

التركيب معًا يعكس حالة فقدان القدرة على استعادة الماضي بصفاء، كأن الذاكرة نفسها صارت ضريرة، أو أن صاحبها اختار أن يعميها ليحمي نفسه من الألم.

الإنسان في هذه الرواية يعيش حالة «تشظي»، لكنه في الوقت نفسه يحمل وطنه داخله.

الإهداء:

« إلى كل من طالتهم نيران الحرب، إلى ضحايا البحار والصحاري، إلى المنفيّين والمشرّدين ومن فقدوا ذواتهم في رحلة البحث عن الحياة، إلى زوجتي المخلصة رباب وطفلتي القادمة يافا، إلى وطني وأهلي وأبناء بلادي، إلى الإنسانية جمعاء: هذه سيرة أبطال، ومرافعة في وجه الظلم، وحكاية قابلة للحدوث في أي زمان ومكان»

هنا يفتح الإهداء باب النص على الألم الجمعي، موجّهًا إلى ضحايا الحرب، المهاجرين، والمنفيين، في إعلان مبكر أن هذه الحكاية ليست شخصية فقط، بل مرآة لكل من فقد ذاته في رحلة البقاء. ينتقل الإهداء بسلاسة من العام إلى الخاص، حين يهدي الكاتب النص لزوجته وطفلته القادمة، في لمسة حميمية تؤكد أن الحب والأمل هما الجذور الأخيرة وسط الخراب. وفي النهاية، يعيد توسيع الدائرة لتشمل «الإنسانية جمعاء»، مؤكدًا أن هذه ليست مجرد رواية، بل مرافعة إنسانية ضد الظلم، وحكاية قابلة للتكرار في أي مكان وزمان. ولا أستطيع نكران أنني توقفت كثيرا عند قراءتي لكلمة (مرافعة).

الحبكة: لا تصاعد بل تشظي

لا توجد حبكة تقليدية ذات خط تصاعدي وانفراج، بل نص متشظٍ، أقرب إلى فسيفساء من المشاهد والذكريات والأصوات الداخلية.

الرواية تنمو أفقياً، لا عمودياً، مثل رقعة حبر تنتشر على ورق، لا بهدف الوصول إلى ذروة درامية، بل لتغطي أكبر مساحة من الألم والذاكرة، بمعنى أنها لا تتحرك من حدث إلى ذروته ثم إلى الحل، بل تتوسع في عرض التجربة وتشظياتها. كل فصل يكاد يكون قصة قصيرة مستقلة، ولكنها كلها مشدودة بخيط روحي خفي: الحرب، المنفى، فقدان الذات.

الشخصيات: ظلال أكثر من شخوص

(الأب، الأم، بدر، يحي، لطيفة، الجد، سالم، حمادي، يافا، لطفي) الشخصيات هنا ليست «شخصيات روائية» بالمفهوم الكلاسيكي، بل أشبه بظلال أو أصوات أو بقايا أرواح. بمعنى أنها ليست لبناء الصراع بل للكشف عن التشظي. حيث أن كل شخصية تشبه ومضة أو صدى، لا تظهر لتؤدي دورًا محددًا، بل لتساهم في خلق حالة الانكسار الجماعي.

حتى البطل/الراوي نفسه مشكوك في تماسكه، فهو ينسى، يهرب، يذوب في الآخرين. الشخصيات في هذه الرواية تعيش حالة من اللايقين، وكأنها غير متأكدة من وجودها أصلًا، أو كأنها مصابة بعدوى «عمى الذاكرة» نفسها.

اللغة: شاعرية الوجع

اللغة هي البطل الحقيقي في الرواية.

لغة شعرية، مرمّزة، مشحونة بالصور، تحتفي بالاستعارة والانزياح، لكنها في الوقت نفسه سهلة القراءة من حيث الإيقاع، وكأنها تُغوي القارئ وتجرّه إلى عمق الجرح دون أن يدرك.

ليست الزينة اللغوية غاية في ذاتها، بل وسيلة لتصوير الفقد، الارتباك، ضبابية المشهد.

هنا، تبدو اللغة كقارب مهترئ، تحاول أن تعبر بها الذاكرة المحيط، لكنها تعود محمّلة بالماء، بالكسر، بالخسارة.

الزمن والمكان: سيولة التشظي

الزمن في الرواية زئبقي، مائع، تنصهر فيه الأزمنة الماضية والحاضرة بلا ترتيب.

الذكريات تنبثق مثل أشباح، الحاضر يُخنق بالماضي.

المكان:

المكان، بدوره، غير محدد بدقة، لكنه مشحون بروح المنفى، القرية، صنعاء، غرفة عبده حمادي، الجامعة، منطقة شملان، عدن.

كل الأمكنة هنا «أماكن عابرة»، بلا جغرافيا مستقرة، وهو ما يعكس تشظي الهوية.

الثيمات: أكثر من حرب

الحرب هي الإطار، لكن الجوهر أعمق:

- التيه والشتات.
- انمحاء الهوية.
- الصمت القسري.
- الفقد الوجودي.
- ذاكرة معطوبة.
- الحبّ بوصفه احتمالاً للنجاة.
- الأمل الهش في الحب أو الوطن أو الميلاد الجديد.

يحيى «الريفي الصامت»

في موضع دال من الرواية، نلتقي بشخصية يحيى الذي تقول عنه إحدى الزميلات في الجامعة:

«هذا يحيى بالكاد يلملم أسماله؛ ماذا يمكن أن يفعل في المرافعات والقضايا الكبيرة؟»

ثم يعلق الراوي بأنه أصبح يُعرف بـ «الريفي الصامت».

هذه الجملة العابرة تختصر الكثير من معاني العجز والخذلان التي تشرب بها النص. يحيى، كشخصية، ليس مجرد فرد معزول؛ بل هو رمز لجيل كامل يشعر بأنه هش، مُهمّش، لا يملك إلا الصمت، ولا يملك حتى «أسماله» ليستر بها هشاشته النفسية والاجتماعية.

وصفه بـ«الريفي» يحمّله عبء الهويات الصغيرة المنسية، بينما «الصامت» يجسّد استحالة الدفاع عن الذات في مجتمع جريح لا يصغي، ولا ينتظر من أبنائه سوى الانكسار أو التلاشي.

هذا التفصيل، رغم بساطته، يلخّص جانبًا من الثيمة الجوهرية للرواية: كيف تتحول الشخصيات إلى شظايا مبعثرة من الذاكرة، تفقد صوتها، وتعيش غربتها داخل الجسد واللغة والمدينة.

البُعد السيري:

الرواية تنزلق أحيانا نحو السيرة الذاتية، أو ما يمكن تسميته «السيرة المشفرة».

الألم فيها شخصي وجماعي معًا.

الكاتب لا يروي سيرة بطل وحسب، بل يكتب سيرة وطن ممزق، ومن خلاله سيرة إنسان مهزوم، وفي ذلك امتداد إنساني واسع.

هل الحرب هي الفكرة؟

الحرب هنا ليست الفكرة، بل الإطار.

الرواية ليست عن الحرب، بل عن الحرب التي تستمر في الداخل بعد توقف الرصاص.

هي عن ذاكرتنا التي تصاب بالعمى، عن العجز عن تذكّر ماضينا بصفاء، عن محاولاتنا البائسة لترميم ذواتنا، فلا نرى إلا وجوهنا في مرايا مكسورة.

منزل يافا والتناقض الظاهري

قد يبدو للوهلة الأولى أن السارد وقع في تناقض حين يقول:

«لم أكن أعرف منزلك، ولم أفكر بالطريقة التي تقودني إليه»،

ثم يضيف لاحقًا:

«وصولنا بأمتار معدودة من منزل يافا الذي كنت أراه يَقترب أكثر».

في جوهر النص، لا يوجد تناقض حقيقي، بل تعبير مقصود عن حالتين نفسيتين مختلفتين. في الجملة الأولى، يعبّر البطل عن حالة ذهول كامل، وانسياق غريزي عاطفي، حيث يتلاشى التفكير العقلاني في الطريق أو التفاصيل، وتبقى فقط الرغبة الملحة في إنقاذ يافا بأي وسيلة. بينما في الجملة الثانية، نكون أمام تحول واقعي بصري، لحظة وصول ملموسة، حيث يصبح المنزل مرئيًا وقريبًا.

بهذا المزج، يترجم الكاتب ارتباك الوعي الإنساني في لحظة الأزمة، فيجمع بين التشتت النفسي والاقتراب الفعلي، ليؤكد فكرة «عمى الذاكرة» الذي يرافق البطل، ويفرض عليه رؤية مشوشة مشروخة تمامًا مثل عدسة الغلاف.

الانقلاب السردي: من يحيى إلى بدر

في مشهد مفصلي، يكتشف السارد فجأة أنه ليس يحيى، بل بدر، الابن الذي ظنه ميتًا وظن نفسه شخصًا آخر طوال حياته. يقول:

«نعم الآن صدّقت رواية جدي... أيقنت بأنني بدر ولست يحيى... عشت كل هذه السنوات بذاكرة عمياء، لم أبصر أحدًا، ولم أتعرف على هويتي وجذوري».

هذه الصدمة ليست مجرد تحوّل درامي، بل لحظة تكثيف لموضوع الرواية كله: الحرب لا تقتل الأجساد فحسب، بل تمحو الذاكرة وتطمس الهوية، ليعيش الإنسان غريبًا حتى عن اسمه وأصله.

القذيفة التي أصابت رأس البطل تصبح هنا رمزًا لفقدان الذات الكلي، وكأن الحرب لا تنتهي عند الدمار الخارجي، بل تمتد إلى الداخل، حيث تتحوّل الذاكرة إلى غرفة مظلمة، والهوية إلى قناع زائف.

هذا الانقلاب يعيد تأويل كل ما قرأناه قبل ذلك: الشخصيات، علاقته ببافا، وكل صراعاته الداخلية. فجأة، تتحول الحكاية من سرد شخصي إلى مرافعة وجودية، تؤكد كيف يمكن للإنسان أن يعيش عمرًا كاملًا في ظلمة ذاكرته، قبل أن تصفعه الحقيقة.

فوضى الهوية، عمى النفس قبل الذاكرة

في عمق رواية عمى الذاكرة، لا نجد فقط قذائف وأشلاء ورؤوسًا تتناثر في مشاهد الحرب، بل نجد كذلك بحثا مضنيًا عن هوية ممزقة، محمولة على جسد لم يعد متأكدًا من نفسه رغم استقامته الظاهرة. يتحدث النص، بصوت باطني، عن الإنسان الذي فقد صورته، وانمحى اسمه، وصار يعيش بانفصال عما يظنه ماضيه.

الرواية، بهذا المعنى، تلتقي في جوهرها مع كتاب (فوضى الهويات) للكاتبة العراقية: «حوراء النداوي»، حيث يشكّل المنفى، والذاكرة، والعودة المستحيلة إلى الجذور، محاور متكررة في كلا العملين. في كل منهما، تتصدع الهوية تحت وطأة الفقد، ويصبح التواصل مع الوطن الأصلي محاولة لترميم الذات، لا أكثر.

* روائي وناقد يمني.

قصيدة جديدة

خذيني إليك

عثمان بشرى – القاهرة

فى الهزيع الأخير من
البال
جلست إلى فكرة الموت
محتشدا بجلال السكون
الذى حف مائدة
الصمت
حولي
وأنا فى غاية اللا شىء
فى غابة من دخان
الهواجس
أرفع عن وجهك
خصلة الليل
التى تتدلى
على كتف أسمر
وانا غائص
فى تفاصيله
الشائكة..
كيف له
أن يحتمل
كل هذه الغربة المنتقاة
معلقا شهوة القلب
فوق منكبه البض
عابرا
بصحائف من قلق
كل هذا الحنين
إلى لحظة فى الغياب
البعيد..
ليس يدرى
أننى قادم
أم هناك إحتمال
لبعض الخرافات فى
الحب
بعض الحكايا
التى
سوف يحرقها العمر
وهو يكلم الدرب عن
النسيان ..
هل تؤمنين بحب ينام
على قارعة الجوع
ولا يشتكى
من موارد الخيبة
والتهلكة.؟
فى هذه الساعة
من أبد قائم
منذ ان أشعلت شفتيك
البيان الذى شب
فى ذوق روحي
شعرت بطعم النهايات
يبدأ من سهل عينيك
وأن الصهيل
الذى فى جموحي
سيعبر هذا الحنين
الطويل ..
وأنك مبذولة
للمجرات فى حربها
الأبدية ضد إلتقاء
التواز..
هل تعلمين
أنا مثلك الآن
أشعر أن الحدود
بلا أي معنى
فلا بلد تصير
لهذا الذى تحملين
من الآدمية وطن..
غريبان نجلس
فى هذه اللحظة
الفاصلة.
اللحظة التى قاربت
فى صفاتنا ببهائم
هائمة
على وجهها
وهى ترعى بلا ذاكرة..
نجلس كلا قبالة
هذى الهزائم
متحدين
كما لو أن واحدنا
خارج عن ذاته
ويكلمها بكلام النبوءات
أن سوف يحدث
أن نلتقى ذات أثر فى
الخيال القريب..
خذى الكأس عن شفتى
ثملت شديدا بك
لا تحملى عن جسدى
رهق الليلة الكاسرة .
خذى شغفى بوجهك
عن محمل الصبر
والإنتظار
الإنتظار صديق المواعيد
التى سوف تأتى
ولو بعد حين ..
الإنتظار إحتمال
ثمين لمن جهزوا
زمنا أيوبيا
وإنتقوا من معزاتهم
للذين سيأتوا الهدايا ..
الإنتظار حصان
المشيئات
حميم الظنون ظليل
الشجر
خذى الطازج
لما يزال من الأمنيات
رغيفا
لأطفال يعبرون أمامك
متهكمين
على شوقنا
واقفا فى الرصيف..
خذينى إليك
لأرتاح من هذه الضفة
الخاسرة ..
المدينة اليوم فارغة
والشوارع ميتة
والبيوت
جميع البيوت
فى نواحى البسيطة
أقفاص صالحة لنا
كآدميين ينعموا
بالحب والخبز
والصمت
كالكائنات الأليفة..
إنها العولمة .
خذى رهق الصبر
والإنتظار
عن هذه المائدة .

نصائح للوقاية والعلاج دون ذعر

خرافات وحقائق.. هل القمل مرتبط بالنظافة الشخصية؟

○ يُعدّ القمل من المشاكل الصحية الشائعة بين الأطفال، خصوصًا في عمر المدرسة، وهو مصدر قلق للأهل والمعلمين على حد سواء. وعلى الرغم من أن الإصابة بالقمل لا تدل على قلة النظافة، إلا أن سرعة انتشاره تجعل السيطرة عليه تحديًا حقيقيًا. هذا المقال يقدّم شرحًا مفصلاً عن القمل عند الأطفال، أسبابه، طرق العدوى، الأعراض، أنواع القمل، كيفية الوقاية والعلاج، وأهم الإرشادات للأهل والمدرسة.

إعداد : دكتور عصام صالح

ما هو القمل؟

القمل حشرات طفيلية صغيرة الحجم (2–4 ملم)، بلا أجنحة، تعيش على فروة الرأس وتتغذى على دم الإنسان. لا يستطيع القمل الطيران أو القفز، ولكنه ينتقل من رأس إلى رأس عن طريق الزحف.

أنواع القمل

1. قمل الرأس (Head Lice): الأكثر شيوعًا بين الأطفال.
2. قمل الجسم (Body Lice): يعيش في الملابس وينتقل إلى الجلد.
3. قمل العانة (Pubic Lice): نادر جدًا عند الأطفال، وقد يدل على اعتداء جنسي في حال الإصابة.

كيف يصاب الطفل بالقمل؟

ينتقل القمل غالبًا من خلال:
الاتصال المباشر بالرأس: خلال اللعب أو الجلوس بالقرب من طفل مصاب.
مشاركة الأدوات الشخصية: مثل الأمشاط، القبعات، الوسائد، أو سماعات الأذن.
المدارس ودور الحضانة: أماكن مزدحمة تساعد في انتقال القمل بسرعة.

أعراض الإصابة بالقمل عند الأطفال

حكة شديدة في فروة الرأس، خاصة في منطقة خلف الأذنين ومؤخرة الرأس.
شعور بالدغدغة أو الزحف على الرأس.

وجود قمل حي أو بيوضه (الصئبان)، وهي نقاط بيضاء صغيرة تلتصق بالشعر.
تهيج واحمرار الجلد نتيجة الحكة المستمرة.
في الحالات المزمنة: قد تظهر تقشرات جلدية أو التهابات بكتيرية ثانوية.

هل القمل علامة على قلة النظافة؟

الإجابة لا. القمل يمكن أن يصيب أي طفل بغض النظر عن مستوى النظافة الشخصية أو الاجتماعية. هو طفيلي يستغل الاتصال القريب لينتقل من رأس إلى آخر.

كيفية تشخيص القمل

الفحص البصري باستخدام مشط دقيق الأسنان (مشط القمل).
البحث عن الصئبان (البيض) بالقرب من فروة الرأس.

أحيانًا يُستخدم مصباح عدسي أو عدسة مكبرة لرؤية القمل الحي.

طرق علاج القمل عند الأطفال

1. الأدوية الموضعية (المبيدات)
تباع في الصيدليات دون وصفة طبية، منها:
اسم الدواء المادة الفعالة الملاحظات
بيرميثرين 1% (Permethrin) بيرميثرين آمن وفعّال للأطفال فوق سنتين
مالاثيون (Malathion) مالاثيون يُستخدم إذا فشل العلاج الأول
دايميثيكون (Dimethicone) سيليكون غير سام فعّال دون مفعول سام
● مهم: يجب تكرار العلاج بعد 7–10 أيام لقتل القمل الذي يفقس من البيض.
2. إزالة القمل يدويًا
استخدام مشط القمل الناعم.
تمشيط الشعر الرطب جيدًا كل يومين لمدة أسبوعين.
طريقة آمنة وفعالة، خاصة للأطفال الصغار أو لمن يعانون من حساسية للمواد الكيميائية.
3. العلاجات المنزلية (محدودة الفعالية)
بعض الناس يستخدمون الزيوت مثل:
زيت شجرة الشاي
زيت الزيتون
الخل
لكن لا توجد أدلة علمية كافية على فعاليتها مثل الأدوية المعتمدة.

طرق الوقاية من القمل

عدم مشاركة الأدوات الشخصية مثل القبعات والمشط.
فحص شعر الطفل بانتظام، خاصة إذا كان هناك إصابات في المدرسة.
ربط الشعر الطويل للبنات لتقليل الاحتكاك.
تعقيم الفراش والملابس بغسلها بماء ساخن (60° مئوية على الأقل).
تجفيف الأدوات في حرارة عالية أو تعريضها للشمس.

ماذا تفعل المدرسة؟

إبلاغ أولياء الأمور عند اكتشاف حالة إصابة.
عدم منع الطفل المصاب من الذهاب إلى المدرسة بعد بدء العلاج.
تشجيع التثقيف الصحي حول القمل.
فحص الأطفال الآخرين في نفس الفصل إذا لزم الأمر.

ما هي المضاعفات المحتملة إذا لم يُعالج القمل؟

التهاب الجلد الناتج عن الحكة المفرطة.
عدوى بكتيرية ثانوية في الجلد.
الحرج النفسي والاجتماعي، وقد يؤدي إلى عزلة أو تنمر.

نصائح للأهل

1. طمأنة الطفل بأن القمل ليس خطأه.
2. إبلاغ المدرسة والتعاون معها للسيطرة على الانتشار.
3. إعلام الأصدقاء المقربين أو الأهل الآخرين إن كان هناك اختلاط مباشر.
4. تكرار الفحص والعلاج حسب التوجيهات.
5. التواصل مع طبيب الأطفال إذا لم تنجح العلاجات المتاحة.

خرافات شائعة يجب تصحيحها

الخرافة الحقيقة
القمل يقفز من رأس لآخر القمل لا يقفز، بل يزحف فقط
القمل يعيش في الأثاث لا يعيش القمل أكثر من يوم أو يومين خارج الرأس
القمل يفضل الشعر الطويل أو المتسخ يهاجم أي نوع شعر، نظيفا كان أو لا
حلق الشعر يمنع الإصابة غير ضروري وغالبًا ما يكون مؤلمًا نفسيًا للطفل

أمثلة واقعية من المدارس

في إحدى المدارس الابتدائية بالخرطوم، أبلغت المعلمة عن حالات متكررة من القمل بين البنات. تبيّن أن السبب مشاركة مشط واحد في الحمام الجماعي. بعد تنفيذ حملة توعوية شاملة، واستخدام علاجات جماعية، اختفت المشكلة في أقل من أسبوعين.
وفي مدرسة بلندن، قررت الإدارة توزيع منشورات توعوية دورية مع فحص شهري للشعر، مما خفض معدل الإصابة بنسبة 70%.

خاتمة

القمل عند الأطفال مشكلة مزعجة ولكن يمكن السيطرة عليها بسهولة بالتعاون بين الأهل والمدرسة. التوعية، الفحص المبكر، والعلاج الصحيح هي مفاتيح القضاء على هذه الآفة دون أن تسبب وصمة أو قلق زائد. تذكّر دائمًا أن الهدف هو حماية الطفل جسديًا ونفسيًا دون تخويفه أو عزله.

VOICE of sudanese community

السبت ٢٦ يوليو ٢٠٢٥م - ١ صفر ١٤٤٧ هـ
SATURDAY 26 JULY 2025 - ISSUE No. 44

المريخ يغيب عن الاجتماع الفني والهلال جاهز للموعد

● عقد مساء أمس الاجتماع الفني التقليدي الخاص بنهائي بطولة كأس السودان، والمقرر أن يُقام عند الساعة السابعة مساءً على ملعب إستاد بورتسودان، بحضور ممثلي نادي الهلال، الذي سيرتدي اللون الأزرق في المباراة.

وغاب نادي المريخ عن الاجتماع الفني، رغم إعلان لجنة المسابقات باتحاد الكرة قبول طلبه بالعدول عن قرار الانسحاب والمشاركة في النهائي، لكنها رفضت طلبه الآخر بتأجيل المباراة لمدة ٤٨ ساعة.

يُذكر أن النهائي يحظى بترقب جماهيري واسع، وسط أجواء مشحونة بعد التطورات الأخيرة المتعلقة بمشاركة نادي المريخ.

بينهم ريال مدريد

(فيفا) يجرد 11 نادياً من لقب مونديال الأندية

○ كتب – عادل صديق

● تلقى العديد من الأندية وفي مقدمتهم ريال مدريد صدمة كبيرة من الاتحاد الدولي لكرة القدم «فيفا» برئاسة جياني إنفانتينو بعدما تم تجريدهم من أحد الألقاب المهمة في مسيرتهم الكروية.

وأعلن الاتحاد الدولي لكرة القدم «فيفا» عن تغييرات جذرية في تصنيف بطولات كأس العالم للأندية، وهو ما أثر بشكل مباشر في أندية كبرى مثل ريال مدريد، ومانشستر يونايتد، ليفربول، ومانشستر سيتي، وبرشلونة بالإضافة إلى أندية أوروبية وأمريكية جنوبية أخرى لطالما اعتبرت بطلة للعالم.

وفي وقت سابق من هذا الشهر، حقق تشيلسي فوزًا كاسحًا على باريس سان جيرمان بنتيجة 3–0 ليتوج بلقب كأس العالم للأندية 2025، وهو أول إصدار من البطولة بعد إعادة هيكلتها.

ورغم أن البطولة كانت تقام سنويًا منذ عام 2005، فإن فيفا قرر اعتبار تشيلسي أول بطل رسمي للعالم في نسخة معترف بها عالميًا.

وطبقاً لما نشره موقع «sportbible»، فإن الأندية التي سبق لها التتويج بكأس العالم للأندية في نسختها السابقة مثل ريال مدريد (خمس نسخ) وبرشلونة (ثلاث مرات) ومانشستر يونايتد (2008) وليفربول (2019) ومانشستر سيتي (2023) لن يُعترف بها بعد الآن كأبطال للعالم، وبدلًا من ذلك، ستطلق عليهم صفة «أبطال القارات».

ويشمل القرار أيضًا أندية كبرى مثل بايرن ميونخ (لقبان) وكورينثيانز (لقبان) وساو باولو (2005) وإنترناسيونال البرازيلي (2006) وميلان (2007) وإنتر ميلان (2010).

كل هذه الأندية لم تعد تصنف ضمن قائمة أبطال العالم، ويجب عليها الفوز بالنسخة الجديدة من البطولة لاستعادة هذا اللقب الشرفي.

النسخة الحالية من كأس العالم للأندية والتي ستقام كل أربع سنوات، تضم فرقًا تمثل كل قارات العالم، ويتأهل إليها أبطال القارات وأندية ذات تصنيف خاص بناءً على معايير فيفا.

ومن المقرر إقامة النسخة التالية في عام 2029، لكن تشيلسي حامل اللقب ليس مؤهلاً تلقائيًا للدفاع عن لقبه، حيث لم تدرج فيفا حتى الآن قاعدة التأهل التلقائي لحامل اللقب.

وحتى الآن، تم تأكيد مشاركة كل من: باريس سان جيرمان (فرنسا) وبيراميدز (مصر) والأهلي (السعودية) وكروز أزول (المكسيك).

وما زال بإمكان الأندية الكبرى الأخرى مثل ريال مدريد ومانشستر سيتي التأهل، إما عن طريق الفوز بلقب قاري، أو تحقيق مراكز متقدمة في التصنيفات الخاصة بفيفا خلال السنوات المقبلة.

وبقرار فيفا الأخير، طويت صفحة حقبة كاملة من تاريخ البطولة، وأصبح تشيلسي هو أول بطل رسمي للعالم في نظام فيفا الجديد، بينما يتعين على الأندية الأخرى التي كانت تحتفل بهذا اللقب لسنوات أن تبدأ من جديد.

عِشْقٌ سَرْمَدِيّ

هنيئاً للنخبة بالهلال!

هويدا الماحي *

○ نخبة البطان واتحاد الضان.. لجنة تعمير الاستادات نوم السواد

–المريخ وينو..(النمير) دودو

○ قدم الزعيم الهلال محاضرة كروية حبست أنفاس المريخ وأجهضت نظرية الندية.. كان الجمال هلالاً في ملعب استادٍ الدامر.. والأهداف الأربعة لوحة سريالية ما أروعها هنيئًا للنخبة بالهلال.

○ واهم من يظن أن النظام الكروي في السودان ماض نحو الأفضل.. حيث لا يعقل أن تدار المستديرة بهذه العشوائية (الناس بتمشي لي قدام ونحنا راجعين لي ورا).. نعم مضت بطولة النخبة ولكن لا شيء يسر البال والخاطر سوى رباعية ملوك الهلال، والصحوة الجبارة فى خاتمة المطاف.

○ عندما أعلن والي نهر النيل استضافة البطولة قلت (جيت لينا) والي نهر النيل انتصر لينا.. وسنرى بطولةٍ بي جلد السياط (البطان) فوق دار جعل.. لكن الحصل شيتا كتر. لا الملاعب ملاعب، ولا المراكب مراكب، ولا المراقب مراقب.

○ قرارات بل مجاملات لجان الاتحاد أفسدت شوية المتعة، وقرارات اللجان مبتدعة.. شكوى مريخ الفاشر طنشوها.. واللت مريخ الاتحاد نظروها وحكموها، والنقاط والأهداف أهدوها للمريخ.. إلا أنها لم تشفع له للتربع على عرش البطولة، بل تم سحله برباعية هلالية والهلال في أضعف حالاته، إلا أن المريخ كان الوهن بي ذاته.

○ أين الحادبون على المريخ وأهله.. والمريخ يمضي نحو الهاوية، والنمير «شفشف عضم الفريق».. حتى أضحى التمرد سمة ملازمة للاعبين، وآخرهم هيثم الذي غاب عن منازلة الغريم الهلال.. خوفي من تلحق رفيقك فريق الموردة الضلع الثالث للكرة السودانية، الذي أفل نجمه بالصراعات الإدارية.. أدركوا المريخ قبل أن يدركه الطوفان.

○ قضية الأهلي مدني عادلة.. وإن كنا نعلم أنه لن ينال شيئًا من الشكوى.. طلب مني عدد من عشاق الحبيب الهلال الوقوف مع سيد الأتيام.. قلت ليهم أما كفانا موقف الزعيم الهلال والكاردينال مع الأمل العطبراوى؟ وها نحن نكافأ كما وسمنار (آي والله) وما جزاء الإحسان إلا الإحسان.. ولكن جماهير الأمل دخلت مباراة سمو الهلال بالطوب.

○ الموسم الكروي على الأبواب.. بينما لجنة صيانة الاستادات (نايمة نوم السواد) لا حس لا خبر (يا قلبي لا تحزن).

○ نبض العشق السرمدي.. يكفي النيل أبونا والهلال سوداني.. ويبقى العشق ما بقي الوطن الهلال. (زرقاء العشق)

* كاتبة صحفية – أستراليا.

دافوري أبناء مدني بالعاصمة الرياض يحتفي بـ (أحمد جمعة)

بين العودة والمنافسة.. «مركز» يحسم مواجهة «شلة» في ليلة مثيرة

○ الرياض- مجاهد جوجو

● ضمن جولات تحدي دافوري مدني بالعاصمة السعودية الرياض وفي ليلة الفرح والاحتفاء بعودة النجوم يوم الجمعة الماضي كان التحدي بين عبده مركز ومحمد شلة الذي انتهي بفوز فريق مركز ٣/٢.

ضمن» فريق مركز كل من سند في حراسة المرمي وخط دفاع ثلاثي مكون من مركز وأحمد ابو حشيش عادل جكة، وفي الوسط احمد كوك وأشرف عمي عارف بري وطلال ، وفي المقدمة الهجومية موكا

ويوسف شرا والنجم مصعب السر. وفي الشوط الثاني شارك كبدلاء كل من: زاهر احمد وعلي بعبوط ومحمد كونجي ومحمد خالد .

بينما ضم فريق شلة كل من: محمد عبدالباقي في حراسة المرمي وخط دفاع مكون من محمد شلة وراشد عثمان ومصطفي عروب وفي خط الوسط عثمان عادل واواب وامين علي والكابتن محمد طه (قن قن) الذي حضر من دولة قطر في زيارة هيثم شوشة ، وفي الهجوم كل من وليد النويرى محمد الجوكر، وشارك كبدلاء في الشوط الثاني كل من ابوبكر وحليم حافظ .

جاء الشوط عالي الايقاع منذ البداية وشهد عدة هجمات من هنا وهناك ولكن لم يفلح اي من الفريقين في هز الشباك حتي منتصف الشوط الأول ليحرز اب شراء الهدف الأول لفريق مركز هدف أربك حسابات فريق شلة الذي لم يتدارك الأخطاء الدفاعية ليحرز موكا الهدف الثاني بعد مراوغة خط الدفاع واحرز هدف في غاية الجمال نال استحسان الجمهور .

بعد هذا الهدف قام فريق شلة بتنظيم خطوطه ودخل جو المبارة ومن هجمه منظمة قلص الفارق واحرز الكابتن الجوكر الهدف الأول لفريق شلة وبعد دقيقتين فقط استغل الجوكر بعد خطوط الدفاع واحرز الهدف الثاني له ولفريقه لينتهي الشوط الأول بالتعادل الإيجابي بهدفين لكل ,

الشوط الثاني شهد تألقا واضحا للحارسين سند ومحمد الذين وقفوا سدا منيعا أمام المهاجمين ،

ومن هجمة منتظمة من وسط الملعب لفريق مركز في الدقائق الأخيرة من زمن المباراة وجد المهاجم محمد خالد نفسه في مواجهة المرمي وليس هنالك اي وسيله لإيقافه الي إعاقته داخل المنطقة المحظورة ليصفر الدولي حذيفة عن ركله جزاء مع اشهار كرت اصفر للكابتن راشد وسجل محمد خالد نفسه الهدف الذي انتهي عليه الزمن الرسمي للشوط الثاني والمباراة بفوز فريق مركز علي فريق شله ٣/٢ „

وشهد التحدي حضور جماهيري غفير

مبروك مركز وهاردلك شلة

قائمة الفريقين

● لعب للفريق الأخضر كلاً من: بوقبا (كابتن)، سهيل ، محمد الطيب، بشار ، فاروق، أبوشيبة ، محجوب، دهب.

لعب للفريق البرتقالي كلاً من: عمار (كابتن)، عبدالعظيم، البراء ، مدين، سهيل، جبرة، صابر ، راشد.

● البراعم إياد راشد ومحمد راشد، وباسل عمار ومحمد عمار، ومحمد صابر الخليفة شاركوا الآباء بمباراة استعراضية قبل مباراة الديربي.

هداف المباراة

● الفريق الأخضر (٢٧ هدفاً)

محمد الطيب - ١١ هدفاً (هداف المباراة) برقم قياسي.
بوقبا (الكابتن) - ٦ أهداف
بشار - ٤ أهداف
سهولي - ٣ أهداف
دهب - ١ هدف
محجوب - ١ هدف
فاروق - ١ هدف
أبوشيبة - ١ هدف

الفريق البرتقالي (٢٣ هدفاً):
سهيل - ٧ أهداف
صابر - ٤ أهداف
عمار (الكابتن) - ٤ أهداف
مدين - ٤ أهداف
جبرة - ٢ أهداف
راشد - ١ هدف
عبدالعظيم - ١ هدف

السبت من كل أسبوع

دافوري المناطق

VOICESPORTS

DAFORI.com/Sport

ضمن ديربي دافوري ليدز

الأخضر يُسقط البرتقالي في عاصفة هجومية

○ *ليدز - (فويس)*

● في مباراة أشبه بالعرض الهجومي المبهر، انتصر الفريق الأخضر على نظيره البرتقالي بنتيجة ٢٨-٢٣، في لقاء جامح سُجل خلاله ٥١ هدفاً، ضمن منافسات دوري دافوري ليدز. المباراة التي بدت وكأنها معركة بين خطي هجوم لم يعرفا الدفاع، حملت كل عناصر التشويق: تبادل للسيطرة، أهداف مدهشة، وعودة متكررة من كلا الفريقين.

البداية كانت برتقالية ... لكن العاصفة خضراء

انطلقت الشرارة الأولى من قدمي سهيل، نجم الفريق البرتقالي، الذي سجل هدفين متتاليين بلمسات فنية أظهرت براعة في المراوغة وانتهاز الفرص، أحدهما بتسديدة قوية من خارج المنطقة، والآخر عبر كرة أرضية اخترقت الدفاع. ثم جاء جبرة ليزيد الطين بلة عبر ضربة جزاء مدوية، ليُعلن عن سيطرة برتقالية مبكرة (٣-٠).

لكن الفريق الأخضر، بقيادة كابتنه بوقبا، لم يستسلم للصدمة. فبعد دقائق من التردد، شن هجوماً مضاداً بقيادة سهولي، الذي قلص الفارق بهدفين، أحدهما من ركلة جزاء، قبل أن ينهض محمد الطيب كـ«بطل غير منازع» ليسجل هدف التعادل ثم يتبعها بآخر ليقود فريقه للأمام (٤-٣). هنا، حاول البرتقالي العودة عبر مدين الذي سجل هدفاً ثميناً، قبل أن يعيد سهيل التقدم لفريقه مجدداً (٥-٤).

من هنا... اشتعلت المباراة!

تحولت الساحة إلى سيناريو هجومي متكرر، حيث استغل الأخضر تراجع الدفاع البرتقالي وتباعد خطوطه ليشن هجمات كاسحة. بوقبا سجل هدفين متقنين، أحدهما بكرة رأسية، ثم انضم إليه دهب بتسديدة قوية، قبل أن يحول محمد الطيب المباراة إلى سيرته الذاتية بتسجيله هاتريك في أقل من ٥ دقائق! (١٠-٥).

لكن البرتقالي، برغم ضعفه الدفاعي، ظل يشعل المنافسة بأهداف سريعة من مدين وعمار، قبل أن يدخل الثنائي سهيل (البرتقالي) وسهولي (الأخضر) في تحد شخصي، حيث تبادلا التسجيل لتبقى النتيجة مشتعلة.

الهجوم عنوان اللقاء .. والأخضر الأكثر دقة

مع تقدم الوقت، تحول اللقاء إلى سباق تسجيل. بوقبا وبشار ومحجوب قدموا عروضاً هجومية رائعة للأخضر، بينما واصل محمد الطيب تألقه بـ٦ أهداف إضافية، بعضها جاء عبر تمريرات حاسمة من سهولي وأبوشيبة.

من جهته، حاول البرتقالي اللحاق عبر عمار الذي سجل ٣ أهداف متتالية، وصابر الذي أحرز ٤ أهداف، بينها كرة مذهلة من مسافة بعيدة، لكن الدفاع المُتهالك حال دون تعادل الفريق الذي سجل سهيل ٧ أهداف وكل من عمار وصابر ومدين ٤ أهداف لكل منهم، لكنها لم تكن كافية.

لماذا انتصر الأخضر؟

الاستفادة من الأخطاء الدفاعية: الأخضر استغل ترتيبات الدفاع البرتقالي الهشة، خاصة في الكرات الهوائية.

تعددية الهدافين: سجل ٦ لاعبين أهدافاً للأخضر، بينما اعتمد البرتقالي على ٤ فقط

محمد الطيب.. أسطورة المباراة: بـ١١ هدف، كان الفارق الأكبر.

الرد السريع: كل مرة يتقدم فيها البرتقالي، كان الأخضر يرد خلال دقائق.

النتيجة النهائية (٢٧-٢٣) قد لا تعكس تفوقاً دفاعياً، لكنها بالتأكيد تُجسد مواجهة تاريخية سيُذكرها الدوري لسنوات!

اتكاءة مع باكا

مشينا وجينا لقينا أهلينا أرجنتينا (١-٢)

محمد صلاح باكا *

○ في دوري النخبة حقق النادي الأهلي مدني انتصاراتٍ كبيرة وكثيرة، وقدم عروضاً أعادت للأذهان ذكريات جميلة عندما كانت مدني نداً لناديي هلال مريخ، وكانا يتحاشيان في القرعة الذهاب إلى مدينة ودمدني، لما تجده من أداء قوي من أندية ود مدني وجمهورها الذواق والمتعصب لأندية مدينته، وكان آخر فوز للنادي الأهلي هو فوز كبير على فريق الزمالة أم روابة بثلاثية مقابل هدف واحد، ليصل رصيده إلى ١٤ نقطة، مؤكداً احتلاله أحد المراكز التي تتيح له التمثيل الأفريقي، بعد غياب ٤١ عاماً سنتطرق لها في حاشية هذا العمود إن شاء الله.

إذن فلنبحر معاً لنتعرف ونعرف أكثر من هو النادي الأهلي ود مدني.

يعد نادي أهلي مدني من أعرق الأندية الرياضية السودانية، حيث يرجع تأسيسه للعام ١٩٢٨م إبان العهد الاستعماري، وهذا هو سبب تسميته بالنادي الأهلي، إشارة إلى أنه نادٍ للحركة الوطنية. مقر النادي بمدينة ودمدني عاصمة ولاية الجزيرة كبرى ولايات السودان.

واشتهر النادي بلقب سيد الأتيام، إشارة إلى عراقته من جهة، وإلى إنجازاته الفريدة وانتصاراته على أعتى الفرق دائماً.

يمثل هو وفريق الاتحاد مدني والنيل مدني قمة الكرة بمدينة ودمدني منذ تأسيسه وحتى الآن. في عام ١٩٥٢ فاز ببطولة السودان مناصفة مع المورده. وفاز ببطولة الدوري في مدني مرات عديدة خلال الفترة منذ تأسيسه حتى بروز بطولة الدوري العام في ١٩٩٦، وبعدها صار يشارك بانتظام في البطولة الجديدة، وهبط من الممتاز لعام وحيد وعاد بقوة ولم يهبط ثانية.

تخرج من النادي الأهلي أفذاذ اللاعبين، أمثال بادي وبابكر سانتو وفتاح الدحيش وبابكر دافيس وعباس ركس وأحمد الشهاوي وشعبان رمضان وكمال كتة ودامبا وسنطة وخضر الكوري وبكري جابر والباقر عبد الرازق والباقر عبد الواحد وطارق بادي (جوني)، الذي كان أفضل لاعب وسط خلال الفترة من ١٩٧٣ إلى ١٩٨٧، وجكن وحموري الصغير والجار وعليوة وعلي قلد وإبراهيم الشيخ وعلي الأمين ومصباح والنقر وخلف الله والديبة وحمد دفع الله وصلاح الأمين وفتح الرحمن وكمال أشول وعصام الدحيش وعصام غانا وعمر النقي وعمر ملكية وهجو وجمال جبارة وهيثم الرشيد والدومة وعلاء الدين ومحمد الفاتح ودكتور غانم ومحمد خلف الله ونصر الدين الريشة وحافظ إبراهيم والتجاني وعبد الله صباحي وأمين دامبا، والحراس السر بدوي وبلة سليم وصلاح الشاذلي وعادل يس وناجي حسن وأنور ساتي ومحمد جبريل.

المدربون المميزون: المرحوم الياس سلمان، عوض الله الشبر، سعد الطيب، سيد سليم، محمد عبد الصمد، بابكر دافيس، عبد العال ساتي، محمد عبد الرازق كندا، محمد محمود، الفاتح النقر، نور الدين عبد المجيد، عاكف عطا، وأخيرا المدرب الشاطر عمر ملكية.

الإداريون المتميزون: محمد عبد القادر المفتي، كمال عبد العزيز، مبارك محمد قسم الله (الدبية) سيد الاسم، أمين عبدالله الفكي، عثمان نور الدائم، صالح أبو عموري، عثمان عمر الشريف، هاشم الخطيب، هاشم جاد الله، ميسرة بابكر بدري، حسن بدوي، حسين محمد حسين. وكثيرون سطروا أسماءهم بحروف من ذهب في خدمة سيد الأتيام على مر الأجيال.

* كاتب صحفي.

دوري دافوري جدة

في مباراة مثيرة.. الأخضر يقسو على الأزرق

○ *جدة - محمد صلاح باكا*

● في لقاء مليء بالإثارة والتشويق، التقى الفريق الأزرق بنظيره الفريق الأخضر في مباراة جمعت بين التنافس الشديد والإبداع الفني، وانتهت المباراة بفوز الأخضر بنتيجة ٨-٣.

مثل الفريق الأزرق كلاً من: في حراسة المرمى: الأستاذ رضا. والدفاع: أحمد البساتنة، مصعب، محمد فيصل. والوسط: صابر بونو، موايد العُمدة، فرفشة، حبيب. وفي الهجوم: محمد مصطفى، حداثة والاحتياط: أحمد السر، أزهري.

ومثل الفريق الأخضر كلاً من: في حراسة المرمى: تجاني. والدفاع: عامر، مهند، فارس، عبد الحي. والوسط: نصر الدين أدروب، سعيد، موايد البشير والهجوم: ناصر، معتز الباب. وفي الاحتياط: سانتو، حسن العُمدة

انطلقت المباراة بحذر وترقب من كلا الفريقين، مع هجمات متبادلة وانضباط تكتيكي واضح. وسجل الفريق الأزرق الهدف الأول بعد هجمة منظمة، حيث تلقى موايد العُمدة كرة بالكعب وعكسها برأسية إلى فرفشة، الذي سجل هدفًا رأسيًا رائعًا.

وواصل الأزرق ضغطه، حيث أظهر الثنائي محمد مصطفى وحداثة تبادلاً رائعًا للكرات في هجمة قوية انتهت بضربة مرمى. ومن كرة ثابتة أجاد صابر بونو تنفيذها، ليتلقفها أزهري ويسجل الهدف الثاني لفريقه.

لكن الفريق الأخضر استفاق من غفوته، وقاد هجمة منظمة سجل منها معتز الباب الهدف الأول لفريقه. وعلى الرغم من الهجمات الشرسة للأخضر، تصدى الحارس المخضرم الأستاذ رضا للعديد من الفرص.

ثم عادل الفريق الأخضر النتيجة بعد كرة خطيرة من الحارس تجاني خلف المدافعين، تابعها حسن العُمدة ليسجل الهدف الثاني. لكن حداثة عاد ليمنح الأزرق التقدم مرة أخرى بهدف ثالث، قبل أن يرد ناصر بهدف تعادلي جديد للأخضر.

تحولت الكفة لصالح الفريق الأخضر بعد ذلك، حيث قاد سعيد هجمة سريعة من وسط الملعب وسدد كرة قوية سجل منها الهدف الرابع. ثم زاد الأخضر تقدمه بعد هدف عكسي خامس في مرمى الأزرق عن طريق محمد فيصل.

وتوالت أهداف الأخضر، حيث سجل معتز الباب الهدف السادس بعد مراوغة رائعة من سعيد، ثم أضاف موايد البشير الهدف السابع بتسديدة قوية من يسار الملعب. وأختتم عامر ومعتز الباب العرض بتسجيل الهدف الثامن، لتنتهي المباراة بنتيجة ٨-٣.

تميز من الفريق الأخضر كلاً من عامر وسعيد، فيما برز حبيب من الفريق الأزرق. وأدار المباراة بحكمة الحكم المتمكن عبد الرحمن جدو.

هكذا قدم الفريق الأخضر عرضًا قويًا يستحق الإشادة، بينما سيحتاج الفريق الأزرق إلى مراجعة أدائه الدفاعي قبل مواجهاته القادمة.

VOICE of sudanese community

السبت ٢٦ يوليو ٢٠٢٥م - ١ صفر ١٤٤٧ هـ
SATURDAY 26 JULY 2025 - ISSUE No. 44

رأسودانيات

للمرأة السودانية أدوار عظيمة في تاريخ هذه البلاد قديمه وحديثه، حيث حكمت المرأة في عصور الممالك النوبية، قبل المسيحية والإسلام، واشتهرت منهن نساء محاربات جسورات، وسياسيات، ورائدات في تلك العصور.
أما في العصر الحديث، فقد دخلت المرأة الحياة الاجتماعية والسياسية منذ وقت مبكر، وعملت في شتى الوظائف، وشغلت المناصب المختلفة، فنجدها طبيبة ومعلمة وسفيرة ووزيرة.
ساعد على ذلك أن المجتمع السوداني منفتح باتجاه قضايا المرأة وحقوقها في تقاليده وقيمه العامة.

نساء حكمن السودان

للباحث وخبير الآثار صلاح عمر الصادق، كتاب ضمن سلسلة الآثار السودانية، بعنوان «نساء حكمن السودان قديماً: نساء وملكات مملكة مروي ٩٠٠ ق.م- ٣٥٠م»، تناول دور نساء مملكة مروي في بناء الدولة المروية، وإرث المرأة السودانية ومساهمتها في التطور الحضاري منذ فجر التاريخ.
وفي ما يلي نبذة عن نساء برزن في التاريخ السوداني قديما وحديثا، علما بأنهن نماذج من العدد الكبير من النساء السودانيات الرائدات في العديد من المجالات.

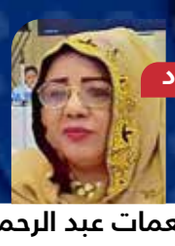

إعداد
نعمات عبد الرحمن

أدوار عظيمة للمرأة في تاريخ السودان

الملكة أماني شاخيتو .. مجوهراتها في معرض برلين

ملكة نوبية محاربة، يعتقد أنها حكمت مملكة كوش منذ العام ١ . قبل الميلاد إلى العام الأول الميلادي.
عثر على اسمها في مخطوطة بمروي سُميت فيها الملكة والحاكم معاً.
وجرى التعرف عليها من العديد من الآثار والمعابد، ولها مسلة خاصة عثر عليها في معبد أمون بمنطقة النقعة.

غير أن أبرز ما عرفت به هو كنز مجوهراتها، التي عثر عليها المستكشف الإيطالي فريليتي عام ١٨٣٤م ويعرض حالياً في متحف برلين.

الملكة شنكر خيتو.. أول امرأة تصل إلى عرش مروي

أول امرأة تصل إلى عرش مروي في ١٦٥ إلى ١٤٥ قبل الميلاد، وقد شيد لها معبد بالنقعة يقع شرق معبد آمون على سطح الجبل، وعليه وجد اسمها باللغة المروية داخل خرطوش تصحبه نقوش باللغة الهيروغلوفية، ويعد من أقدم المعابد في النقعة، كما وجد مشهد لها على نقش بارز جنائزي من الحجر الرملي داخل هرمها بالمقبرة الملكية الشمالية بمروى. وتميزت اللوحات التي جسّدت شخصيتها بالمهارة والدقة، وقد عثر على أثر لها وهي ترتدي تاجاً يمثل العقرب رمز الالهة ايزيس. وقد جلست على العرش الذي اتخذ شكل أسد وهي تحمل لواءً بيمينها وغصن النخيل بيسارها، ومن خلفها جلس ولي العرش أمام الالهة ايزيس بيديها المجنحتين كرمز لتوفير الحماية للأميرة.

الملكة أماني ريناس .. قادت الجيش لمحاربة الرومان

تعرف الملكة أماني أيضاً بأمانجي، وبالكنداكة، وهو اللقب الذي تشتهر به في السودان، وقد دفنت بجبل البركل في الشمال. وقد حكمت مملكة كوش من سنة ٤٠ إلى سنة ١ قبل الميلاد، وهي زوجة الملك النوبي ترتيقاس، وأنجبت منه الأمير النوبي اكينيداد، وظلت زوجة لا تحكم حتى توفي زوجها وبعدها حكمت النوبة.

وقادت في عهدها الجيش بنفسها لتقاتل الرومان على حدود السودان الشمالية، حيث طردت الحامية التابعة لهم هناك وخرجت بأسرى، كما فازت بتماثيل نادرة، لكن الحرب عادت مجدداً وانتهت في النهاية باتفاق سلام في سنة ٢٠ قبل الميلاد بين الرومان والملكة أمانجي.

مهيرة بنت عبود .. ودور النساء في الحرب

كانت النساء تشارك في الحروب، حيث تتقدم أجمل بنات القبيلة وهنّ في كامل زينتهنّ ويجلسن على هودج ويُحملن على جمل، وتنشد الفتيات الأشعار الحماسية، بل يبارز بعضهن الأعداء ويمتطين صهوات الخيل.
وهناك روايات أن الكتّاب والمؤرخين خلطوا بين مهيرة بنت عبود السوارابية، والأميرة صفية بنت صبير الحنكابية، وهي ابنة الملك صبير ملك الشايقية الحنكاب، وقد لاحظ ذلك الدكتور عبد الله الشيخ سيد أحمد في كتابه «مهيرة بت عبود ذلك الشرف الباذخ ١٧٨٠ - ١٨٤٠م»، فمهيرة بنت عبود سيدة متزوجة، ولها أبناء وبنات، وربما أحفاد وحفيدات عندما شاركت في معركة كورتي، إذ إنها كانت وقتئذٍ في حدود الأربعين من العمر. وقد استقى المؤلف معلوماته عن مهيرة وعصرها من مصادر شفاهية وخطّية عديدة، فضلاً عن أنه هو نفسه أحد حفدتها.

خالدة زاهر .. أول طبيبة سودانية

خالدة زاهر سرور الساداتي، أول طبيبة سودانية، وهي من مواليد أمدرمان في ١١ يناير ١٩٢٦. تلقت تعليمها الأولي في الخلوة بحي الموردة الأمدرماني، ثم التعليم النظامي الأولي والأوسط والثانوي بمدرسة الاتحاد العليا، وفي العام ١٩٤٦ التحقت مع زوري سركسيان (سودانية من أصول أرمنية) بكلية كتشنر الطبية، ونالتا بذلك لقب أول (مشترك) لامرأة طبيبة في تاريخ السودان، حيث تخرجت في العام ١٩٥٢. وكان لها نشاط سياسي واضح بالجامعة، وشاركت في قيادة اتحاد الطلاب، حيث قادت مظاهرة نادي الخريجين الشهيرة ١٩٤٦وتم اعتقالها. وساهمت في تكوين أول اتحاد نسائي سوداني سنة ١٩٥٢، وتولت رئاسته في أواخر الخمسينيات. توفيت في ٩ يوليو ٢٠١٥، وكانت لها عيادة مشهورة في شارع المهاتما غاندي بأم درمان (شارع الدكاترة). اشتهرت بأنها كانت تعالج النساء اللائي لا يملكن ثمن الكشف مجاناً.

فاطمة أحمد إبراهيم.. أنشأت مجلة «صوت المرأة»

من مواليد أمدرمان، أنشأت مجلة «صوت المرأة» عام ١٩٥٥، التي أسهم في تأسيسها عدد من أعضاء الاتحاد النسائي، وأصبحت رئيسة تحريرها، . عملت في الاتحاد النسائي وتولت رئاسته بين ٥٦ و١٩٥٧، وعملت في التدريس، كما اشتركت في تكوين هيئة نساء السودان. وهي أول سودانية تتمتع بعضوية الجهاز التشريعي بالبلاد، حيث فازت في دوائر الخريجين في انتخابات عام ١٩٦٥، ولها كتابات ومقالات كثيرة في موضوعات المرأة. صدر لها كتاب «طريقنا للتحرر» عام ١٩٦٦ والعديد من المؤلفات الأخرى. وفي عام ١٩٩١ اختيرت رئيسة للاتحاد النسائي الديمقراطي العالمي، وكانت أول مرة تنتخب فيها امرأة عربية إفريقية ومسلمة ومن العالم الثالث، وفي ١٩٩٣ حصلت على جائزة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، ومنحتها جامعة كاليفورنيا الدكتوراه الفخرية عام ١٩٩٦ لجهودها في قضايا النساء ومكافحة استغلال الأطفال. أرملة المرحوم الشفيع أحمد الشيخ أحد أبرز قيادات الحزب الشيوعي، الذي أعدمه النميري في ١٩٧١.

سعاد الفاتح.. مستشارة اليونسكو لتعليم البنات

مواليد الأبيض، حاصلة على الدكتوراه من جامعة الخرطوم ١٩٧٤، وعملت في الفترة من ٦٩ إلى ١٩٧٠ مستشارة لمنظمة اليونسكو لتعليم البنات بالسودان.
أسست أول كلية تربية جامعية للبنات، وهي صاحبة الامتياز ورئيسة التحرير لمجلة «المنار» الأدبية الصادرة عام ١٩٥٦، ومحررة لصفحة المرأة في العديد من الصحف السودانية، كما أنها أول امرأة تقدم برنامجاً في التلفزيون السوداني بعنوان «منوعات ثقافية». وهي مشاركة في العمل السياسي بصفتها قيادية في الحركة الإسلامية السودانية وناشطة اجتماعية.

فاطمة عبدالمحمود .. أول إمرأة تترشح لرئاسة الجمهورية

مواليد أمدرمان ١٩٤٤، وهي أول امرأة سودانية تترشح لرئاسة الجمهورية في ٢٠١٥، حصلت على بكالوريوس الطب من جامعة موسكو للصداقة ١٩٦٧، وتدربت على الطب في لندن وحصلت على ماجستير طب الأطفال وصحة الأسرة وتنمية المرأة بجامعة كولومبيا الأميركية في نيويورك ١٩٨٤ فالعديد من الشهادات. حازت جائزة سيرز الذهبية للأمم المتحدة ضمن أميز نساء العالم وذلك في عام ١٩٧٦، كما أدرج اسمها بالأمم المتحدة لأميز ٦٠ امرأة على مدى ٦٠ عاما، وذلك عام ٢٠٠٧، وهي محاضرة بعدد من الجامعات العالمية والخليجية والأميركية، وشغلت منصب وزيرة لأكثر من مرة، وتقلدت منصب أمين لجنة المرأة بالاتحاد الاشتراكي السوداني، وفازت في أول دائرة جغرافية في انتخابات ولاية الجزيرة.

VOICE of sudanese community

السبت ٢٦ يوليو ٢٠٢٥م - ١ صفر ١٤٤٧ هـ

SATURDAY 26 JULY 2025 - ISSUE No. 44

السلم الاجتماعي

هل يتغلب السودانيون على الشروخ الاجتماعية والاستقطاب الإثني؟

○ الخرطوم - النور أحمد النور

● بعد أكثر من ٢٧ شهرا على اندلاع القتال في بلادهم، شرع السودانيون على المستويين الرسمي والشعبي في طرح مشروعات وآليات لتضميد الجراح ورتق النسيج الاجتماعي وترسيخ التعايش السلمي، بعدما أحدثت الحرب وتداعياتها شروخا في بنية المجتمع، وتفشي خطاب الكراهية والاستقطاب الإثني. وأحدثت الحرب المستعرة في البلاد منذ منتصف أبريل/نيسان ٢٠٢٣ ندوبا في جسد المجتمع السوداني المتعدد الأعراق والثقافات، بعد أن كان يتسم بالتسامح والتعايش السلمي.

ودفعت تطورات الحرب وما رافقها من جرائم وانتهاكات، خصوصا في الخرطوم ووسط البلاد وانتماء غالب مقاتلي قوات الدعم السريع إلى كيانات اجتماعية في غرب البلاد، عددا كبيرا من المواطنين لتحميل تلك الكيانات مسؤولية ما جرى.

إفرازات الحرب

وارتفعت أصوات من يعبرون عن المتضررين من الحرب في مواقع التواصل الاجتماعي، محملين مجتمعات محددة مسؤولية ما حدث لهم، وكان رد منصات محسوبة على الدعم السريع حادا، مما أجَّج الخطاب والاستقطاب الاجتماعي.

وفي المقابل، رفع الدعم السريع شعارات بأنه يدافع عن المهمشين سياسيا واجتماعيا في غرب البلاد، واتهم كيانات اجتماعية في شمال البلاد ووسطها بأنها ظلت تستأثر بالسلطة والثروة منذ استقلال السودان قبل نحو ٧٠ عاما.

كما استغلت الدعم السريع ظروفا فرضتها الحرب والأوضاع الأمنية، كعدم إجراء امتحانات الشهادة الثانوية في ولايات غرب البلاد، وعدم استبدال العملة وتوقف الجهاز المصرفي، ومراكز استخراج الوثائق الرسمية (جوازات السفر والرقم الوطني) في تلك الولايات وعدته أمرا مدبرا انتقاما من المواطنين في مناطق سيطرتها.

وتطورت المناكفات والملاسنات عبر منصات التواصل الاجتماعي -التي ينشط فيها من يعبرون عن عدة أطراف- إلى خطاب كراهية مما أدى لتفاقم الانقسامات على أساس إثني، وتصاعد التوترات الاجتماعية وتهجير سكان في بعض المناطق التي ظلوا يقطنونها منذ مئات السنين خوفا من روح الانتقام

مشاريع للسلم

ودشَّن مئات من الرموز المجتمعية والأهلية السودانية، الأربعاء الماضي، «المشروع السوداني للسلام الاجتماعي»، وسط حضور كبير من القيادات التي تمثل مختلف ولايات البلاد.

وقالت وثيقة المشروع، التي اطلعت عليها الجزيرة نت، إنه يهدف لاستعادة وتعزيز التعايش السلمي والتراضي الاجتماعي بين مكونات المجتمع السوداني، وإصلاح البيئة المجتمعية وتقويم المعاملات الاجتماعية السيئة التي نشأت بسبب الحرب، وترميم العلاقات الاجتماعية وإحياء القبول بالآخر وروح التسامح.

كما دعت الوثيقة للحد من تعالي خطاب الكراهية والدعوة للفرقة والشتات، وتجاوز الأحقاد التي تسببت فيها الحرب، ونبذ ظاهرة «المفازعة والمناصرة العمياء» وإنكار الحقائق ومحاولات طمسها للإفلات من العقاب مقابل الاعتراف بالحقيقة والاعتذار عن الأخطاء والتعديات.

ولتنفيذ المشروع، حددت الوثيقة آليات تشمل:

- تشكيل لجان مجتمعية لتعزيز الحوار والتواصل بين مكونات المجتمع.
- رعاية مصالحات بين المكونات الاجتماعية التي تعيش حالة تنازع.
- تبني برامج تربوية وتوعوية للشباب والنساء والأطفال.
- تفعيل دور مؤسسات التعليم في نشر وتعزيز التعايش والتراضي الاجتماعي.

مفتوح للجميع

وقال الرئيس التنفيذي لمشروع السلام والاجتماعي والحاكم السابق لولاية شمال دارفور، عثمان محمد يوسف كبر، إن إعداد المشروع بدأ منذ مايو/أيار ٢٠٢٤ بمجموعة صغيرة من إقليمي دارفور كردفان قبل أن يشمل ممثلي كل ولايات البلاد من القيادات المجتمعية والشعبية.

وقال كبر للجزيرة نت إن المشروع يستند على أسس سليمة تبدأ بالاعتراف بالمشكلة، «سعيا لوضع العلاج الصحيح، بعيدا عن الولاءات والجهوية والعصبيات والقبلية، التي مزّقت المجتمع وأضرت بنسيجه المتماسك».

وأكد أن المشروع لا يحمل أي طابع سياسي أو تنافسي مع أي جهة أخرى، بل «مفتوح لكل السودانيين دون عزل أو حجر، لأن أساسه اجتماعي وقاعدته مجتمعية لا سياسية ولا نخبوية»، مبينا أنه سيُنفذ بالكامل داخل الأراضي السودانية، وليس مؤقتا أو محدود الأجل، ويمكن أن يتكامل مع مبادرات أخرى.

عثمان كبر.

ورحَّب كبر باللجنة التي شكَّلها رئيس الوزراء بهذا الشأن، وعدَّها خطوة إضافية على طريق التعاون والعمل المشترك، مؤكدا أن المشروع يواجه تحديات، أبرزها أزمة الثقة السائدة، والتدخلات الخارجية التي تُغذي الصراع وتوفير التمويل لتنفيذه.

وأصدر رئيس الوزراء السوداني كامل إدريس، قرار إنشاء «المجلس الأعلى للسلم الاجتماعي» برئاسة النور الشيخ وعاليا حسن أبونا أمينا عاما للمجلس على أن يتم استكمال عضوية المجلس وفقا للآليات التي تضمن تمثيلا للفعاليات المعززة للسلم الاجتماعي.

وحسب قرار تأسيسه يهدف المجلس لتعزيز السلام والمصالحة وتماسك النسيج الاجتماعي والتعايش السلمي، وترسيخ ثقافة السلام والمساهمة في صياغة رؤى وإستراتيجيات وطنية للسلم الاجتماعي والثقافي

وتشمل مهام المجلس:
نشر وتعميق مفاهيم التسامح والتصالح وقبول الآخر بين مكونات المجتمع.
تنظيم حملات توعوية بمختلف الوسائل حول أهمية السلم الاجتماعي والوحدة الوطنية.
إجراء دراسات حول الأسباب الجذرية للنزاعات وتقديم مقترحات للحلول.
بناء شبكات تواصل وتوفير الدعم الفني للمبادرات الاجتماعية.

كما باشر إدريس لقاءات لمعالجة الإفرازات الاجتماعية للحرب، وناقش، أمس الخميس، مع الأمين العام لمجلس الصحوة الثوري عبد الرحمن حسن الأوضاع الاجتماعية في إقليم دارفور، وتعهَّد بمحاربة خطاب الكراهية وترسيخ التعايش السلمي.

وذكر حسن أن رئيس مجلس الصحوة موسى هلال يبذل جهودا في دارفور لمعالجة القضايا الاجتماعية، وكان هلال يقود قوات حرس الحدود واتهمته جهات غربية بأنه يتزعم «الجنجويد» قبل فرض عقوبات عليه خلال عهد الرئيس السابق عمر البشير.

«جهد كبير»

من جانبه، يرى وزير الزراعة السابق بولاية جنوب كردفان والباحث في قضايا السلام علي دقاش أن الحرب الدائرة وممارساتها الظالمة وانحراف سلوك بعض المحاربين عن أخلاق السودانيين المعروفة، وخاصة قوات الدعم السريع سيخلق عقبة في التعايش والسلم الاجتماعي مستقبلا.

ويقول دقاش للجزيرة نت إن الأحقاد التي خلقتها الحرب يصعب تجاوزها إلا بجهد كبير، إثر انتشار خطاب الكراهية وتخريب علاقات التعايش، إذ صارت إعادة لحمة المجتمع السوداني هي المهمة الأكثر صعوبة. ودعا إلى عدم تحميل مسؤولية ما يحدث لجماعة سياسية أو قبلية.

ويوضح الباحث أن معظم منظمات المجتمع المدني والواجهات العاملة تنفذ برامج دعم نفسي، وليس علاجا للأزمة الاجتماعية التي أفرزتها الحرب، داعيا لتكامل جهود «المجلس الأعلى للسلم الاجتماعي» مع مشروع السلام الاجتماعي حتى لا يبدأ المجلس من الصفر.

المصدر- «الجزيرة»

VOICE of sudanese community

السبت ٢٦ يوليو ٢٠٢٥م - ١ صفر ١٤٤٧ هـ
SATURDAY 26 JULY 2025 - ISSUE No. 44

الحرب تعمّق معاناة صحفيين سودانيين بمراكز اللجوء والنزوح

صحفي سوداني: لم أتخيل أن تُصبح حياتي مجرد حقيبة على ظهري!

○ الخرطوم - «الجزيرة»

● «لم يكن في نيتي الرحيل، ولم أتخيل يوما أن تُصبح حياتي مجرد حقيبة على ظهري، لكن حين اندلعت الحرب، خرب كل شيء»، بهذه الكلمات بدأ المصور الصحفي السوداني عباس عزت سرد تفاصيل رحلته الشاقة مع النزوح واللجوء منذ اندلاع الحرب في السودان منتصف أبريل/نيسان ٢٠٢٣.

ومن داخل معسكر «كريانديونقو» للاجئين في أوغندا تحدث عزت للجزيرة نت قائلا «وجدتُ نفسي أغادر الخرطوم إلى مدينة ود مدني بحثا عن ملاذ مؤقت، لكن المؤقت طال، وحين ضاق بي الحال، حملني قدري إلى مدينة سنار، ثم إلى القضارف، وهناك وجدتُ الجوع في انتظاري».

وأردف «لم يكن أمامي سوى الرحيل إلى القرى جنوب القضارف، أحمل المنجل بيد، والكرامة باليد الأخرى، فقمت باستئجار قطعة أرض صغيرة، وحرثتها بيدي وزرعتها، وكنت أقاتل وحدي في صمت الأرض، حتى حصدت محصول الذرة الأول».

ويضيف أنه باع محصول الذرة بثمن بخس، لا يكاد يبل ريقا، وبعد أن انتهى الموسم، عاد إلى القضارف مفلسا من جديد، وراح يطرق أبواب النازحين والمنظمات، فوجد أبوابا مفتوحة ووعودا مغلقة، حسب وصفه.

وقال «ضاقت بي الأرض حتى فكّرت: لماذا لا أموت هناك، في شرق النيل، بطلق ناري نظيف بدلا من الموت البطيء بالجوع هنا؟».

بائع للفلافل

وفعلا، قرّر عزت الرحيل إلى حيث «الموت أسرع»، فاستقل حافلة ركاب من مدينة القضارف إلى مدينة ود مدني، ليجد أن قوات الدعم السريع قد سيطرت عليها، والخوف يسكن الطرقات، ويقول إنه قضى ليلته الأولى بين الخراب والرائحة الثقيلة للموت المتعفن في الطرقات، والظلام المرعب.

و«أخيرا»، وصل إلى بيته في إحدى محليات الخرطوم، والتي كان الدعم السريع يسيطر عليها بالكامل، ويضيف «حاولت البدء من جديد؛ حملت غلاية كهربائية، وأعددت الطعمية (الفلافل)، وبعت السندويشات، ومع ابتسامات الزبائن بدأت الحياة تدبّ في قلبي ثانية، لكن سرعان ما قطعت الكهرباء والماء والاتصالات، وظل هذا الحال ٤ أشهر كاملة، كأنها ٤ سنوات من العتمة».

وأفاد عزت بأنه هرب مرة أخرى عبر طرق وعرة من منطقة شرق النيل إلى مدينة القضارف، واصطحب معه هذه المرة أدوات صناعة الطعمية التي عاد لصنعها وبيعها للعابرين، حتى تمكن من جمع مبلغ لتجديد جواز سفره، وخطط بعدها للخروج النهائي من السودان.

وليس الجوع وحده ما دفعه للمغادرة، حسب قوله، بل الخوف من تلفيق الاتهامات، بعد أن نشر أحدهم صورة قديمة له وزعم أنها تعود لعام ٢٠٢٥، وخاصة باجتماع مع قادة الدعم السريع غرب كردفان.

وختم قائلا «حاليا، أمزج بين الحكاية والواقع، وبين الأسطورة والمعاناة. ومن قلب معسكر «كريانديونقو» للاجئين في أوغندا، أحاول خلق قصص غنية وعميقة تُحاكي تجارب النسيان والأمل، وتشمل تحقيقات صحفية ومقالات تستعرض قضايا اللاجئين، وقصصهم اليومية وتحدياتهم».

الصحفي الحمّال

ويبدو أن حال عزت، الذي اضطر لصنع وبيع الطعمية والعمل في الزراعة قبل أن يصبح لاجئا، أخف وطأة مما عاشه الصحفي محجوب حسون، الذي قادته الحرب إلى معسكر لجوء قاس بجنوب السودان، حيث يعمل هناك حمالا على «درداقة» (عربة يدويّة صغيرة تُستخدم لحمل البضائع) في سوق المعسكر الصغير ليكسب قوت يومه ويُوفر ما يستطيع من عيش كريم لأسرته.

وقال محجوب، الذي عمل مراسلا لصحيفة «السوداني» ومستشارا للاتحاد العام للصحفيين إلسودانيين بولايات دارفور، للجزيرة نت «نحن نُهَجَّر بلا صوت، ونباد بصمت، وننسى وكأننا لم نكن يومًا صحفيين»، مضيفا أن الوضع المعيشي صعب للغاية في المعسكر الذي لجؤوا إليه، والذي يضم نحو ٢٤ ألف لاجئ، فرّ معظمهم بسبب نقص الغذاء.

وواجه كثير من الصحفيين السودانيين واقعا شديد التعقيد بعد فقدان وظائفهم، وعانوا متاعب حقيقية بعد أن كانوا يعتقدون لوقت طويل بأن الصحافة وحدها هي «مهنة المتاعب»، بينما وجدوا أن المهن الأخرى التي اضطر بعضهم للعمل بها، مثل طواحين الحبوب، وأفران الخبز، وزراعة البصل، ومصانع الثلج، وبيع الأطعمة والخضروات في الطرقات، أشد تعبا.

لم يكن يدور في خلد الصحفي محجوب، الذي كان يتابع ويدافع عن قضايا عمال الشحن والتفريغ، أنه سيصبح يومًا جزءًا منهم، وأكد أنه لا يتضجّر من مهنة «حمّال» التي يمارسها الآن ويعيل بها أولاده، لكنه يناشد الجهات الصحفية والإنسانية العالمية الوقوف مع الصحفيين والمتأثرين في محنتهم، بعد أن قضى بعضهم نحبه، بينما لا يجد آخرون ما يأكلون.

أولاد أم درمان .. سيرة الناس القيافة .. والناس واقعين حفيد ود الترابي ضمن إصدارات قادمة

محمد الشيخ حسين : عودة الحياة الى مؤلفاتي

○ القاهرة - «فويس»

● حقق الزميل الصحفي، الباحث والمؤلف الأستاذ محمد الشيخ حسين انتصاراً كبيراً في معركته الشخصية باعادة الحياة الى مؤلفاته الثمانية المنشورة على فترة زمنية اقتربت من ١٢ عاما.

وقال الأستاذ محمد الشيخ لـ «فويس»:

بحمد الله وجهود مكثفة ومساعدات قيمة تمكنت من تجميع نسخة ورقية من كل كتاب.

وأسال الله أن نوفق في اعادة توزيع هذه الكتب ورقيا والكترونيا

وعن أول هذه الإصدارات يقول المؤلف: بدأ أول هذه الكتب في العام ٢٠٠٨ بكتاب (مرفأ الذاكرة السودانية .. نحو عصر تدوين جديد). ويثير الكتاب النقاش حول احداث وقضايا وشخصيات سودانية لها اثر في الحياة.

– اما الكتاب الثاني المعنون (جعفر نميري لوحة لرئيس سوداني) فهو محاولة في توثيق البعد الإنساني في تجربة حاكم سوداني.

– وقادتني التجربة الثالثة في كتاب (اسماعيل الازهري الزعيم الانسان) الى عالم رجل كانت دنياه السودان باعمق دلالاته واسع معانيه.

– كما قادتني التجربة أيضاً في الكتاب الرابع (عبد الله الطيب وزمنه الثقافي) الى دنيا العلامة عبد الله الطيب والزمن الثقافي السوداني وقد شرفتني جامعة الخرطوم بطباعة ونشر هذا الكتاب.

– الكتاب الخامس (بصمة علي شمو .. ٦٠ عاما من المعرفة والاستنارة). وبصمة شمو التي شرفتني وزارة الثقافة بطباعته ونشره يتناول التاريخ الحي الماثل في وعي الإنسان.

– دخلت تجربتي السادسة عالم منصور خالد عبر كتاب (منصور خالد لورد من امدرمان .. قراءة في حوار مع الصفوة بعد ٥٠ عاما). وهذا الكتاب تقديم لكتاب (حوار مع الصفوة) الذي صدر قبل ٥٠ عاما ومازلت افكاره تملا حياتنا.

– واهتم الكتاب السابع (شذرات وهوامش منصور خالد .. الحساب ولد) بمذكرات منصور خالد التي شغلت الدنيا.

– وجاء الكتاب الأخير بعنوان (نفح الطيب من غصن دار فور الرطيب) جامعا لحصاد رحلات صحافية في اقاليم امتدت بين العامين ١٩٨٩ و٢٠١٦.

وفي سؤال لـ «فويس» حول توفر هذه الكتب للراغبين في اقتنائها أجاب الأستاذ محمد الشيخ: سنجتهد باذن الله في ان تتوفر هذه الكتب ورقيا والكترونيا للراغبين خلال الايام المقبلة مع تباشير النصر القادم وعودة الحياة الطبيعية للبلاد والعباد.

وعن مشاريعه في مقبل الأيام كشف لنا الأستاذ محمد الشيخ حسين عن إصداراته القادمة قائلاً: تبقى الذاكرة السودانية التي احلم بتاسيسها تذخر بمخطوطات الكتب بعناوين شتى منها:

١/حوار الاطراف المعنية .. قراءة في مؤلفات سودانية.
٢/ أولاد امدرمان .. سيرة الناس القيافة.
٣/ الناس واقعين حفيد ود الترابي.
٤/ الشريف حسين الهندي .. قصة البحث عن الوطنية.
٥/ احاديث ود السلطان .. ذكريات العقيد مارتن ملوال اروب.
٦/ دفع الله الحاج يوسف .. فريد العصر وبهجة امدرمان.
٧/ بدر الدين سليمان .. حلم التنوير وفعل التغيير في السودان.

وفي الختام وجه المؤلف شكره لمن سانده خلال الفترة الماضية قائلاً:

أزجي الشكر الجزيل والعرفان الكبير لكل من أسهم في بروز هذه الافكار بالصورة المنشودة.

وأخص بالشكر خمسة من الراحلين هم الاساتذة: احمد عبد الحليم؛ بدر الدين سليمان؛ دفع الله الحاج يوسف؛ د. الطيب حاج عطية؛ وفضل الله محمد. ويمتد الشكر والعرفان إلى السادة الاحامد: البروفسير يوسف فضل حسن؛البروفسير علي عثمان محمد صالح؛ الدكتور الصديق عمر الصديق؛ الدكتور عادل عبد العزيز حامد؛ الدكتور محمد محجوب هارون؛ والدكتور محمد عبد الوهاب جلال. كما يمتد الشكر الخاص جدا للاعزاء: عبد الحميد ميرغني؛ عبد الرحيم ادم اصيل؛ عاصم فتح الرحمن؛ وحيدر خالد محمد.

محمد الشيخ حسين
gmail.com@mohed1618

فيلم «ملكة القطن» للمخرجة السودانية سوزانا ميرغني يشارك في مهرجان فينيسيا

○ متابعات - «فويس»

● أُختير فيلم «ملكة القطن» للمخرجة السودانية سوزانا ميرغني للمشاركة في مهرجان فينيسيا السينمائي الدولي، ضمن فعاليات أسبوع النقاد الذي يُقام على هامش النسخة الـ٨٢ من المهرجان. ويتنافس الفيلم ضمن سبعة أفلام في المسابقة، مما يعكس التقدير العالمي للفيلم السوداني.

تدور أحداث الفيلم في قرية سودانية تعتمد على زراعة القطن، حيث تواجه البطلة نفيسة صراعًا حول مصير القرية ومستقبل أرضها مع وصول رجل أعمال سوداني شاب يحمل بذورًا معدلة وراثيًا. يتناول الفيلم قضايا بيئية واقتصادية واجتماعية مهمة، مما يجعله فيلمًا ذا قيمة فنية وإنسانية عالية.

مهرجان فينيسيا

يُقام مهرجان فينيسيا السينمائي الدولي في الفترة من ٢٧ أغسطس إلى ٦ سبتمبر في فينيسيا، إيطاليا. يتنافس الفيلم على جائزة أسد المستقبل بقيمة ١٠٠ ألف دولار، مما يعكس الأهمية الكبيرة التي يوليها المهرجان للأفلام المشاركة. ويُعد اختيار فيلم «ملكة القطن» إنجازًا كبيرًا للمخرجة سوزانا ميرغني، التي أثبتت مهارتها في صناعة الأفلام وتصوير القصص الإنسانية. يعكس الفيلم رؤية فنية متميزة واهتمامًا بقضايا المجتمع السوداني.

ويتوقع أن يحظى الفيلم باهتمام كبير من قبل النقاد والجمهور في مهرجان فينيسيا السينمائي الدولي.

وسيكون الفيلم فرصة لتعريف العالم بقضايا البيئة والزراعة في السودان، وهو فرصة لتعزيز التبادل الثقافي بين السودان والعالم.

المخرجة سوزانا ميرغني

ويعرض لسوزان ميرغني فيلمها الروائي الطويل الأول «ملكة القطن» (٢٠٢٥)، بعد سنوات من العمل الإبداعي والبحث البصري الذي قادها من أرشيفات الذاكرة النسائية في السودان إلى أروقة كبرى المهرجانات السينمائية في العالم، وعلى رأسها مهرجان فينيسيا السينمائي الدولي في نسخته الـ٨٢، حيث يشارك الفيلم ضمن أسبوع النقاد الدولي، وينافس على جائزة الأسد الذهبي لأفضل عمل أول أو ثانٍ.

صوت نسوي بملامح هجينة

سوزانا ميرغني ليست اسما جديدا على خارطة السينما المستقلة. فهي كاتبة ومخرجة ومنتجة سودانية روسية، تميزت بأعمالها التي تمزج بين الحكايات المحلية وقضايا المرأة، حيث انطلقت نحو العالمية عبر فيلمها القصير «الست» (٢٠٢٠)، الذي نال جائزة كانال بلس في مهرجان كليرمونت فيراند السينمائي للأفلام القصيرة، إلى جانب عشرات الجوائز في مهرجانات أخرى.

ثم عادت عام ٢٠٢١ لتقدّم فيلم «الصوت الافتراضي»، والذي عُرض في مهرجان ترابيكا السينمائي، مؤكدة مرة أخرى على بصمتها الفريدة كصانعة أفلام تتمسك بالسرد النسوي، وتجمع بين الحس الشعري والواقعية النقدية.

وفي عام ٢٠٢٢، كلفها غاليري سيربنتين بإخراج فيلم وثائقي عن الفنانة التشكيلية السودانية البارزة كامالا إسحاق بعنوان «كاملا إبراهيم إسحاق: حالات تفرّد»، وهو عمل أرّخ لبصمة فنية نسوية في السودان بصريًا وجماليًا.

حكاية من أرض الحلم

فيلم «ملكة القطن» هو استكمال بصري وفكري لثيمة سوزانا المفضلة: المرأة السودانية. وتعود جذوره إلى عالم فيلمها السابق «الست»، لكنه هذه المرة يتخذ من الطابع الروائي الطويل فضاءً رحبًا لبناء قرية سودانية من القطن والحلم والمواجهة. نفيسة، بطلة الفيلم، فتاة مراهقة نشأت في قرية تعيش على زراعة القطن، وقد تربت على قصص الجدة عن مقاومة الاستعمار البريطاني، وأسطورة «ملكة القطن» التي تحولت إلى مرجعية طفولية لها. لكن، ما أن يصل رجل أعمال سوداني شاب يحمل بذورًا معدلة وراثيًا، حتى تدخل نفيسة في صراع خفي لا ينفصل عن أسئلة الأرض، والهوية، والاستقلال. الفيلم لا يقتصر على التوتر بين التراث الزراعي المحلي والرأسمالية الزراعية المعولمة، بل يفتح جرحًا آخر أعمق، حين يقرر رجل الأعمال التقدّم لخطبة نفيسة، لتجد البطلة نفسها في مواجهة قاسية مع قضية الزواج القسري وزواج القاصرات، في مجتمع لا يزال متأرجحًا بين موروث العادات وأحلام التغيير.

من الهامش إلى فينيسيا

نظراً لغياب البنية التحتية لصناعة السينما في السودان، وجدت سوزانا نفسها مضطرة للانتقال إلى قطر، حيث تعاونت مع معهد الدوحة للأفلام للتخطيط والإنتاج.

هناك، في مساحة من الدعم المهني، بدأت ملامح الفيلم تتكوّن، مع إصرار من سوزانا على أن تقدم للعالم سينما سودانية نسوية، قادرة على قول الحقيقة بلغتها الخاصة.

وتعليقا على عرض «ملكة القطن» في فينيسيا، قال المخرج السوداني محمد كردفاني: «سعيد باختيار فيلم سوزانا، خصوصًا أنني كنت شاهدًا على ولادة هذا المشروع ومراحل تطويره. فخور أن السودان، رغم الحرب، لا يزال ينتج سينما بمستوى عالمي».

المرأة السودانية كبطلة

"ملكة القطن» لا تحكي فقط قصة فتاة، بل تستحضر تاريخًا طويلاً من المقاومة النسائية في السودان، وتحاول إعادة تقديمه بصريًا بطريقة حداثية. إنه فيلم عن البذور؛ بذور القطن، وبذور الأساطير، وبذور الوعي.

وفي حديث لها لمجلة فاريتي، قالت ميرغني: «لدينا الكثير من الأفلام الوثائقية عن النساء في السودان، وكانت ضرورية في وقتٍ ما، لكنّ الثقافة تغيرت الآن. علينا أن نسمح للسودانيات بصناعة أفلامهن الخاصة».

سوزانا، التي تمارس الكتابة الشعرية أيضًا، نشرت قصيدتها الشهيرة «خصائص سلوكية للسودانيين» في مجلة «مزنة»، والتي عكست وعيًا سياسيًا وثقافيًا بالمجتمع السوداني. ويبدو أن هذا الحس الشعري يتسرّب بهدوء إلى أفلامها، فيعطيها أبعادًا تتجاوز الحكاية التقليدية.

نحو سينما سودانية مستقلة

"ملكة القطن» ليس مجرد فيلم عن فتاة من الريف السوداني، بل هو بيانٌ فني عن أهمية التمثيل النسوي في السينما، وعن قدرة السودان، حتى في ظل الحرب، على إنتاج أعمال بمستوى عالمي. سوزانا ميرغني، بصبرها وشغفها، تفتّح الباب لأجيال جديدة من صانعات الأفلام السودانيات، وتؤكد أن الحكايات السودانية تستحق أن تُروى — لا كتراث، بل كحياة مستمرة.

حزب العمال يطلق تغييراً كبيراً على الإنترنت

● دخلت أمس حيز التنفيذ إجراءات جديدة لسلامة الإنترنت بموجب تشريع حديث، حيث حذر حزب العمال شركات التكنولوجيا من أنها «ستخضع للمساءلة» في حال عدم امتثالها للضمانات المقررة.

وأكد وزير التكنولوجيا بيتر كايل أن قانون سلامة الإنترنت سيعني أن جيلاً من الأطفال لن يُسمح له بالنمو «رهينة للخوارزميات الضارة».

ومن أبرز التغييرات المقررة اشتراط وضع ضوابط للتحقق من العمر – مثل استخدام تقدير العمر من خلال التعرف على الوجه أو التحقق من بطاقات الائتمان – على المنصات التي تستضيف محتوى إباحياً أو مواد ضارة أخرى مثل إيذاء النفس أو الانتحار أو اضطرابات الأكل. كما تلزم اللوائح الجديدة المنصات بضمان عدم استخدام الخوارزميات بطريقة تضر بالأطفال، مثل دفع مثل هذا المحتوى نحوهم أثناء تصفح الإنترنت. وسيتولى الجهاز المنظم «أوفكوم» فرض هذه الضمانات الجديدة.

وزير التجارة الأميركي يهدد بإغلاق «تيك توك» ما لم توافق الصين على صفقة

● قال وزير التجارة الأميركي هوارد لوتنيك، إن تطبيق تيك توك سيتعين عليه التوقف عن العمل في الولايات المتحدة إذا لم توافق الصين على صفقة لبيع أعمال تطبيق مقاطع الفيديو القصيرة، المملوك لشركة صينية، والذي يستخدمه حوالي ١٧٠ مليون أميركي.

وأضاف لوتنيك، في حديث لقناة سي إن بي سي، أن على الولايات المتحدة التحكم في الخوارزمية التي تُشغّل «تيك توك».

وفي الشهر الماضي، مدد الرئيس الأميركي دونالد ترامب الموعد النهائي الممنوح لشركة بايت دانس الصينية لبيع أعمال «تيك توك» في الولايات المتحدة لمدة ٩٠ يوماً تنتهي في ١٧ سبتمبر المقبل. وجاء قرار ترامب على الرغم من قانون صدر عام ٢٠٢٤ يُلزم ببيع أو إغلاق «تيك توك» بحلول ١٩ يناير من هذا العام إذا لم يُحرز تقدم يُذكر في بيع أعماله.

وقال لوتنيك: «الصين يمكنها الحصول على حصة صغيرة، أو يمكن لبايت دانس، المالكة الحالية، الاحتفاظ بحصة صغيرة. لكن في الأساس، ستكون السيطرة للأميركيين. سيمتلك الأميركيون التكنولوجيا، وسيتحكمون في الخوارزمية»، بحسب «رويترز».

وتابع: «إذا وافقت الصين على هذه الصفقة، فستتم الصفقة. أما إذا لم يوافقوا عليها، فسيُغلق تيك توك، وستصدر هذه القرارات قريباً جداً».

وكان العمل جارياً خلال ربيع هذا العام على صفقة من شأنها فصل عمليات «تيك توك» في الولايات المتحدة إلى شركة جديدة مقرها الولايات المتحدة، مملوكة بأغلبية ويديرها مستثمرون أميركيون. لكن هذه الصفقة توقفت بعد أن أشارت الصين إلى أنها لن توافق عليها عقب إعلانات ترامب عن فرض رسوم جمركية مرتفعة على السلع الصينية. وأجل ترامب ثلاث مرات تنفيذ القانون الفيدرالي الذي يفرض بيع أو إغلاق «تيك توك» في الولايات المتحدة، والذي كان من المفترض أن يدخل حيز التنفيذ في يناير.

وأرسلت المدعية العامة بام بوندي رسائل إلى «أبل» و«قوقل» وشركات أخرى تُقدم خدمات أو تستضيف تطبيق «تيك توك»، وتم الكشف عن هذه الرسائل هذا الشهر.

وجاء في الرسائل أن وزارة العدل تتنازل نهائياً عن أي دعاوى ضد الشركات بشأن انتهاكات محتملة للقانون.

ويجادل بعض المشرعين الديمقراطيين بأن ترامب لا يملك سلطة قانونية لتمديد الموعد النهائي، ويشيرون إلى أن الصفقة قيد الدراسة لن تستوفي المتطلبات القانونية.

بعدسة: فريعابي محمد أحمد

القصة المفجعة وراء الصورة المروعة للرضيع محمد في غزة

● صورة مروعة لرضيع هزيل، تظهر عموده الفقري وعظام كتفيه بوضوح مِن خلال جلده الرقيق كالورق، ستُصبح بالتأكيد رمزاً للأزمة المتسارعة في غزة. منذ أن التُقطت أوائل هذا الأسبوع – ونشرت على غلاف صحيفة «ديلي إكسبريس» – تم تداول صور الرضيع محمد زكريا أيوب المطوق آلاف المرات. والآن، كشف المصور الصحفي خلف هذه اللقطات القصة المؤلمة التي تختبئ خلفها.

في حديثه لبرنامج «نيوزآور» على «بي بي سي»، قال أحمد العريني إن محمد البالغ من العمر ١٨ شهراً وأمه نزحا من منزلهما في شمال قطاع غزة. موضحاً: «كان هو وأمه داخل خيمة خاوية تماماً باستثناء موقد صغير. تشبه إلى حد كبير قبراً». وأضاف العريني: «التقطت هذه الصورة لأنني أردت أن أظهر للعالم الجوع الشديد الذي يعانيه الرضع والأطفال في قطاع غزة».

ميزة جديدة من «قوقل» تتيح للمستخدمين تجربة الملابس افتراضياً

● أعلنت «قوقل» عن إطلاق ميزة جديدة للذكاء الاصطناعي تتيح للمستخدمين تجربة الملابس افتراضيا.

كما تُطلق عملاقة التكنولوجيا تنبيهات مُحدثة حول الأسعار، كما لمّحت إلى ميزة قادمة ستتيح للمستخدمين استكشاف الملابس المناسبة للتسوق وإلهامهم بأفكار لتصميم غرفهم باستخدام الصور المُولدة.

يأتي الإطلاق الرسمي لميزة التجربة الافتراضية بعد شهرين من بدء «قول» اختبارها، بحسب تقرير نشره موقع «تك كرانش».

تعمل الميزة من خلال السماح للمستخدمين بتحميل صورة لأنفسهم لتجربة قطعة ملابس افتراضياً.

تُطلق الميزة في أميركا اليوم، مما يتيح للمستخدمين تجربة الملابس في مخطط «قوقل» للتسوق عبر نتائج البحث، و«غوغل» للتسوق، ونتائج المنتجات على صور «غوغل».

ولاستخدام هذه الميزة، يحتاج المستخدمون إلى القيام بالتالي:

– النقر على قائمة المنتجات أو نتيجة منتج الملابس واختيار أيقونة «جربها».

– بعد ذلك، يحتاجون إلى تحميل صورة كاملة لأنفسهم.

سيتمكنون بعد ذلك من رؤية كيف سيبدون وهم يرتدون الملابس.

كما يمكن للمستخدمين حفظ الإطلالات ومشاركتها مع الأصدقاء.

على الرغم من أن «قوقل» قد قدمت تقنية تجربة الملابس افتراضياً من قبل، إلا أن الميزات السابقة ركزت على عرض الملابس على مجموعة متنوعة من عارضات الأزياء.

مع هذه الميزة الجديدة، تتيح الشركة للمستخدمين تجربة الملابس على نسخة افتراضية من أجسامهم.

يأتي هذا الإطلاق في الوقت الذي تستثمر فيه «قوقل» في مجال تجربة الملابس افتراضياً.

ففي الشهر الماضي، أطلقت عملاقة التكنولوجيا تطبيقاً تجريبياً يسمى Doppl يستخدم الذكاء الاصطناعي لتصور كيف قد تبدو الملابس المختلفة عليك.

قال متحدث باسم «قوقل» إنه على الرغم من أن كلاً من ميزة تجربة الملابس الجديدة و Doppl مدعومان بنفس تقنية الذكاء الاصطناعي التوليدية، إلا أن التطبيق مصمم للمتسوقين للتعمق أكثر في تجربة الملابس افتراضياً للسماح لهم باختيار أسلوبهم الشخصي.

بالإضافة إلى ذلك، يمكن لـ Doppl إنشاء مقاطع فيديو مُولّدة بالذكاء الاصطناعي حتى يتمكن المستخدمون من الحصول على فكرة أفضل عن شكل الملابس عليهم في الحياة الواقعية.

مؤشر هينلي لأقوى جوازات السفر: الأمريكي يتراجع والسنغافوري في القمة

● نشرت صحيفة «واشنطن بوست» تقريراً أعدّته غريس مون قالت فيه إن جواز السفر الأمريكي تراجعت أهميته في قائمة أقوى الجوازات في العالم، وفقاً لمؤشر هينلي لجوازات السفر الذي يقيم قوة الجواز بناءً على عدد الوجهات التي يمكن دخولها من دون تأشيرة.

ويأتي هذا التراجع في وقتٍ يتطور فيه دور الولايات المتحدة على الساحة العالمية في ظل إدارة ترامب الثانية، التي ضاعفت إجراءات فحص التأشيرات وعمليات الترحيل، ما وضع مجتمعات المهاجرين تحت ضغط متزايد، وألقى بظلال من عدم اليقين على الطلاب الدوليين.

وفي المقابل، واصلت القوى الاقتصادية في آسيا صعودها في مجال حرية التنقل العالمي خلال السنوات الأخيرة. وفي التقرير الأحدث، احتل جواز السفر السنغافوري مجددًا المرتبة الأولى كأقوى جواز سفر في العالم، إذ يمنح حامله إمكانية الوصول إلى ١٩٣ وجهة دون تأشيرة.

وجاءت القائمة المختصرة للجوازات الأقوى عالمياً كالآتي

سنغافورة: ١٩٣ وجهة.

اليابان وكوريا الجنوبية: ١٩٠ وجهة.

الدنمارك وفنلندا وألمانيا وأيرلندا وإيطاليا وإسبانيا: ١٨٩ وجهة.

النمسا وبلجيكا ولوكسمبورغ وهولندا والنرويج والبرتغال والسويد: ١٨٨ وجهة.

اليونان ونيوزيلندا وسويسرا: ١٨٧ وجهة.

«قفزت فوق ترامبولين».. سيارة تخترق منزلا بألمانيا وتستقر بالطابق الأول

● في حادث مأساوي، اصطدمت سيارة بالطابق الأول من أحد المنازل في بلدة بومته جنوب غرب ألمانيا، بعد أن انحرفت عن الطريق بسرعة عالية وقفزت فوق «ترامبولين» أو لوح للقفز في الحديقة

الاصطدام أسفر عن إصابة طفل يبلغ من العمر سبع سنوات كان يلعب على الترامبولين، وتم نقله إلى المستشفى في حالة حرجة، فيما أصيب سائق السيارة بجروح طفيفة.

وأوضحت السلطات بحسب وسائل إعلام ألمانية، أن السيارة كانت تقل ٥ أشخاص، بينهم ٣ أطفال تتراوح أعمارهم بين ١١ و١٣ عاما. أصيب جميع الركاب، بمن فيهم سيدة تبلغ من العمر ٤٣ عاماً، بإصابات متفاوتة.

وتشير التحقيقات الأولية إلى أن الحادث وقع قرابة الساعة الثامنة مساءً، حيث انحرفت السيارة عن الطريق واصطدمت أولاً بمركبة متوقفة في إحدى المزارع، ثم اخترقت سورا، قبل أن تهبط في حديقة منزل مجاور تقع على عمق ١,٥ متر، حيث دهست الطفل.

يُعتقد أن السيارة ارتفعت في الهواء بسبب عدم استواء الأرض، قبل أن تصطدم بسقف الحظيرة على ارتفاع ٣ أمتار تقريبا، وفقا لما ذكره متحدث باسم الشرطة.

وأضافت الشرطة أن فرق التحقيق عملت حتى الساعة الرابعة صباحاً لجمع الأدلة وتوثيق موقع الحادث، وتم سحب السيارة من السقف باستخدام رافعة خاصة، ثم صادرتها الشرطة لمتابعة التحقيق.

شارك في عمليات الطوارئ ٥٢ عنصراً من فرق الإطفاء التطوعية، بالإضافة إلى ١٢ فرداً من أفراد الدفاع المدني (THW)، و١٢ سيارة إسعاف، إلى جانب طبيب طوارئ كان حاضراً في الموقع.

زوجان يعقدان قرانهما في كنيسة غمرتها المياه في الفلبين

● قرر زوجان فلبينيان تحويل يوم زفافهما إلى قصة تلهم العالم، بعدما واجها عاصفة استوائية اجتاحت شمال العاصمة مانيلا، وخلّفت فيضانات عارمة.

العروسان «جاو فيرديلو» و«جامايكا أغيلار» دخلا كنيسة باراسوآن في مدينة مالولوس، بإقليم بولاكان، وهما يخوضان في مياه بلغ ارتفاعها نحو ٤٠ سنتيمترا، بعدما تحولت قاعة الزفاف إلى مشهد مائي نادر، بفعل العاصفة المدارية «ويفا» التي ضربت البلاد. ورغم ذلك، أصرّ العروسان على المضي قدمًا في طقوس الزفاف، دون أن تفقد اللحظة شيئًا من روحها أو قدسيتها.

كانت أغيلار واضحة في موقفها، حيث قالت لشبكة «ABS-CBN»: «لا شيء كان ليوقفنا.. لقد انتظرنا هذه اللحظة طويلاً». وأضافت بثقة وعاطفة: «هذا مجرد فيضان، أمامنا الكثير لنواجهه معا، وسنواجهه يدا بيد».

ويُذكر أن الزوجين حجزا موعد الزفاف منذ عامين كاملين، وتقدّما بطلب إجازة من العمل خصيصا لهذا اليوم، ما جعل التراجع عن إقامة الحفل شبه مستحيل، رغم الأحوال الجوية السيئة.

تدخل طبي نادر في العراق.. استخراج ٢٤ أداة حادة من معدة شاب

● شهدت مدينة السليمانية في إقليم كردستان العراق واقعة طبية نادرة، بعد أن نجح فريق طبي في استخراج ٢٤ أداة معدنية حادة من معدة شاب يبلغ من العمر ٢٩ عاماً، في عملية دقيقة استغرقت ساعة واحدة، ووصفت بأنها «غير مألوفة» من حيث نوعية وحجم الأجسام المستخرجة.

وبحسب بيان صادر عن مستشفى الجهاز الهضمي والكبد التعليمي في السليمانية، فإن المريض وصل إلى قسم الطوارئ وهو يعاني من آلام حادة في المعدة، ليتبين لاحقاً من خلال الفحوصات الشعاعية وجود أجسام معدنية خطيرة داخل الجهاز الهضمي.

وأوضح الدكتور مصطفى عبدالرحمن، نائب مدير المستشفى، أن الفريق الطبي تمكّن من خلال عملية تنظير داخلي تحت التخدير العام من استخراج ١٦ ملقط شعر، و٨ إبر، بالإضافة إلى غطائين يعودان لملاقط، دون الحاجة إلى تدخل جراحي مفتوح، مشيراً إلى أن العملية أنجزت بنجاح خلال ساعة واحدة فقط.

وكشف أن المريض يعاني من اضطرابات نفسية، يُرجّح أنها الدافع وراء ابتلاعه لتلك الأدوات، مؤكداً أن حالته الصحية الآن مستقرة وتحت المراقبة الطبية.

وأشار إلى أن ابتلاع الأجسام الغريبة لا يُعد أمراً نادراً كما يظن البعض، بل تسجل المستشفيات حالات مماثلة يومياً، سواء لدى الأطفال بدافع الفضول أو لدى البالغين نتيجة اضطرابات عقلية، وهو ما يفرض ضرورة تعزيز الوعي بأهمية الدعم النفسي والرقابة الأسرية.